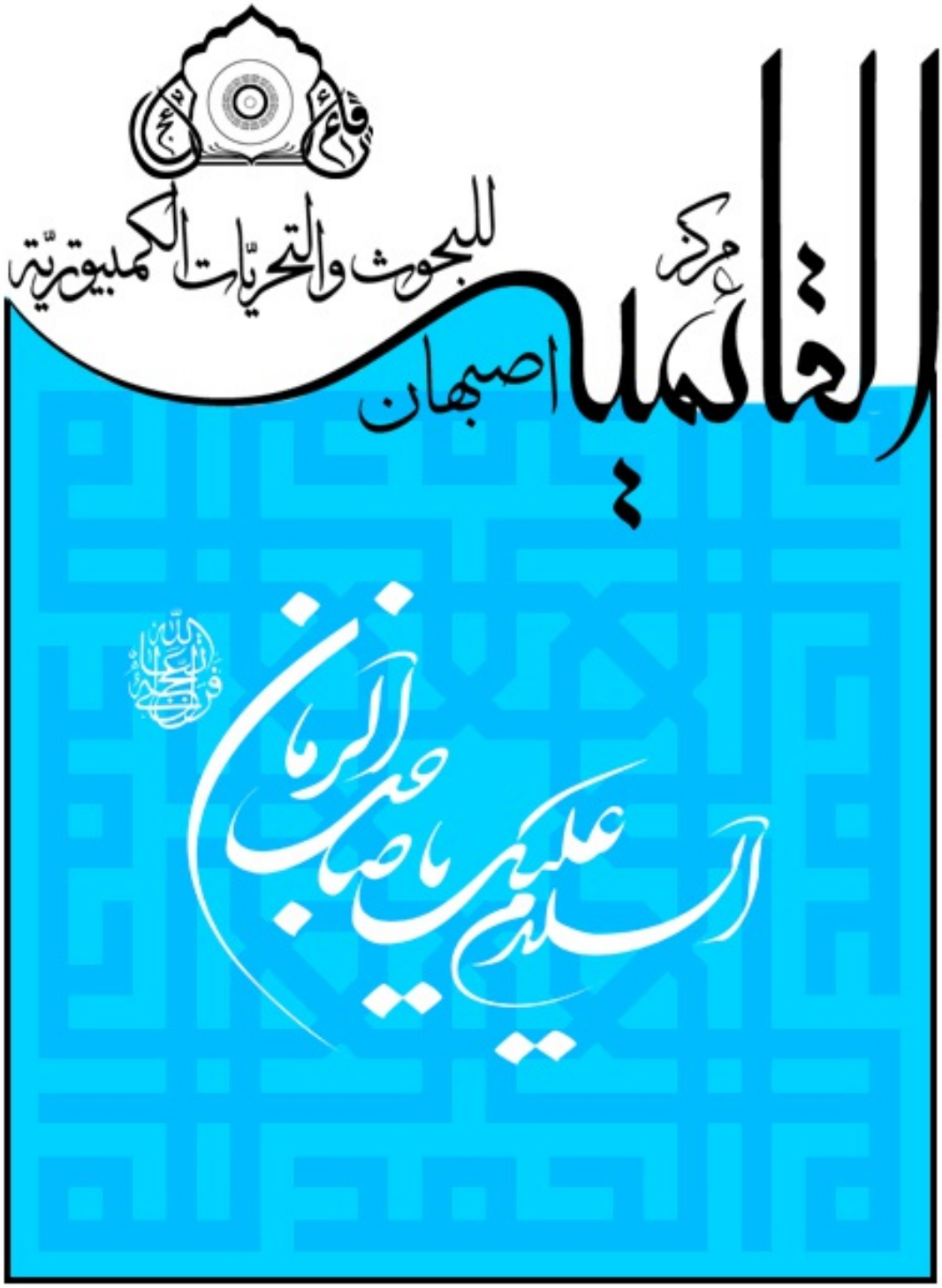

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

سلسلة النقد
و التحقيق الحق المبين

المجلد ٣

على الحسيني الميلاني

بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة النقد و التحقيق الحق المبين

كاتب:

السيد على الحسينى الميلانى

نشرت فى الطباعة:

الحقايق

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
سلسلة النقد والتحقيق تفسير سورتى الجمعة والتغابن(۳) ----- ۶
اشارة ----- ۶
كلمة المركز ... ص: ۵ ----- ۶
كلمة لجنة النقد والتحقيق ... ص: ۷ ----- ۶
مقدّمة الطبعة الأولى ... ص: ۹ ----- ۷
تفسير سورة الجمعة ... ص: ۱۵ ----- ۸
سورة الجمعة ... ص: ۱۵ ----- ۸
تفسير سورة التغابن ... ص: ۱۶۹ ----- ۶۹
«سورة التّغابن ... ص: ۱۶۹ ----- ۶۹
الكتاب القادم ...: ص: ۲۳۰ ----- ۹۳
تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية ----- ۹۴

سلسلة النقد والتحقيق تفسير سورتى الجمعة والتغابن(٣)

اشارة

نام كتاب: سلسلة النقد والتحقيق

نويسنده: حسينى ميلانى، على

موضوع: عقائد

زبان: عربى

تعداد جلد: ٣

ناشر: الحقائق

مكان چاپ: قم

كلمة المركز ... ص: ۵

الحمد للّه ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على محمّد وآله الطاهرين.

وبعد، فقد قرّر المركز تشكيل لجنةٍ تقوم- بإشراف وتوجيه من سيّدنا الفقيه المحقّق آية اللّه السيد على الميلانى- دام ظلّه- بنقد بعض البحوث المنتشرة من المعاصرين وتحقيق بعض الكتب التراثيّة الصغيرة فى الحجم والكبيرة فى الفائدة، فى مختلف العلوم والمسائل الاسلاميّة، وإخراجها فى سلسلة تحت عنوان (سلسلة النقد والتحقيق) خدمةً للعلم والدين، وإحقاقاً للحق المبين، وإحياءً لآثار العلماء المحقّقين، وتوفيراً للمصادر النافعة للباحثين، سائلين المولى الكريم المفضال أن يتقبّل منّا هذا العمل وسائر الأعمال.

مركز الحقائق الإسلامية

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٧

كلمة لجنة النقد والتحقيق ... ص: ٧

هذا هو العدد الثالث من (سلسلة النقد والتحقيق) ارتأينا نشره بمراجعة مصادره المعتمدة فى المتن والهوامش، وتصحيحه وتنظيمه من جديد.

وإنما وقع اختيارنا على هذا الكتاب لامور:

الأول: إنه تفسيرٌ للقرآن الكريم، فإنه وإنْ كان تفسيراً لسورتين فقط، لكنّه على صغره فى الحجم فيه البحث ولو بإيجاز أو الاشارة إلى قضايا مهمّة فى الدين فى اصوله وفروعه.

الثانى: كونه من إفادات فقيه من كبار فقهاء الطّائفة وأحد المراجع العظام ... فى محاضرات ألقاها على ثلّةٍ من الأفاضل من الحوزة العلمية بمدينة كربلاء المقدّسة حيث نزل بها فترةً من الزمن.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٨

الثالث: إنه يظهر لمن يقارن هذا التفسير الوجيز بتفسير السورتين فى أغلب التفاسير من الخاصّة والعامّة تفوّقه عليها من حيث التحقيق فى ألفاظ الآيات المباركة والتدبّر فى زكاتها والشموليّة للمعانى المختلفة والدقائق الحكميّة والأدبيّة وغيرها.

هذا، وقد طبع هذا الكتاب للمرّة الاولى مع فوائد أضافها فى الهوامش سماحة العلامة الحجة الحاج السيد محمّد على الميلانى دامت

بركاته.

هـذا، ولاـ يخفى أنّا لم نضف على الهوامش شيئاً، كما أنّ ما يجـده القارئ من الاختلاف فى الاسـلوب فى السّورتين، فسـببه أنّ مقرّر سورة التغابن غير مقرّر سورة الجمعة من تلامذة سماحة السيد قدّس سرّه.

وقـد عنى بتحقيق الكتاب فى هـذه الطبعـة بمراجعـة المصادر وتطبيق النصوص بقدر الإمكان، حضـرة الفاضل السـيد محمّد المرعشـى حفظه اللَّه.

لجنة النقد والتحقيق

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٩

مقدّمة الطبعة الأولى ... ص: ٩

الحمد للَّه ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على خير خلقه محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين.

يحتلّ التّفسـير مكانةً ساميةً بين العلوم الإسلاميّة، وذلك لأنّ أهميّة كلّ علم بأهميّة موضوعه، وإذ كان موضوع علم التّفسير: هو القرآن الكريم، معجزة السّـماء الخالدة، يدور حوله ليستجلى غوامضه ويزيل مكامن الخفاء فيه، صار من أجلّ العلوم الإسلاميّة وأولاها بالعناية والإهتمام.

هـذا، وقـد صـرف علماؤنـا الأبرار جهوداً ضـخمة فى حقل التفسـير، وصـدرت من رشـحات أقلامهم المجلّـدات الضـخمة والـدورات المفصّلة بهذا الشأن، جزاهم اللَّه عن كتابه خيراً.

وإذ كان التخصص فى الفقه وأصوله يستوعب أكثر وقت الفقيه،

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١٠

وذلك فى سبيل اسـتقصاء أدلّة الأحكام وتمحيصـها، ومناقشة الآراء والنظريات الفقهيّة فى المسألة الواحدة، واسـتفراغ الوسع لاستنباط الحكم الشّـرعى من أدلّته التّفصـيليّة، فقد كرّس الفقهاء جلّ نشاطهم لتحقيق هذا الجانب من العلوم الإسـلامية. على أنّهم لم يغفلوا عن سائر تلك العلوم.

ولقد برز سـيّدنا الوالد تغمّده اللَّه من بين فقهاء الإماميّة فى العصـر الحاضر- بشهادة القريب والبعيد- متّسماً بسعة الأفق، وأصالة الرؤية، والدّقـة فى التحقيق ... ممّـا جعله يُشار إليه بالبنان فى الحوزات العلميـة أيّـدها اللَّه ورعاها.. ولم يكن (قـدّس اللَّه نفسه الزّكيـة) محقّقاً بارعاً ومجتهداً بصـيراً فى الفقه والأصول فقط، بل كانت له اليد الطولى فى الفلسـفة وعلم الكلام والتفسـير وعلم الأخلاق وسائر العلوم الإسلاميّة.

وإذ هاجر (قدّس سـرّه) لأسـباب صـحية من النجف الأشـرف إلى كربلاء المقدّسة، ولبّى رغبة العلماء والفضـلاء فى الإقامة ببلدة سـيّد الشّـهداء عليه السّلام، بدأ بتدريس البحث الخارج فى الفقه والأصول، لكن هذا لم يرو ظمأ طلّاب العلم وروّاد المعرفة فى تلك الحوزة المقدّسة، فراحوا يطلبون منه درساً فى التفسير وعلم الكلام أيضاً.

بناءً على ذلك، فقد قام سيّدنا الوالد (قدّس سرّه) بتدريس هذين العلمين فى كربلاء المقدّسة بين عامى ١٣٦٠ و ١٣٧٢ الهجريين، وقد كـان الأفاضـل من ملازمى بحثه وطلّابه، يكتبون تلـك الأبحـاث ثمّ يقرأونهـا عليه. وربمـا أبـدى عليها ملاحظاته وأجرى عليها بعض التعديلات.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١١

والكتاب الذى بين يديك نموذج من تلك الكتابات التى دوّنها بعض الفضـلاء من تلامذة السـيّد الوالد من مجلس بحثه الشريف، فى تلك الفترة.

وإذ هاجر السيّد الوالد الى مشهد المقدّسة عام ١٣٧٣ لغرض زيارة الإمام الرّضا عليه آلاف التّحية والثّناء، حال العلماء والفضلاء فى مشهد دون عودته إلى كربلاء، واستجاب لرغبتهم فى حطّ رحاله بهذه البلدة المقدّسة. فراح يلقى أبحاثه العالية فى الفقه والأصول على رواد التحقيق والبحث الخارج...

إلى أن فاضت روحه الطّاهرة إلى بارئها فى رجب ١٣٩٥ هجرية، ودُفن فى المرقد الرضوى المطهّر، فى المكان الذى يسمى ب (دار الفيض).

فيما يتعلق بالأبحاث الأصوليّة التى دوّنها السيد الوالد وناولها إلى خواص تلاميذه، لم يصل بيد الأسرة إلّاأجزاء مبعثرة، وأمّا فيما يتعلق بالأبحاث الفقهية فقد استطاع ابن أخى حجة الاسلام السيد الفاضل الميلانى من تنظيم مجموعة منها عن طريق الأشرطة المسجلة ومذكرات السيد نفسه، وتحقيقها.

وقد وفّقه اللّه إلى طبع أبواب الزكاة والخمس وصلاة المسافر فى أربعة أجزاء، وأمّا كتاب البيع فهو تحت الطبع.

ومساهمةً منّى فى إحياء هذا التراث ونشره إلى الملأ العلمى، فقد قمت باختيار مائة وعشر أسئلة من مجموعة سبع دفاتر، حاوية لشتات

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١٢

المسائل المستفتاة من السيّد الوالد، وراعيت فى الإختيار أن تكون المسائل غير فقهية فى الغالب، بل تتعلق بالعقائد، والحكمة فى التشريع، والجذور المذهبية، وقد أضفت إليها بعض التحقيقات والتعليقات النافعة إكمالا للفائدة، وقدمتها للطبع.

وإذ فرغت من المشروع الأوّل فكرت فى تنقيح تفسير سورتى الجمعة والتغابن، فأعدت النظر فى ذلك، وأضفت إليه بعض التحقيقات النافعة والتعليقات المفيدة، حتّى خرج بهذا الشكل الذى يجده القارىء، وأنا أقدم هذا المجهود هدية متواضعة إلى اعتاب سيّدنا الإمام الحجّة المهدىّ المنتظر عجّل اللّه فرجه، راجياً تفضّله بالقبول.

وأعود فأوجه ندائى إلى الفضلاء الذين يحتفظون عندهم ببعض الآثار العلمية للسيّد الوالد، كى يتفضّلوا علينا بالمساهمة والمؤازرة فى نشر تلك الآثار، خدمة للعلم والدّين.

وفى الختام أنوّه بدور ابن أخى العلّامة المفضال السيّد علىّ الميلانى، حيث كان يرغب القيام بتحقيق هاتين السورتين وطبعهما، جزاه اللّه عن عمّه خير الجزاء.

أخذ اللّه بأيدى العاملين لخدمة الدّين الحنيف ونشر علوم أهل البيت عليهم السّلام، ووفّقنا لمرضاته، إنّه سميع مجيب.

مشهد المقدّسة

١٣ رجب ١۴٠١ هجريّة

السيّد محمّد علىّ الميلانى

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١۵

تفسير سورة الجمعة ... ص: ١۵

سورة الجمعة ... ص: ١۵

[١]»

[١] سورة الجمعة مدنيّة، نزلت بعد الصّف- كما فى مصحف الإمام الصّادق عليه السّلام- قيل السنة الخامسة من الهجرة، من المسبّحات «١».

وقال صدر المتألهين: «سورة الجمعة مشتملة على أمّهات المقاصد الإيمانيّة، محتوية على أصول الحقائق العرفانيّة، من معرفة اللّه

سبحانه، وحقيقة المبدأ والمعاد، وكيفيّة البعث والإرسال، والتعليم والإنزال، وماهيّة الكتاب والرّسول، والهداية للعقول» «٢».

---

(١) الإتقان للسيوطى: ١٣، وتاريخ القرآن للزنجانى: ٥۶، والتفسير الحديث: محمّد عزة دروزة ٧/ ٢٧٧، وتاريخ قرآن راميار: ٢٥٠.

(٢) تفسير صدر المتألهين ٧/ ١۴٠.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١۶

«بِسْمِ اللَّهِ الرّحمنِ الرّحيم [١]»

«يُسَبِّحُ لِلَّهِ ما فِى السَّماواتِ وَما فِى الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ».

الحمد للَّه الذى هدانا لهذا وما كنّا لنهتدى لولا أن هدانا اللَّه، والصّلوة والسّلام على الصّادع بالرّسالة الموحى إليه بالقرآن الكريم محمّدٍ خاتم النّبيين وآله الطيّبين الطّاهرين.

وبعد: فهذا جزء من المعارف الإلهيّة فى تفسير سورة الجمعة، قال عزّ من قائل «يُسَبِّحُ» [٢] هذا هو التّسبيح التّكوينى، أى أنّها

[١] عن عبداللَّه بن سنان قال: «سألت أبا عبداللَّه عن تفسير بسم اللَّه الرّحمن الرّحيم، قال عليه السّلام: الباء بهاء اللَّه، والسّين سناء اللَّه، والميم مجد اللَّه- وروى بعضهم: الميم ملك اللَّه- واللَّه إله كلّ شىء، الرّحمن بجميع خلقه، والرّحيم بالمؤمنين خاصّة» «١».

[٢] قال المحدّث القمى: «إنّ جميع المصنوعات والممكنات بصفاتها ولوازمها وآثارها، دالّة على صانعها وبارئها ومصوّرها، وعلمه وحكمته شاهدة بتنزّهه عن صفاتها المستلزمة للعجز والنّقصان، مطيعة لربّها فيما خلقها له وأمرها من مصالح عالم الكون، موجّهة إلى ما خلقت

---

(١) أصول الكافى ١/ ٨٩، باب معانى الأسماء واشتقاقها.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١٧

تسبّح بذواتها ووجوداتها، فإنّ معنى التّسبيح: التّنزيه، والأشياء كلّها بذواتها منزّهة للَّه تعالى، تنزّهه عن الشريك، لأنّه لو كان له سبحانه شريك لما وجد شىء، أو وجد من كلّ شىء اثنان متماثلان بتمام التماثل وبجميع الخصوصيّات.

أمّا وجودها، فبالضرورة، وأمّا عدم المماثلة، فلأنّه بديهى، إذ بعد ملاحظة الأفراد من الجنس الواحد أو النوع الواحد كالتمرتين أو الحنطتين أو الحجرين أو الشّجرتين أو الحيوانين كشاتين وفرسين وإنسانين، وغيرها من سائر المخلوقات، يرى المايز بينهما وعدم المماثلة من جميع الجهات، وهذا لا يختص بزمان دون زمان، ومكان دون مكان، فإن جزئياً، كزيد المعيّن من جميع الجهات بعد التأمل فى وجوده بعد إن لم يكن، يدلّ على أنّ له موجداً وأنّه واحد.

له، فسكون الأرض خدمتها وتسبيحها، وصرير الماء وجريه تسبيحه وطاعته، وقيام الأشجار والنباتات ونموّها، وجرى الرّياح وأصواتها، وهذه الأبنية وسقوطها، وتحريق النّار ولهيبها، وأصوات الصواعق، وإضائة البروق، وجلاجل الرعود، وجرى الطيور فى الجوّ ونغماتها، كلّها طاعة لخالقها وسجدة وتسبيح وتنزيهٌ له سبحانه» «١».

---

(١) سفينة البحار ١/ ۵٩۴.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١٨

أمّا الأوّل، فواضح.

وأمّا الثانى، فإنّه لو صدر عن اثنين، فإن استقلّا فى التأثير فيه كاملًا، لزم تعدده مع أنّه واحد، وإن اشتركا، فلو أثّر كلّ فى بعضه لزم تركّب الوجود مع أنّه بسيط [١]، ولو أثّر المجموع فيه بنحو كانا جزئى العلّة، لم يكن واحد منهما علّة تامّة، وذلك نقص فيهما. مضافاً

إلى أنّه لا يخلو كونهما كذلك: إمّا لعدم القدرة، أو لمغلوبيّة كلّ للآخر المزاحم له، أو عبثا ... والكلّ باطل.

فكلّ موجود يدلّ على أنّ موجده واحد لا شريك له.

أمّا إثبات أنّ موجد كلّ طائفة من الممكنات عين موجد الأخرى، فهو بإجراء ما تقدّم، من أنّه لولا ذلك، فاختصاص كلّ بما خلق: إمّا لعدم تمكّنه من غيره، أو لمغلوبيّته للآخر، أو عبثاً وبخلًا عن إصدار الفيض ... والكلّ باطل، وجميع ذلك مستحيل. وعليه، يجب أن يفيض كلّ منهما فى كلّ طائفة وفى كلّ موجود، فيلزم أن يكون كلّ ما يفرض واحداً اثنين، مع أنّه لا يوجد اثنان متماثلان فى جميع [١] لما تقرّر فى محلّه من أنّه لا يوجد مفهوم أعمّ من الوجود حتى يكون جنساً له، وإذا لم يكن للوجود جنس، فليس له فصل، لأنّ الفصل يميّز بعض أفراد الجنس عن البعض الآخر، وقد فرض انتفاء الجنس عن الوجود. وكلّ ما ليس له جنس وفصل، فهو بسيط.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١٩

الخصوصيّات، بحيث لا يكون بينهما مائز أصلًا.

وكما أنّ جميع الموجودات تنزه اللَّه عن الشريك، فإنّها تنزّهه عن العجز، لأنّه لو كان عاجزاً لما تمكن من خلقها. وتنزّهه عن الجهل، فإنّ وجودها يدلّ على علمه تعالى، حيث إن خلق شىء لا يكون بلا علم، كما قال عزّ من قائل «أَ لايَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ» «١»

فينفى عنه الجهل، وكذلك بالدلالة على كلّ محمدة ينفى ضدّها ونقيضها عنه سبحانه وتعالى فتنزّهه وتسبّحه. وبعبارة أخرى: إنّ كلّ ما يشاهد فى الممكنات من الصفات الوجودية، وكلّها محمودة وجميلة، مثل كونها ذوات حياة ومشيّة وسمع وبصر وإدراك وتدبير، إلى غير ذلك، يدلّ على ثبوتها بنحو أكمل وأتمّ وأعلى وأرفع لخالقها، إذ كلّ ذلك منه، والفاقد لشيءٍ لا يعقل أن يعطيه، وعليه، فإنّ جميع الموجودات تنزّهه وتسبّحه وتنفى عنه إضداد هذه الصفات ونقائضها، فالممكنات تثنى على خالقها وتحمده ابتداءً، وبوسيلة هذا الثناء والحمد تسبّحه، فالكلّ يسبّحونه بحمده بألسنتهم الوجودية [١]،

[١] قال على عليه السّلام: مُسْتَشْهداً بكليّة الأجناس على ربوبيّته، وَبعَجْزها على قدرته، وبفطورها على قدمته، وبزوالها على بقائه، فلا لها

---

(١) سورة الملك، الآية: ١٣.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٢٠

ويضيف بعضهم إلى ذلك التسبيح والتحميد بالألسنة الخارجية. ولمّا كان تسبيح المخلوقات لازم وجوداتها لا ينفك عنها، كما تقدّم من أنّ ذواتها مسبّحة للَّه تعالى، أتى بالفعل المضارع الدال على الدوام والإستمرار، وفى إتيانه فى بعض الموارد بالفعل الماضى نكتة [١] ستجىء فى محلّها إن شاء اللَّه تعالى.

محيصٌ عن إدراكه، ولا خروج عن إحاطته بها، ولا احتجاب عن إحصائه لها، ولا امتناع من قدرته عليها، كفى بإتقان الصنع لها آية وبمركب الطّبع عليها دلالة، وبحدوث الفَطْر عليها قدمةً، وبأحكام الصّنعة لها عبرةً، فلا إليه حدّ منسوبٌ ولا له مثل مضروبٌ ولا شىء عنه محجوبٌ، تعالى عن ضرب الأمثال والصّفات المخلوقة علوّاً كبيراً» «١».

[١] قال الفخر الرازى: أنّه تعالى قال فى البعض من السّور «سَبَّحَ لِلَّهِ» وفى البعض «يُسَبِّحُ لِلَّهِ» وفى البعض «سَبِّحْ» بصيغة الأمر، ليعلم أنّ تسبيح حضرة اللَّه تعالى دائم غير منقطع، لما أنّ الماضى يدلّ عليه فى الماضى من الزّمان، والمستقبل يدلّ عليه فى المستقبل من الزمان، والأمر يدلّ عليه فى الحال «٢».

---

(١) نهج السعادة ٣/ ١١.

(٢) تفسير الفخر الرازى ٢٩/ ٣١٠.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٢١

«لِلَّهِ» [١] قيل: إنّه علم للذات الواجب الوجود المستجمع

وقال صدر المتألهين: وإنّما قال مرّة «سبّح للّه» بصيغة الماضى، ومرّة «يسبّح للّه» بصيغة المضارع، ليكون تنبيهاً للنّاظر الخبير والأديب الأريب على دوام وقوع تنزيهه عن صفات الموجودات المتغيرات وعن سمات الممكنات الثابتات فيما سبق وفيما لحق، أى:

سَبَّحَ له سوابق الممكنات، ويسبّح له لواحق الكائنات ممّا فى الأرض والسماوات من جهة أسبابها وعللها السابقة وعوارضها ونتائجها اللّاحقة «١».

[١] قال شارح المواقف: إنّ اسم «اللّه» لفظ مخصوص، والمسمّى هو الذى وضع اللّفظ فى قباله والخلاف فى تعقّل كنه ذاته، ووضع الإسم لا- يتوقّف عليه، إذ يجوز أن يعقل ذات ما بوجه ما، ويوضع الإسم لخصوصيّة ويقصد تفهيمها باعتبار ما، لا بكنهها، ويكون ذلك الوجه مصحّحاً للوضع وخارجاً عن مفهوم الإسم، كما فى لفظ «اللّه» فإنّه اسم علم له موضوع لذاته من غير اعتبار معنى فيه «٢».

وقال الطريحى عن بعض المحقّقين: الأسماء بالنّسبة إلى ذاته

---

(١) تفسير صدر المتألّهين ٧/ ١٤١.

(٢) لغتنامه دهخدا ۴/ ٢۴٨٨.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٢٢

المقدّسة على أقسام ثلاثة:

الأوّل: ما يمنع اطلاقه عليه تعالى، وذلك كلّ اسم يدلّ على معنى يبجلّ العقل نسبته إلى ذاته الشريفة، كالأسماء الدالّة على الأمور الجسمانيّة أو ما هو مشتمل على النّقص.

الثّانى: ما يجوز عقلًا إطلاقه عليه، وورد فى الكتاب العزيز والسنّة الشريفة تسميته به، فذلك لا حرج فى تسميته به بل يجب امتثال الأمر الشرعى فى كيفيّة اطلاقه بحسب الأحوال والأوقات والتعبّدات إمّا وجوباً أو ندباً.

الثالث: ما يجوز اطلاقه عليه ولكن لم يرد ذلك فى الكتاب والسنّة، كالجوهر، فإنّ أحد معانيه كون الشىء قائماً بذاته غير مفتقر إلى غيره، وهذا المعنى ثابت له تعالى، فيجوز تسميته به، إذ لا- مانع فى العقل من ذلك، لكنّه ليس من الأدب، لأنّه وإن كان جائزاً عقلًا ولم يمنع منه مانع، لكنّه جاز أن لا يناسبه من جهة أخرى لا نعلمها، إذ العقل لم يطّلع على كافّة ما يمكن أن يكون معلوماً، فإنّ كثيراً من الأشياء لا نعلمها إجمالًا ولا تفصيلًا، وإذا جاز عدم المناسبة ولا ضرورة داعية إلى التسمية، فيجب الإمتناع من جميع ما لم يرد به نصّ شرعى من الأسماء،

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٢٣

لجميع الصفات الكمالية، وقيل: علم جنس منحصر فى واحد، ولما كان معناه على القولين الذات المستجمعة لجميع الصفات الكمالية [١]، كان مستحقّاً لأن يسبّحه:

«ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ» من المجردات والماديات

وهذا قول العلماء إنّ أسماءه تعالى توقيفية، يعنى موقوفة على النّص والإذن فى الإطلاق «١».

وفى الكافى عن الحسن بن راشد، عن أبى الحسن موسى بن جعفر عليه السّلام قال: «سئل عن معنى «اللّه» فقال عليه السّلام:

استولى على ما دقّ وجلّ (وهو استيلاؤها على دقيق الأشياء وجليلها) «٢».

[١] قال السيّد المدنى: «اللّه» أصله أَلَهَ حُذف الهمزة وعوّض منها حرف التعريف، ثمّ جعل علماً للذّات المقدّسة الجامعة لصفات الكمال، وزعم بعض أنّه إسم جنس موضوع لمفهوم الواجب الوجود لذاته، المستحق للعبودية، وكلّ منها كلّى انحصر فى فرد «٣».

(١) مجمع البحرين كلمة (سما).

(٢) أصول الكافى ١/ ٨٩، باب معانى الأسماء واشتقاقها.

(٣) الحدائق النديّة فى شرح الصمديّة: ٣.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٢۴

والجواهر والأعراض والنامى وغيرها [١]. والمراد بالسموات، الجهات العليا، وبالأرض، الجهات السفلى، ليشمل السماء والأرض، أو المراد بهما المصطلحان ويشملهما الحكم أيضا بالدلالة العرفية، كقولك: ما فى البلد للسلطان، فإنّه يشمل نفس البلد أيضاً.

تكملة:

قد ظهر ممّا ذكر أنّ تسبيح الممكنات، هو بجهاتها الوجودية التى تكون بها حامدة ومادحة لبارئها، فإنّ الفعل الجميل بنفس وجوده يعرّف جمال الفاعل ويحمده، مثلًا: إذا رأيت صنعاً دقيقاً، فهو يدلّك على مهارة صانعه ويرشدك إلى كماله، فكما أنّ الفاعل

[١] عن علىّ بن الحسين عليهما السّلام قال: «لو اجتمع أهل السماء والأرض أن يصفوا اللَّه بعظمته لم يقدروا» «١».

قال الطنطاوى: كلّ شىءٍ فى السموات والأرض إذا نظرت إليه، دلّت على وحدانيّة خالقه وعلى تنزيهه وجميع الأشياء مسخّرة له مقهورة، فالتّسبيح إمّا دلالة للعقلاء وإمّا حصول الآثار فى الأشياء المسخّرة للَّه تعالى «٢».

(١) الكافى: ١/ ٧٩.

(٢) تفسير الجواهر ٢۴/ ١٧٠.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٢۵

يحمد نفسه بإيجاد فعله الجميل- ولذا نقول: أنّه سبحانه وتعالى أوّل حامد لنفسه، حيث أنّه تبارك وتعالى أوجد الكائنات المحفوفة باللطائف والدقائق التى لا تحصى- كذلك الموجودات تحمده وتمدحه، وتعرّف علمه وقدرته وحكمته وربوبيّته واستجماعه لجميع صفات الكمال والجمال [١]، وفى أثر هذا الحمد تسبّحه وتقدّسه وتنزّهه عن صفات النقص وتجلّه عنها. ومن هنا تبيّن معنى قوله تعالى: «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ» «١»

أى متلبّساً بالحمد، يكون مسبّحاً. ثمّ إنّ ما ذكرنا كلّه راجع إلى الموجودات بما لها من اللّسان التكوينى، بل الموجود هو بكلّه لسان لا أنّ لسانه جزء منه.

وربما يقال: إنّ جميع الموجودات حتّى الذرات لها جهة شعور وإدراك ولها ألسنة تناسبها، فإن كان الأمر كذلك، إجتمع هناك تسبيحان، كما هو كذلك فى المسبّح من الإنسان، فإنّه يسبّح بلسان الحال والقال.

[١] قال المظفّر: عقيدتنا فى صفاته تعالى: ونعتقد أنّ من صفاته تعالى الثبوتية الحقيقية الكماليّة التى تسمّى بصفات الجمال والكمال، كالعلم والقدرة والغنىّ والإرادة والحياة- وهى كلّها عين ذاته ليست هى

(١) سورة الإسراء، الآية: ۴۴.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٢۶

صفات زائدة عليها، وليس وجودها إلّاوجود الذّات، فقدرته من حيث

الوجود حياته، وحياته قدرته، بل هو قادر من حيث هو حىّ، وحىّ من حيث هو قادر، لا اثنينية فى صفاته ووجودها، وهكذا الحال فى سائر صفاته الكمالية، نعم هى مختلفة فى معانيها ومفاهيمها لا فى حقائقها ووجوداتها، لأنّه لو كانت مختلفة فى الوجود وهى بحسب

الفرض قديمة وواجبة كالذات، لزم تعدّد واجب الوجود ولانثلمت الوحدة الحقيقية، وهذا ما ينافى عقيدة التوحيد. وأمّا الصفات الثبوتية الإضافية كالخالقيّة والرازقيّة والتقدّم والعليّة، فهى ترجع فى حقيقتها إلى صفة واحدة حقيقية، وهى القيوميّة لمخلوقاته، وهى صفة واحدة تنتزع منها عدّة صفات باعتبار اختلاف الآثار والملاحظات. وأمّا الصفات السلبيّة التى تسمّى بصفات الجلال فهى ترجع جميعها إلى سلب واحد هو سلب الإمكان عنه، فإن سلب الإمكان لازمه بل معناه سلب الجسمية والصورة والحركة والسكون والثقل والخفّة وما إلى ذلك، بل سلب كلّ نقص، ثمّ إنّ مرجع سلب الإمكان فى الحقيقة إلى وجوب الوجود، ووجوب الوجود من الصّفات الثبوتية الكمالية، فترجع الصفات الجلالية (السلبيّة) آخر الأمر إلى الصفات الكمالية (الثبوتية) واللّه تعالى واحد من جميع الجهات لا تكثر فى ذاته المقدسة ولا تركيب فى حقيقة

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٢٧

«الْمَلِكِ» [١] أى‌السلطان المطلق للعالم العلوى وما فيه، من الملك والكواكب والشمس والقمر وغيرها، والعالم السفلى وما اشتمل عليه من الإنس والجنّ والشياطين وما سواها، وما فوقهما وما تحتهما.

الواحد الصّمد «١».

[١] قال الشيخ الطّوسى قدّس سرّه: «الملك» يعنى المالك للأشياء كلّها، ليس لأحد منعه منها، «القدوّس» المستحق للتعظيم بتطهير صفاته من كلّ صفة نقصٍ، «العزيز» معناه القادر الذى لا يقهر ولا يغلب، «الحكيم» فى جميع أفعاله «٢».

وقال الفخر الرازى: «الملك» إشارة إلى إثبات ما يكون من الصفات العالية ولفظ «القدّوس» هو إشارة إلى نفى ما لا يكون منها، وعن الغزالى (القدّوس) المنزّه عمّا يخطر ببال أوليائه» إلى أن قال «الثانى القدّوس من الصّفات السلبيّة، وقيل: معناه المبارك «٣».

وقال العلّامة الطباطبائى: التسبيح تنزيه الشىء، ونسبته إلى

---

(١) عقائد الإماميّة: ١۶.

(٢) التبيان فى تفسير القرآن ١٠/ ٣- ۴.

(٣) مفاتيح الغيب/ التفسير الكبير للفخر الرازى ٣٠/ ٥٣٧.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٢٨

واختص هذا الوصف وما بعده بالذكر، لأنّ تسبيح الأشياء له تعالى بها أظهر، كما لا يبعد ذلك.

«الْقُدُّوسِ» أى‌المنزّه غاية التنزه حتى عن الإحتياج إلى المؤثّر، فإنّ غيره وإن كان مجرّداً عن عالم المادة بتوابعها، وعن الجسمية ولوازمها، لكنّه مع ذلك لا- غناء له عن كثير من الحاجات، ولا أقلّ ممّا تستلزمه جهة إمكانه، فالمنزّه عن جميع الجهات ليس إلّا هو جلّ وعزّ.

«الْعَزِيزِ» العزّة لا تحصل لشىءٍ إلّابأمرين: قلّة وجوده، واحتياج الغير إليه ليستفيد منه، فالكثير وجوده وإن احتاج الكلّ إليه ليس عزيزاً، كما ترى فى الماء والهواء، فكلاهما من المحتاج إليهما غاية الإحتياج، لكن كثرتهما سبب لعدم عزّتهما، وكذلك غير المحتاج إليه وما لا فائدة يعتد بها فيه، وإن قلّ وجوده غاية القلّة حتى

الطهارة والنزاهة من العيوب والنقائص، والتعبير بالمضارع للدلالة على الإستمرار، و «الملك» هو الإختصاص بالحكم فى نظام المجتمع، و «القدوس» مبالغة فى القدس وهو النّزاهة والطهارة، و «العزيز» هو الذى لا يغلبه غالب، و (الحكيم) هو المتقن فعله فلا يفعل عن جهل أو جزاف «١».

---

(١) الميزان فى تفسير القرآن ١٩/ ٢۶٣.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۲۹

انحصر فی فرد، کما هو واضح.

وهو سبحانه فرد متفرّد لاـ نـدّ له، محتـاج إليه غايـة الإحتياج، فإنّ الأشـياء کلّها فی الآنات جميعها محتاجـة إليه، فهو تعالی عزيز بقول مطلق، وعزّة ما سواه حاصلة منه، کما هو ظاهر.

«الْحَکِيم» ذو الحکمـة البالغة الکاملة، وهو العالم بالأشـياء وترتيبها وتنظيمها علی أحسن وجه وأکمل ترتيب، فإنّ الحکمة- کما تحقّق فی محلّه- نظريّة وعمليّة، والحکيم المطلق هو الحائز لهما، فيعلم ما ينبغی أن يعلم، ويعمل ما ينبغی أن يعمل، وهو سبحانه وتعالی عالمٌ بتدبير الأمور فی الکائنات من السّـموات والأرضـين وما بينهنّ وما فوقهنّ وما تحتهنّ، وجاعلٌ لها علی أحسن ما يکون وأتمّ ما يتصوّر. وبهذا تبيّن الوجه فی قوله عزّ من قائل (الحکيم) دون العليم والقدير، إذ الحکمة المطلقة تستلزم العلم والقدرة دون العکس، ومن شؤن هذه الحکمة بعث الرّسل، کما سنذکره.

واعلم أنّ تنزيه الأشـياء- بالمعنی المتقـدّم فی قوله «يسبّح للّه» تعالی- بالملک والنّزاهـة والعزّة والحکمة، أظهر وأوضح من تنزيهها له تعالی ببعض صفاته الجلاليّة أو الجماليّة الخارجة عن هذه الصفات کما لا يخفی [۱]. أمّا مثل عدم الترکيب (أعنی الواحديّة)

[۱] قال صدر المتألّهين فی الفرق بين صفات الذّات وصفات

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۳۰

الفعل: «کلّ ما هو صـفة الـذّات، فهو أزلی غير مقـدور، وکلّ ما هو صـفة الفعل، فهو ممکن مقدور، وبهذا يعرف الفرق بين الصـفتين. فإذن نقول لمّا کان علمه تعالی بالأشـياء ضـروريّاً واجباً بالذّات، وعدم علمه بها محالًا ممتنعاً بالذّات، فلا يجوز أن يقال: يقدر أن يعلم ولا يقـدر أن لا يعلم، لأنّ أحد الطرفين واجب بالذّات والآخر ممتنع بالذّات، ومصـحّح المقدورية هو الإمکان، وکذا الکلام فی صـفة الملـک والعزّة والحکمـة والجـود والمغفرة والغفران وغيرهـا مـن صـفات الـذّات، کالعظمـة والکبريـاء والجلال والجمـال والجـبروت وأمثالها، وهـذا بخلاف صـفات الفعل، فإنّه يجوز أن يقال: أنّه يقـدر أن يثيب ويعاقب، ويقدر أن لا يثيب ولا يعاقب، ويقدر أن يحيی ويقـدر أن يميت، ويقـدر أن يهـدی ويقـدر أن يضلّ، وهکـذا فی سائر صـفات الأفعال. فمن هـذا السّبيل يعلم الفرق بين صـفة الذّات وصفة الفعل» «۱».

وقال العلّامة الطباطبائی فی صفات الذّات والفعل: «وتحقّق أنّ وجوده صرف بسيط واحد بالوحدة الحقة، فليس فی ذاته تعدّد جهة، ولا تغاير حيثية، فکلّ کمال وجودی مفروض فيه عين ذاته، وعين

---

(۱) شرح أصول الکافی، کتاب التوحيد، باب الإرادة، ذيل الحديث السّابع.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۳۱

وعـدم الشـرکة (أعنی الأحديّـة) فظاهرٌ من الملکيّة المطلقة، فإنّ المالک المطلق لا يمکن أن يکون أکثر من واحد. بل يمکن أن يقال بأنّ الأوصاف الأربعة المذکورة فی الآية، مستلزمة لجميع الصفات الجماليّة والکمالية [۱]

الکمال الآخر المفروض له.

فالصـفات الذّاتيـة التی للواجب بالـذّات کثيرة مختلفـة مفهوماً، واحـدة عيناً ومصـداقاً وهو المطلوب ... ولا ريب أنّ للواجب بالـذّات، صـفات فعليّـة مضافـة إلی غيره، کالخـالق والرازق والمعطی والجواد والغفور والرّحيم إلی غير ذلک، وهی کثيرة جـدّاً يجمعها القيّوم، ولمّا کانت مضافة إلی غيره تعالی، کانت متوقفة فی تحققها إلی تحقّق الغير المضاف إليه، وحيث کان کلّ غير مفروض معلوماً للذّات المتعاليـة، متـأخّراً عنهـا، کانت الصّـِفة المتوقفـة عليه متأخّرة عن الـذّات، زائـدة عليها، فهی منتزعـة من مقام الفعل منسوبـة إلی الـذّات المتعالية» «۱».

[١] وتسمّى فى عرف الكلاميّين بالصّفات الثبوتيّة والسّلبية أيضاً، أمّا الصّفات الثبوتيّة، فهى كالعلم والقدرة والحياة والإرادة وغيرها. وأمّا الصّفات السلبيّة الجلالية للّه تعالى، فهى الشريك والتركيب

---

(١) نهاية الحكمة: ٢٥١ و ٢٥٣.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٣٢

والإمكان والرؤية، والإحتياج إلى ما سواه، وامتناع القبح عليه، ونفى الجسميّة عنه، وعدم حلوله فى مكان، جلّ جلاله عن هذه الصّفات.

قال آية اللّه العظمى الشيخ محمد حسين الأصفهانى فى الصفات الثبوتيّة والسّلبية والجماليّة والكماليّة:

صفاته الكاملة العليّة إمّا ثبوتيّة أو سلبيّة

بها تجلّت لأولى الكمال مراتب الجلال والجمال

والحقّ ذو الجلال والإكرام بالإعتبارين بلا كلام

ثمّ الثبوتيّة من صفاته إمّا شؤون فعله أو ذاته

فما يكون من شؤون الذّات كالعلم والقدرة والحياة

هى الحقيقيّة عند الحكماء وتلك عين الذات أيضاً فاعلها

وما يكون من شؤون فعله فإنّهُ كخلقه وجعله

هى الإضافيّة وهى واحدة وهى على الذّات لديهم زائدة

لا توجب السّلوب كثرة ولا حدّاً لها وإن تكن بشرط لا

بل هى سلب مطلق النقصان كسلب الإفتقار والإمكان

كلّ كمال كان للموجود فثابت لواجب الوجود

وما يسمّى صفة الجمال لا شكّ أنّه من الكمال

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٣٣

ولهذا اختصّت بالذّكر، فَتَدبّرَ [١].

ومثله فيه تعالى شأنه يكفيه فى وجوبه إمكانه

كيف ولا كمال للذّوات بلا وجود كامل بالذّات

[١] أقول: هذه الصّفات غير الصّفات التى ذكرها أمير المؤمنين على عليه السلام، حيث قال: «أوّل الدّين معرفته، وكمال معرفته التّصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفى الصّفات عنه، لشهادة كلّ صفة أنّها غير الموصوف، وشهادة كلّ موصوف أنّه غير الصّفة، فمن وصف اللّه سُبحانه فَقَدْ قَرَنَهُ» «١».

قال السيّد القزوينى الحائرى:

التوحيد على أربعة مراتب ١- توحيد الذّات ٢- توحيد الصّفات ٣- توحيد الأفعال ۴- توحيد العبادة؛

والمقصود من التّوحيد هنا هو: توحيد الذّات أى يعتقد العبد إنّ اللّه وحده لا شريك له، وتوحيد الصّفات هو: أنّ صفات اللّه عين ذاته وذاته عين صفاته، وسيأتيك التّفصيل فى المستقبل القريب إن شاء اللّه تعالى، وتوحيد الأفعال هو: إنّ اللّه خلق الموجودات الأوليّة كالسّموات

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٣۴

والأرضين وغيرها بلا معين ولا آلة، وتوحيد العبادة هو: أن يعبد العبد ربّه خالصاً ولا يشرك بعبادة ربّه أحداً، والقسم الأخير هو النّوع الكامل، كما قال عليه السّلام: «وكمال توحيده الإخلاص له»، وقيل: المقصود من الإخلاص، هو جعله خالصاً من النّقائص، كالجسم والعرض وما شاكل من النّقائص، فهذه المراتب الأربع كاملة بالنّسبة إلى ما قبلها، ناقصة بالنّسبة إلى ما بعدها، وكمال الإخلاص له نفى الصّفات عنه، لشهادة كلّ صفة أنّها غير الموصوف، وشهادة كلّ موصوف أنّه غير الصّفة، أشار عليه السّلام إلى توحيد الصّفات.

فنقول: كلّ موجود فى العالم موصوف بصفة من الصّفات، كالعلم، والحياة وغيرهما من ملايين الصّفات، فهناك فرق بين الصّفة والموصوف، مثلًا علم الإنسان غير الإنسان نفسه، أو حلاوة التّمر غير التّمر، فالصّفة غير الموصوف والموصوف غير الصّفة والفرق بينهما كثير، لأنّ الصّفة عرض والموصوف جوهر، لكن صفات اللَّه تعالى عين ذاته وذاته عين صفاته، وبعبارة أخرى: إنّ اللَّه وصفاته شىء واحد، لا فرق بينهما فى الوجود والحقيقة، وقد سبق فى كلامه عليه السّلام إنّه ليس لصفته حدّ محدود، فإذا كانت الصّفة عين الذّات فكذلك الذّات

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٣۵

غير محدودة، وأدنى مراتب الإخلاص فى العبادة قصد القربة إلى اللَّه تعالى، وعدم قصد الرّياء والسمعة، وأعلى مراتب الإخلاص نفى الصفات عن البارى جلّ وعلا، أىإذا أتى العبد بعمل خالصاً للَّه، فكان يعتقد أنّ ربّه شىءٌ وصفته شىءٌ آخر فقد عبد إلهين اثنين، أحدهما الذات والآخر الصفة، ولكنّه إذا اعتقد توحيد الذات والصّفات كما تقدّم، فقد أخلص كمال الإخلاص، فمن وصف اللَّه سبحانه فقد قرنه، قد ذكر عليه السّلام فى أوائل الخطبة «ليس لصفته حدّ محدود».

ثمّ ذكر عليه السّلام (وكمال الإخلاص له نفى الصّفات عنه) فكيف الجمع بين هاتين العبارتين؟

فنقول: المقصود من الجملة الأولى إنّ صفة اللَّه عين ذاته وذاته غير محدودة فصفته غير محدودة، والمقصود من نفى الصفات عنه، أى الصفات الزائدة على وجود الذّات ووجود الذّات غير وجودها كما تقدّم فى المثال بالإنسان والعلم، فمن وصف اللَّه بتلك الصفات الزائدة على الذات، فقد قرنه بغيره أىقرن ذات اللَّه بغير ذاته، مثلًا: إذا اعتقد أنّ علم اللَّه كعلم الناس، أىإنّ اللَّه شىء وعلمه شىء آخر، فقد جعله قرين علمه «١».

---

(١) شرح نهج البلاغة للسيّد محمّد كاظم القزوينى الحائرى ١/ ٣۴.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٣۶

وقال السيد حبيب اللَّه الخوئى: وكمال الإخلاص له نفى الصفات عنه أىالصفات التى وجودها غير وجود الذات، وإلّا فذاته بذاته مصداق لجميع النعوت الكماليّة والأوصاف الإلهيّة من دون قيام أمر زائد بذاته تعالى، فرض أنّه صفة كماليّة له، فعلمه وإرادته وقدرته وحياته وسمعه وبصره كلّها موجودة بوجود ذاته الأحديّة، مع أنّ مفهوماتها ومعانيها متخالفة، فإنّ كمال الحقيقة الوجودية فى جامعيّتها للمعانى الكثيرة الكماليّة مع وحدة الوجود «١».

وقال العلّامة مغنية: لا يختلف اثنان من المسلمين فى أنّ اللَّه سبحانه يوصف بكلّ ما وصف به نفسه فى كتابه العزيز، وإنّ عظمته فى الكمال والجلال كما هى، لا يحدّها وصف ولا يدركها عقل، وإنّها أزليّةٌ أبديّة تماماً كذاته القدسيّة ... وإنّما الكلام والخلاف فى أنّ الصّفات العليا بأىّ معنى تنسب إليه تعالى وتطلق عليه، هل تنسب إليه جلّت عظمته على أنّها شىء غير الذات وزائدة على كنهها وحقيقتها تماماً، كما هى الحال فى وصف الإنسان بالعلم، فإنّ حقيقة الإنسان حيوان ناطق، وحقيقة العلم الكشف عن الواقع، فإذا وصفنا الإنسان بالعلم فقد

(١) منهاج البراعة فى شرح نهج البلاغة ١/ ٣٢١.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٣٧

وصفناه بما هو زائد وخارج عن ذاته وطبيعته، وإلّا كان الإنسان بما هو عالماً من غير كسب واستفادة وبحث ودرس، وهذا خلاف الحسّ والوجدان، هل وصف اللَّه بالعلم وغيره كذلك وعلى هذا الحال، أو أنّ اللَّه يوصف بالعلم والقدرة بمقتضى ذاته وحقيقته لا بشيء زائد عنها تماماً، كوصف الإنسان بالإنسانية والشجر بالشجرية.

وذهب أهل العدل إلى أنّه لا صفات لذات اللَّه تزيد على ذاته، وإنّ وصفه بالعلم والقدرة تماماً، كوصف الإنسان بالإنسانية والشجر بالشجرية، لأنّ ذاته تعالى بما هى وبطبعها وحقيقتها تقتضى العلم والقدرة، بل هى عين العلم والقدرة، كما أنّ الإنسانية عين الإنسان، لأنّ كماله تعالى ذاتى لا كسبى، ومطلق غير مقيّد بشيء دون شيء، وجهة دون جهة، وأنّه بموجب هذا الكمال الذاتى المطلق غنىّ عن كلّ شيء يزيد على ذاته وكنهه ... ولماذا الزيادة؟ وما هو الداعى إليها ما دامت الذات القدسية كاملة بنفسها من كلّ الجهات؟ وهل نحتاج إلى الزائد لنكمل به الكامل، ونتمم التام؟ وعلى هذا، إذا أطلقت صفات الكمال عليه تعالى، كالعالم والقادر، فيجب أن يراد بها نفس الذات القدسيّة التى تقتضى القدرة والعلم، بل هى عين العلم والقدرة تماماً، كما يراد من

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٣٨

كلمة اللَّه وكلّ وصف جاء فى القرآن الكريم وعلى ألسنة الراسخين فى العلم، فإنّ المراد هذا المعنى بالخصوص.

أمّا الصفات المنفيّة عن ذاته تعالى فى كلام الإمام عليه السّلام، فهى الأحوال الخارجة عن الذات والزائدة عليها، وتعرض لها بسبب من الأسباب تنفى هذه عنه، لأنّها من صفات المخلوقين دون الخالق.

«وكمال الإخلاص له نفى الصفات عنه» أىنفى الصفات الخارجة عن الذات وطبيعتها، لا نفى الصفات التى هى عين الذات وحقيقتها، وإلّا فإنّ كلام الإمام عليه السّلام ملىء بصفات اللَّه سبحانه، بل هو هذا الكلام يصفه أكمل الوصف.

«لشهادة كل صفة أنّها غير الموصوف» وكلمة الصفة تدلّ بنفسها على نفسها، وإنّها من المعانى المضافة إلى الموصوف التابعة له وجوداً وعدماً، ومن البداهة إنّ التابع غير المتبوع، والمضاف غير المضاف إليه.

«وشهادة كل موصوف أنّه غير الصفة» لأنّه فى غنىّ عنها وهى فى حاجة إليه، وإذن يستحيل نسبة الصفة إليه تعالى بمعناها الحقيقى وإلّا لزم تعدّد القديم، وتركيب الذات القدسية الواجبة الوجود ... وهذه هى الصفة التى يجب نفيها عنه تعالى توحيداً للكمال المطلق، وتنزيهاً لذاته

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٣٩

«هُوَ الَّذى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفى ضَلالٍ مُبِينٍ». «هُوَ الَّذى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ» [١].

عن كل شائبة، أمّا إذا أريد من الصفة مجرّد الإشارة إلى تفرّده تعالى فى الجلال والكمال، فجائز قطعاً، وراجح عقلًا وشرعاً، وإلّا فبأىّ شيء نتوسّل إليه تعالى ونثنى عليه؟ «١»

[١] قال علىّ عليه السّلام: إنّ اللَّه بعث محمّداً صلّى اللَّه عليه وآله، وليس أحد من العرب يقرأ كتاباً ولا يدّعى نبوّة، فساق الناس حتى بوّأهم محلّتهم وبلّغهم منجاتهم، فاستقامت قناتهم وأطمأنت صفاتهم «٢».

اللغة: بوأهم محلّتهم أنزلهم منزلتهم، القناة القوة والغلبة والدوالة (واطمأنت صفاتهم) إنّهم كانوا على حجر أملس متزلزل فاطمأنت أحوالهم فى مواطنهم.

وقال عليه السّلام: بعثه والناس ضلّال فى حيرة وخابطون فى فتنة، قد استهوتهم الأهواء واستزلّتهم الكبرياء واستخفّتهم الجاهليّة

الجهلاء، حيارى فى زلزال من الأمر وبلاء من الجهل، فبالغ صلّى اللّه

---

(١) فى ظلال نهج البلاغة ١/ ٢٠.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٣٣.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٤٠

إعلم أنّه يقع الكلام فى هذه الآية من وجوهٍ خمسة:

الأوّل: إرتباط هذه الآية بالآية السابقة.

عليه وآله فى النّصيحة ومضى على الطريقة ودعا إلى الحكمة والموعظة الحسنة «١».

اللغة: (وخابطون) ضاربون فى البدع على غير نظام. و (استزلّتهم) أدت إلى الزلل والسقوط فى المضار. (واستخفتهم) طيشتهم (الجهلاء) وصف مبالغة للجهل.

وكذا دعوة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، فى قوله تعالى:

«رَبَّنا وَابْعَثْ فيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزيزُ الْحَكيمُ» «٢».

وهو صلّى اللّه عليه وآله وسلّم، الذى مُنّ على المؤمنين ببعثته فى فى قوله تعالى: «لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنينَ إِذْ بَعَثَ فيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفى ضَلالٍ مُبينٍ» «٣».

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٩٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٩.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١۶۴.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٤١

الثانى: وجه البعث وسببه، وتحقيق معنى اللّطف.

الثالث: تحقيق معنى الأمىّ وما فيه.

الرابع: علّة البعث فى الأمّيّين دون غيرهم.

الخامس: سبب كون الرسول منهم دون غيرهم.

أمّا الوجه الأوّل: فيظهر بعد تحقيق الأمور الأربعة، وسنشير إليه إن شاء اللّه تعالى بعد تحقيقها.

أمّا الوجه الثّانى: فَاعْلم أنّه قد ذكر فى وجه بعث الرّسل تفاصيل لا طائل تحتها، وسنذكر وجوهاً أربعة ممّا يمكن الإستدلال به على وجوب البعثة، بمعنى امتناع عدمه مختصراً مجملًا:

الأوّل: قاعدة اللّطف، ومعنى وجوبه إمتناع عدمه، لا الوجوب التشريعى [١]، كما هو ظاهرٌ، والدليل على امتناع عدمه: لزوم خروج الإله لولاه عن الألوهيّة، والتالى باطلٌ بالضرورة، فالمقدّم مثله.

[١] إرسال الرّسل ونصب الإمام واجبان على اللّه من باب اللّطف، لأنّه أوجب على نفسه «كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ» «١»

، وهذا كقولنا العدل واجب على اللّه، واللطف واجب على اللّه، والرحمة واجبة على

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ۵۴.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٤٢

اللّه، وأمثال ذلك هو بمعنى: امتناع الظّلم عليه وامتناع عدم اللّطف بيان الملازمة: أنّه لا ريب فى كون اللّطف من الصّفات الجماليّة الكماليّة، لحسنه المعلوم بالوجدان والمبرهن عليه فى الكتب الكلاميّة، فيلزم اتّصافه سبحانه به، وبعث الرّسل لطفٌ، لأنّ الرّسول هادٍ من الضّلالة، مرشدٌ للناس إلى مصالحهم الجسميّة والعقليّة والدنيويّة والأخرويّة، فلو لم يبعث الرّسل لم يكن لطيفاً، ولو لم يكن لطيفاً لم يكن جامعاً للصّفات الجماليّة [١]، فيكون ناقصاً، والنّاقص لم يكن إلهاً، كما برهن فى محلّه، لأنّه هو الجامع للصّفات الكماليّة، فيلزم من عدم بعث الرّسل عدم كونه إلهاً.

وامتناع عدم الرّحمة، ولا يتوهّم من قولنا هذا واجب على اللّه، إنّا نقصد الوجوب التشريعى، مثل قولنا الصّلاة واجبة على العباد.

[١] قال الشيخ المفيد (قده): إنّ ما أوجبه أصحاب اللّطف (الإماميّة) من اللّطف، إنّما وجب من جهة الجود والكرم، لا من حيث ظنّوا (المعتزلة) أنّ العدل أوجبه وأنّه لو لم يفعله لكان ظالماً «١».

وقال المظفّر: إنّما كان اللّطف من اللّه تعالى واجباً، فلأنّ اللّطف بالعباد من كماله المطلق وهو اللطيف بعباده الجواد الكريم، فإذا كان المحلّ قابلًا ومستعدّاً لفيض الجود واللّطف، فإنّه تعالى لا بدّ أن يفيض

---

(١) أوائل المقالات: ۴/ ۵۹ من مصنّفات الشيخ المفيد.

وأمّا ما يقال من عدم المنافاة بين اللّطف وعدم البعث، لعدم انحصاره فيه، فمردودٌ، بأنّ المراد من اللّطف هو اللّطف المطلق، فلو لم يبعث لم يكن لطيفاً بقولٍ مطلق [١].

الثانى: أنّ بعث الرّسل واجب، وعدمه ممتنع، لأنّ علّة الإيجاد أى سبب خلق الخلق ليس إلّامعرفة اللّه جلّ شأنه، كما يدلّ عليه لطفه، إذ لا بخل فى ساحة رحمته ولا نقص فى جوده وكرمه، وليس معنى الوجوب هنا أنّ أحداً يأمره بذلك، فيجب عليه أن يطيع تعالى عن ذلك، بل معنى الوجوب فى ذلك هو كمعنى الوجوب فى قولك أنّه واجب الوجود أىاللزوم واستحالة الإنفكاك «١».

[١] قال السيد مهدى الصدر: قد تدارك اللّه عزّ وجلّ البشر بلطفه، وانقذهم من مآسى التسيب والطغيان، بأن اختار منهم رسلًا وأنبياء وحلاهم بأرفع وأكمل الخصائص والمآثر، ليكونوا قادة الفكر ودعاة الإصلاح ورواد الفضائل، وجعلهم من البشر بمنزلة العقل من الإنسان والنور من البصر والشمس من الكواكب يستهدون بهم فى متاهات الحياة ومسالكها المليئة بالأشواك والأخطار «٢».

---

(١) عقائد الإمامية: ۵۱.

(٢) أصول العقائد فى النبوة ٢/ ٢٠.

البرهان [١]، والأخبار البالغة حدّ التواتر، والحديث القدسى [٢]، وقد فسّر بعض الآيات [٣] به، وهى أىمعرفة اللّه لا تحصل إلّابالبعث والإرسال، لأنّ العقول غير قابلة لمعرفته، لأنّ غاية ادراكها المعقولات المستفادة من المحسوسات، ومعرفته تعالى بما لها من المزايا الخاصّة هى المعقولة من جميع الوجوه، كما هو ظاهرٌ، وعليه أخبارٌ كثيرة، فلو لم يبعث لزم نقض الغرض، ولا شكّ فى قبحه، لأنّه

[١] قال السيد مهدى الصدر: قد أرسل اللّه الأنبياء والمرسلين على الخلق مبشّرين ومنذرين عبر العصور السالفة، وابتعث كلّ فرد منهم بدستور يلائم وعى أمته وظرفها الخاص متدرجاً بدساتيره وشرائعه نحو التكامل، حتى أكملها وختمها بالإسلام الخالد المواكب لأطوار الحياة والملائم بجميع العصور والأجيال «١».

[٢] «كنت كنزاً مخفيّاً فأحببت أن اعرف، فخلقت الخلق لأعرف» «٢».

[٣] قال تعالى: «ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلّا لِيَعْبُدُونِ» «٣».

(١) أصول العقائد فى النبوة ٢/ ١٩.

(٢) شرح أصول الكافى: للشيخ محمّد صالح المازندرانى ١/ ١٠٦.

(٣) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٤٥

ينشأ من البداء [١] أو عدم القدرة، وكلاهما محالان فى حقّه تعالى، للزومهما النّقص، والنّاقص محتاج، والمحتاج ليس إلهاً.

[١] «البداء: كسلام، له معنيان:

الأوّل: البداء بمعنى الظهور، بدا له فى الأمر، إذا ظهر له استصواب شىء غير الأوّل، وهو الظهور بعد الخفاء أو حصول العلم بعد أن لم يكن عالماً، مثلًا إذا قيل: بدا لفلان فى أمره، معناه ظهر له ما كان مخفياً عليه، أو حصل له رأى ولم يكن سابقاً عالماً ومتنبهاً إليه.

والبداء بهذا المعنى مستحيل على اللَّه عزّ وجلّ، فإنّ علم اللَّه تعالى عين ذاته، فكيف يمكن دخول التغيير والتبديل فيه «لاتَبْدِيلَ لِكَلِماتِ اللَّهِ» «١»

(وقال): «لاتَبديلَ لِخَلْقِ اللَّهِ» «٢»

(وقال) «سُنَّةَ اللَّهِ الَّتى قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْديلًا» «٣».

وعلى هذا المعنى يحمل ما ورد فى الأخبار من استحالة البداء عليه تعالى، كما جاءت به الروايات عن الأئمّة المعصومين عليهم السّلام مثل:

(١) سورة يونس، الآية: ٦۴.

(٢) سورة الرّوم، الآية: ٣٠.

(٣) سورة الفتح، الآية: ٢٣.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ۴۶

١- «إنّ اللَّه لم يَبْدُ لَهُ مِنْ جَهْلٍ» «١».

٢- «ما بدا للَّه فى شىء إلّاكان فى علمه قبل أن يبدو له» «٢».

٣- وعن الصّادق عليه السّلام قال: «من زعم أنّ اللَّه عزّ وجلّ يبدو له فى شىء [اليوم] لم يعلمه أمس فابرؤا منه «٣»» «۴».

وهذا ما أراده السيّد الوالد قدّس سره من قوله: (فلو لم يبعث لزم نقض الغرض ولا شك فى قبحه، لأنّه ينشأ من البداء أو عدم القدرة وكلاهما محالان فى حقّه تعالى).

الثانى من معنى البداء: هو إظهار ما كان مستوراً ومخفيّاً للغير، تارةً:

كان هناك مصلحة فى إخفاء الأمر ثمّ تزول تلك المصلحة بحصول مصلحةٍ أخرى تستوجب الكشف والإظهار، ويظهر به للمكلف ما لم يكن ظاهراً، ويحصل له العلم به بعد إن لم يكن عالماً، وفى هذه الصورة، الأمر الواقع لم يتغيّر ولم يتبدّل، وإنّما التبدل حصل فى إظهار ذلك

(١) الكافى ١/ ١۴٨، الرّقم ١٠، بابُ البداء.

(٢) الكافى ١/ ١۴٨، الرقم ٩، بابُ البداء.

(٣) كمال الدين وتمام النعمة: ٧٠، وبحار الأنوار ۴/ ١١١، الرقم ٣٠ وليس فيه كلمة «اليوم».

(۴) راجع مجمع البحرين ١/ ١۶٧ و ١۶٨، وأجوبة مسائل جار اللّه للسيّد شرف الدين: ١٠٠ باختلافات يسيرة.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ۴٧

المكتوم بعد إخفائه، وتارةً: يكون بقاء الأمر الواقع منوطاً بوجود مصلحة محدودة بزمانٍ خاصّ، فعندما ينتهى ذلك الوقت وتزول المصلحة لا يبقى هذا الأمر، فيظهر من وجود أمر آخر إنّه تابع لمصلحة أخرى، وفى هذه الصّورة لا يكون الأمر الواقع هو هو، وإنّما يتغيّر ويتبدّل للمصلحة، لأنّ الأمر الواقع الجديد مستحدث، كما هو الحال فى النسخ الذى لا يتخلف عن البداء بشىء سوى أن البداء فى الأمور التكوينية والنسخ فى الأمور الشرعيّة.

والبداء بهذا المعنى بكلا شقّيه (مصلحة الإظهار وانتهاء زمان المصلحة) جائز على اللّه، إذ أنّه لا يستلزم التردد والجهل بالأمور الواقعية أو مصالحها حتى تكون مستحيلًا على اللّه، وإنّما هو إظهار ما خفى على الغير، وعلى هذا يحمل قوله تعالى «وَبَدا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ ما لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ» «١».

مثلًا قدّر اللّه عمر إنسان حين صوّره ستّين أو سبعين سنة، لكنّه لو وصل رَحِمه، أو تصدّق بصدقة لأضيف لذلك العمر المقدّر حين التّصوير، ولو قطع رحمه أو فعل الذنب الذى يقطع العمر، لنقص ذلك

---

(١) سورة الزمر، الآية: ۴٧.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ۴٨

العمر إلى الحدّ الذى يعلمه اللّه».

قال الشيخ المفيد: «فى معنى البداء وما يذهب إليه أهل العدل خاصّة من الزيادة فى الآجال والأرزاق، والنقصان منهما بالأعمال» «١».

هذا فى الأمور التكوينية.

أمّا التشريعية، فلها أمثلة كثيرة فى الكتاب والسنّة، واستدلّ المسلمون على جوازه ووقوعه، منها: إنّ الصلاة كانت فى بدء الإسلام إلى جهة بيت المقدس، ثم نسخت وتحوّلت إلى جهة بيت اللّه الحرام، كما نطقت الآية «فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ» «٢».

ومنها: قصّة إبراهيم عليه السّلام وقوله لإبنه إسماعيل: «إِنّى أَرى فِى الْمَنامِ أَنّى أَذْبَحُكَ» «٣»

. ومعلوم أنّه رآه عن مكاشفة صدق لا مكاشفة كهانة أو تنجيم عن تجربة ناقصة، ولذا أراد أن يعمل بمقتضاه كان قوله حقّاً وصدقاً وعلمه مرضيّاً عند اللّه تعالى حتّى إذا أخبره اللّه بعلمه المكنون عنده بغير ما اطلع عليه أوّلًا من الأمور المدبّرة بالأسباب

---

(١) أوائل المقالات من مصنّفات الشيخ المفيد ۴/ ٨٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١۴۴.

(٣) سورة الصّافات، الآية: ١٠٢.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ۴٩

الخاصّة المقدّرة، فعلم إبراهيم عليه السّلام ما لم يكن يعلم، إذ زعم إبراهيم أنّ غير الكائن هو الكائن، ثمّ ظهر له خلافه فيقال لمثل هذا، النّسخ.

والبداء «فهو ما أفاد النّسخ بعينه، ويكون إطلاق ذلك عليه على ضرب من التوسّع، وعلى هذا الوجه يحمل جميع ما ورد عن الصّادقين عليهما السّلام من الأخبار المتضمّنة لإضافة البداء إلى اللّه تعالى، دون ما لا يجوز عليه، من حصول العلم بعد أن لم يكن، ويكون وجه إطلاق ذلك فيه تعالى والتشبيه، هو أنّه إذا كان ما يدلّ على النسخ، يظهر به للمكلّفين ما لم يكن ظاهراً لهم، ويحصل لهم العلم به بعد أن لم يكن حاصلًا لهم، أطلق على ذلك لفظ البداء» «١».

إذاً لو قالت الشيعة: بدا للّه، لم يكن غلطاً، لأنّ البداء فى التكوينيات نظير النسخ فى التّشريعيّات، فكما أنّ النسخ إنتهاء أمد الحكم لا رفعه وإزالته، فكذلك حقيقة البداء إنتهاء اتصال إفاضة الوجود، لتضييق دائرة اقتضاء الشرائط والمعدات والقوابل والإستعدادات، وهذا معنى الآية «يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ

---

(١) عدّة الأصول ٢/ ٤٩٥ و ٣/ ٢٩.

أُمُّ الْكِتابِ» «١»

أى إنّ عند اللّه لوحين: لوح يصحّ فيه المحو والإثبات، ولوح ثابت لا يتغيّر، وهو اللوح المحفوظ.

بعبارة أخرى: «فإنّ البداء الذى تقول به الشيعة الإماميّة، هو من الإبداء (الإظهار) حقيقة» «٢».

«ثمّ إنّ البداء الّذى تقول به الشيعة الإمامية إنّما يقع فى القضاء غير المحتوم، أمّا المحتوم منه فلا يتخلّف، ولا بدّ من أن تتعلق المشيّة بما تعلق به القضاء.

وتوضيح ذلك: إنّ القضاء على ثلاثة أقسام:

الأوّل: قضاء اللّه الذى لم يطلع عليه أحداً من خلقه، والعلم المخزون الذى استأثر به لنفسه، ولا ريب فى أنّ البداء لا يقع فى هذا القسم، بل ورد فى روايات كثيرة عن أهل البيت عليهم السّلام، أنّ البداء إنّما ينشأ من هذا العلم».

الثانى: قضاء اللّه الذى أخبر نبيّه وملائكته، بأنّه سيقع حتماً، ولا ريب فى أنّ هذا القسم أيضاً لا يقع فيه البداء وإن افترق عن القسم الأوّل،

---

(١) سورة الرّعد، الآية: ٣٩.

(٢) البيان فى تفسير القرآن: ٣٩٣.

الثّالث: إنّ البشر فيه استعداد للكمال، وأن يترقى من حضيض الجهل إلى أوج المعرفة، فيلزم بعث الرّسل ليرشدوهم إلى المعارف الإلهيّة بحسب الطّاقة البشريّة، ويأخذ كلّ منهم نصيبه على قدر استعداده، ولولا بعث الرّسل لزم تضييع هذه القابليّات، التى تسأل المبدأ الفيّاض بلسان حالها فى استكمالها، ليصير ما بالقوة فعليّاً، ومن المعلوم إنّ عدم الإفاضة مع تماميّة المادّة القابلة، يلازم النقص بأنّ البداء لا ينشأ منه.

الثالث: قضاء اللّه الذى أخبر نبيّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم وملائكته بوقوعه فى الخارج، إلّاأنّه موقوف على أن لا تتعلّق مشيئة اللّه بخلافه.

وهذا القسم، هو الذى يقع فيه البداء: «يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ» «١»

، «لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ» «٢»

وقد دلّت على ذلك روايات كثيرة من الشّيعة والسنّة» «٣»، «والبداء إنّما يكون فى القضاء الموقوف المعبّر عنه بلوح المحو والإثبات، والإلتزام بجواز البداء فيه لا يستلزم نسبة الجهل إلى اللّه سبحانه، وليس فى هذا الإلتزام ما ينافى

---

(١) سورة الرّعد، الآية: ٣٩.

(٢) سورة الرّوم، الآية: ٤.

(٣) البيان فى تفسير القرآن: ٣٨۶- ٣٨٨.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ۵٢

فى المفيض من عجزٍ أو بخلٍ أو جهلٍ، تعالى اللّه عن ذلك كلّه علوّاً كبيراً.

الرّابع: إنّ فى البشر قُوى متعدّدة، أحدها العقل، والباقى هى القوى الحيوانيّة من الشهويّة والغضبيّة بما لهما من شّئونٍ كثيرة وتوابع غير حصيرة، ولولا بعث الرّسل ليقوموا بتنوير عقولهم وتربيتهم وإرشادهم إلى الخير والصّلاح، لاتّبعوا القوى الحيوانيّة، ولم يكن ما لهم من العقل الفطرى الأوّلى رادعاً وزاجراً، ولا مدركاً لتبعات ما يرتكبون فى نشأتهم هذه، ولا فى النشأة الأخرى، وعند ذلك كان يختلّ النّظام أشدّ اختلال، ولهلك الحرث والنّسل، ولزم نقض الغرض من إيجاد النشأتين [١].

عظمته وجلاله «١»» «٢».

[١] والعقول تتفاوت وتتناقض فى تقييم الحقائق والحكم على الأشياء، فقد يستحسن بعضها ما يستقبحه الآخر، أو يستقبح ما

---

(١) نفس المصدر: ٣٩١.

(٢) راجع أوائل المقالات: ٣٢٧- ٣٢٩، ومجمع البحرين: ١/ ١۶٧- ١۶٨، و ٢/ ٩٨ و ۵۶٢، وراجع للتفصيل: سفينة البحار، وأجوبة مسائل جار اللّه للسيد شرف الدين، ونقض الوشيعة للسيد محسن الأمين، والإمامة الكبرى للسيد محمد حسن القزوينى الحائرى، والبيان للسيد الخوئى، والشيعة والتشيع للشيخ محمد جواد مغنية، وعقائد الإمامية للشيخ محمد رضا المظفر، والشيعة والسنة فى الميزان للشيخ سلمان الخاقانى.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ۵٣

يستحسنه غيره، حسبك فى ذلك ما شاع فى هذا العصر من صنوف النظم والمبادىء، كالديمقراطية والدكتاتورية والرأسمالية والشيوعية، فإنّها تمثل تناقض العقول، واختلاف مقاييسها فى الحسن والقبح والخير والشرّ، وطالما ضلّت العقول، وانخدعت بالتقاليد الخرافية، والأعراف المقيتة، ففى الهند مثلًا قبائل تعمد على حرق موتاها بالنار وذرّهم بالهواء، معتبرة ذلك من مظاهر توقير الميت وتكريمه، وفيها قبائل أخرى تستحسن دفن المرأة الحية مع جثمان زوجها فى قبر واحد، وهناك قوم آخرون ارتكست عقولهم إلى الدرك الأسفل من الغباء والإختلال، فغدوا يقدّسون الأبقار ويعبدونها ويتبرّكون بأبوابها، والعقل بعد هذا وذاك محدود القدرة والمكنة، فهو عاجز عن استقراء تجارب البشر وأحداث الحياة وأطوارها، عبر العصور الحاضرة والغابرة والآتية، ليخطط على ضوئها دستوراً كاملًا شاملًا يسعد البشرية ويحقق السكينة والرخاء، وليس فى وسع العقل ومقدوره أن يستطلع حقائق الآخرة، وما يحدث فيها من مفاهيم الحساب والثواب والعقاب، وصور السعادة والشقاء، لوهنه وعجزه عن ذلك، والعقل أشبه ما يكون بالبصر فى طاقته وأبعاد مرآه، فكما يستطيع البصر إدراك المرئيّات المحدودة بأمد معيّن، ويرتدّ عاجزاً كليلًا عمّا تجاوزه ونأى عنه، كذلك

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ۵۴

أمّا الوجه الثالث أعنى معنى الأمّى وما قيل فيه، فنقول:

ذهب جماعة إلى أنّ معنى الأمّى من لا يكتب ولا يقرأ، نسبةً إلى الأمّ، لأنّه كيوم ولادته من أمّه، فإنّ العرب كانوا أمّةً أُمّيين. وهذا المعنى هو الشّايع فى الألسن فى معنى الأمّى.

وذهب آخرون: إلى أنّ المراد المنسوبون إلى مكّة، أىبعث فى أهل مكّة، لأنّ مكّة تسمى «أُمَّ الْقُرى» «١»

، وفى النسبة يحذف جزؤه الثانى.

وروى القمى عن الصّادق عليه السّلام فى الأمّيين، قال عليه السّلام: «كانوا يكتبون ولكن لم يكن معهم كتاب من عند اللّه ولا بعث إليهم رسولًا، فنسبهم اللّه إلى الأمّيين» «٢»، وهذا معنى ثالث للأمّى.

وأمّا الوجه الرابع: أيعلّة البعث فى الأميّين دون غيرهم، يمكن أن يقال: إنْ أخذ الأمّى بالمعنى الأوّل، فمن لا يقرأ ولا يكتب العقل يستطيع إستجلاء الحقائق الداخلة فى إطار قدرته وآماد وسعه، ويقصر عمّا وراء ذلك، وكما يستكشف المرأى الشاسع البعيد بالنواظير المقربة ويرى واضحاً جلياً، كذلك العقل يستجلى ويستكشف ما قصر

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩٢، وسورة الشورى، الآية ٧.

(٢) تفسير القمى ٢/ ٣۶۶.

هو أحوج إلى المرشد والهادى ممّن يقرأ ويكتب، لأنّه يمكن الهداية فى حقّه ولو إجمالًا بقرائة الكتب السّماوية والعمل بها، بخلاف من لا يقرأ ولا يكتب، فإنّه بعيد عن الهداية غاية البعد. ويمكن أن يكون من علله إظهار لطفه تعالى، بأنّه لطيف غاية اللطف، لملاحظة حال الجهّال فكيف بالعلماء [١].

وإنْ أخذ بالمعنى الثانى، أيالمنسوبون إلى أمّ القرى وهم أهل مكّة، فالعلّة أوضح، لأنّ مكّة كانت مرجعاً للخلائق يقصدونه ويأتون من كلّ فجّ عميق ومكان بعيد، فكون الرّسول صلّى اللّه عليه وآله فيها أقرب إلى انتشار الأحكام من كونه فى بلد بعيد ليس معبراً ولا مقصداً.

عن وعيه وادراكه بالإستهداء بالأنبياء عليهم السّلام والإستعانة بهم على ذلك، وهذا برهان صارخ على افتقار العقول إلى هدى الأنبياء عليهم السّلام وعجزها عن الإستقلال بهداية البشر «١».

[١] قال المراغى: وتخصيص الأميّين بالذكر، لا يدلّ على أنّه لم يرسل إلى غيرهم، فقد جاء العموم فى آيات أخرى كقوله: «وَما أَرْسَلْناكَ إِلّا رَحْمَةً لِلْعالَمينَ» «٢»

وقوله: «قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنّى رَسُولُ

---

(١) أصول العقيدة للسيد مهدى الصّدر ٢/ ٢۴.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

وممّا ذكر، ظهر علّة البعث فيهم إن أخذ بالمعنى الثالث، أعنى ما تضمّنه الحديث فى معنى الأمّى.

وأمّا الوجه الخامس: وهو سبب كون الرّسول صلّى اللّه عليه وآله منهم، حيث أنّ الضمير لوحظ فيه معنى الأمية [١]، لأنّ المراد كونه من جنس البشر، لبعده عن توهّم استعانته على ما أتى من الشرايع والإعجاز بالكتب السابقة، لأنّه لو لم يكن منهم لأمكن أن يقولوا بأنّ إخباره عن الأمم الخالية والسنين الماضية مأخوذة عن الكتب السماوية، فكونه منهم أدلّ دليل وبرهان ومعجزة، بأنّه مبعوث من قبل اللّه تعالى، لظهور أنّ الأمّى- على جميع التفاسير السابقة،

اللّهِ إِلَيْكُمْ جَميعًا» «١»

وقوله: «لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ» «٢» «٣».

[١] قال الشيخ الطوسى قدّس سره: إنّ (الأميّة) فى النّبى صلّى اللّه عليه وآله فضيلة، وفى غيره نقيصة، لأنّ النبى عليه السّلام كان يخبر عن اللّه إخبار الأنبياء، فإذا كان أمّياً كان أبلغ لمعجزته وأدلّ على نبوّته، لأنّه يخبر عن اللّه تعالى، قال اللّه: «وَما كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٩.

(٣) تفسير المراغى ٢٨/ ٩٥.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٥٧

سواء أخذ بمعنى من لا يقرأ ولا يكتب، أو المنسوب إلى أمّ القرى، أو الذى لم يكن معه كتاب من عند اللَّه ولا بعث إليه رسول- لا يقدر على خوارق العادة من الفصاحة البالغة حدّ النهاية، والقوانين المتقنة غاية الإتقان، والإخبار عن الأمم السّالفة.

أمّا إنْ أخذ الأمّى بالمعنى الأوّل، أىغير العارف بالقراءة والكتابة فظاهر، كما مرّ من أنّ غير القارىء لا يتمكّن من قرائة الكتب السّالفة حتى تعينه على الإخبار عن الأمم السّابقة والقرون الماضية، وغير الكاتب لا يقدر على المكاتبة إلى البلدان العلميّة، ليستفيد منها الأخبار.

ولا يخفى أنّه لا منافاة بين كونه صلّى اللَّه عليه وآله أمّياً- بمعنى عدم عرفانه للقرائة والكتابة- وبين الرّواية المرويّة فى العلل

وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتابَ الْمُبْطِلُونَ» «١»

يعنى أنّ المبطل يرتاب لو كان يكتب، فلهذا كان فضيلة وليس كذلك غيره، لأنّه إذا لم يكتب كان نقصاً فيه ... والذى يقتضيه مذهبنا...

أنّ النّبى عليه وآله السّلام عندنا كان يحسن الكتابة بعد النبوّة، وإنّما لم يحسنها قبل البعثة «٢».

---

(١)

سورة العنكبوت، الآية: ٤٨.

(٢) المبسوط فى فقه الإمامية ٨/ ١١٩، كتاب آداب القضاء.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٥٨

عن الجواد عليه السّلام المتضمّنة لتكذيب من قال بأنّ سبب تسمية النّبى صلّى اللَّه عليه وآله أمّياً، أنّه لم يحسن أن يكتب [١]، لأنّ المراد بالأوّل أنّه لا يعرف الكتابة والقرائة عن منشأ التعلم بالأسباب الظاهرية، فيكون من حيث عدم التعلّم بالأسباب الظّاهرية كيوم ولدته

[١] عن جعفر بن محمّد الصوفى قال: «سألت أبا جعفر محمّد بن على الرضا عليهما السّلام فقلت: يابن رسول اللَّه، لِمَ سمّى النّبى الأمّى؟

قال: ما يقول الناس؟ قلت: يزعمون أنّه إنّما سمّى الأمى لأنّه لم يحسن أن يكتب، فقال عليه السّلام كذبوا عليهم لعنة اللَّه، أنى ذلك واللَّه يقول فى محكم كتابه «هُوَ الَّذى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ» فكيف كان يعلمهم ما لا يحسن، واللَّه لقد كان رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله يقرأ ويكتب باثنتين وسبعين أو قال بثلاثة وسبعين، أو قال بثلاثة وسبعين لساناً، وإنّما سمّى الأمى لأنّه كان من أهل مكّة، ومكّة من أمّهات القرى، وذلك قول اللَّه عز وجل «وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرى وَمَنْ حَوْلَها» «١».

وعن علىّ بن أسباط وغيره رفعه عن أبى جعفر عليه السّلام قال:

قلت إنّ الناس يزعمون أنّ رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله لم يكتب

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩٢، وسورة الشورى، الآية: ٧.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٥٩

أمّه والرواية متضمّنة لقدرته حالًا عن أىّ سبب كان، لأنّه عليه السّلام فى مقام ردّ من قال بعدم قدرته صلّى اللَّه عليه وآله، وأنّه صلّى اللَّه عليه وآله لم يحسن الكتابة، كما عرفت.

وتسميته بالأمّى بالمعنى الثّانى لكونه من أهل مكّة المتعرّض له فى الحديث أيضاً، غير مناف، لأنّه مقابل للأمّى بمعنى عدم القدرة وعدم التعلّم بالأسباب الظّاهرية.

وأمّا القدرة على ما ذكر من الإعجاز وغيره، إنْ أخذ بمعنى المنسوب إلى أمّ القرى، فلأنّ أهل مكّة كانوا فى غاية الجهل والضّلالة فى ذلك الزمان، فلا يمكن أن يكون أحدهم عالماً بهذه المثابة الخارجة عن قدرة البشر وعن طرق العلماء، فكيف بالجهلاء، إلّا أن يكون مربوطاً بالعالم العلوى.

ولا يقرأ، فقال عليه السّلام: «كذبوا لعنهم اللَّه، أنّى يكون ذلك، وقد قال اللَّه عزّ وجلّ «هُوَ الَّذى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفى ضَلالٍ مُبينٍ» فكيف يعلّمهم الكتاب والحكمة وليس يحسن أن يقرأ ويكتب؟ قال: قلت فلم سمّى النبى الأمّى؟ قال: لأنّه نسب إلى مكّة وذلك قول اللَّه عزّ وجلّ «لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرى وَمَنْ حَوْلَها» فأمّ القرى مكّة، فقيل أمّى لذلك «١».

---

(١) علل الشرائع ١/ ١٢۴.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٦٠

وأمّا إنْ أخذ بالمعنى الثالث، فظاهر من المعنى الثانى، فإن كونه فى مكّة مستلزم لعدم العلم مع الحالة التى عليها أهلها.

وقد ظهر من هذه الوجوه، وجه إرتباط الآية بما قبلها، فإنّ من يفعل مثل هذه الأمور هو الحكيم المطلق، وغيره لا يقدر على مثلها، فتكون هذه الآية بمنزلة البرهان الإنّى [١] للآية المتقدمة، كما هو ظاهر، ولا يخفى لطفه.

«يَتْلُو عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفى ضَلالٍ مُبينٍ» [٢].

[١] البرهان إمّا لمىّ، وهو ما ينتقل فيه من العلّة إلى المعلول، وإمّا إنى، وهو ما ينتقل فيه من المعلول إلى العلّة، فالآية تكون برهاناً إنّياً، على أنّه سبحانه ملك وحكيم على الإطلاق.

[٢] قال العلّامة الطباطبائى: وليس الحقّ إلّاالرأى والإعتقاد الذى يطابقه الواقع ويلازمه الرشد من غير غىّ، وهذا هو الحكمة. الرأى الذى أحكم فى صدقه فلا يتخلله كذب، وفى نفعه فلا يعقبه ضرر، وقد أشار تعالى إلى اشتمال الدّعوة على الحكمة بقوله: «وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ» «١»

ووصف كلّاً من المنزل به، فقال: «وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ» «٢»،

---

(١) سوره النساء الاية ١١٣.

(٢) سوره يس الاية ٢.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٦١

الظّاهر: إنّ الآيات هى التى من شأن الرّسول أن توحى إليه، فكان صلّى اللَّه عليه وآله يتلوها عليهم. ويمكن أن يراد بتلاوة الآيات إرائتهم علامات اللَّه الدّالة على وجوده سبحانه، واستجماعه للصّفات الجلاليّة والجماليّة، لأنّ الأشياء كما تقدّم كلّها مداليل على اللَّه، تدلّ على مالكيته وتنزّهه وعزّته وحكمته.

ثمّ يمكن أن يكون المراد من قوله تعالى «وَيُزَكِّيهِمْ» [١] أى عن الشّرك والإلحاد والجهل.

وعدّ رسوله، صلّى اللَّه عليه وآله، معلّماً للحكمة فى مواضع من كلامه كقوله «وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ» «١»

، فالتعليم القرآنى الذى تصدّاه الرّسول صلّى اللَّه عليه وآله، المبيّن لما نزل من عند اللَّه من تعليم الحكمة، وشأنه بيان ما هو الحقّ فى أصول الإعتقادات الباطلة الخرافية التى دبت فى أفهام الناس من تصور عالم الوجود وحقيقة الإنسان الذى هو جزء منه «... ٢»

[١] قدّم التزكية هيهنا على تعليم الكتاب والحكمة، بخلاف ما فى

---

(١) سورة الجمعة، الآية: ٢.

(٢) الميزان فى تفسير القرآن ١٩/ ٣١٣.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٦٢

«وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ» [١] النازل عن اللَّه، أو ما كتب عليهم من الأحكام الثابتة فى الشريعة.

«وَالْحِكْمَةَ» أى الأخلاق الإنسانيّة، وقد اندرجت فى هذه الكلمة المباركة جميع الحكم التى هى للأنسان فى نفسه من مكرمات الفضائل وماله فى المجتمع المدنى من التدابير الصالحة القيّمة، فإنّ

دعوة: ابراهيم عليه السّلام «١». لأنّ هذه الآية تصف تربيته صلّى اللَّه عليه وآله لمؤمنى أمّته، والتّزكية مقدّمة فى مقام التّربية على تعليم العلوم الحقّة والمعارف الحقيقية، وأمّا ما فى دعوة إبراهيم عليه السّلام، فإنّها دعاء وسؤال أن يتحقّق فى ذريّته هذه الزكاة والعلم بالكتاب والحكمة، والعلوم والمعارف أقدم مرتبةً وأرفع درجةً فى مرحلة التحقق، والإتّصاف من الزكاة، الرّاجعة إلى الأعمال والأخلاق «٢».

[١] عن ابن عباس قال: «الكتاب: القرآن، والحكمة: ولاية علىّ بن أبى طالب عليه السّلام» «٣».

---

(١)

سورة البقرة، الآية: ١٢٩ فى قوله تعالى: «رَبَّنا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ».

(٢) الميزان فى تفسير القرآن ١٩/ ٣٠٦.

(٣) شواهد التنزيل للحاكم الحسكانى ٢/ ٢٥٣.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٦٣

الحكمة- كما قدّمناه- تشمل النظريّة والعمليّة [١].

[١] قال صدر المتألهين: أمور ثلاثة:

الأوّل: فى الحكمة العمليّة، المبيّنة للأفعال والأعمال، الشارحة للأخلاق والآداب، المفيدة للعبد قطع تعلّقه عن الأسباب، وترك التفاته إلى الدنيا وما فيها، ورفع الغشاوات والحجب عن وجه قلبه بالكليّة.

وهذه الأحكام والأعمال العمليّة والمعالم الأدبيّة تثبت فى القرآن على أبلغ وجه وآكده، كما أشار إليه صلّى اللَّه عليه وآله بقوله: «أدّبنى ربّى، فأحسن تأديبى» «١».

الثّانى: فى الحكمة العلميّة، والمعارف الّتى يبلغ إليه عقول العلماء والحكماء بقوّتهم الفكريّة، بتعليم الأنبياء والأولياء عليهم السّلام إيّاهم.

وهذان القسمان من العلوم والمعارف الّتى يقع فيها الإشتراك لساير الكتب السماوية مع القرآن، لكن يكون ما فى القرآن أوثقها برهاناً وأجلّها شأناً، وأرفعها رتبةً، وأعلاها مأخذاً، وأقومها غايةً، وإليه الإشارة بقوله تعالى «إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدى لِلَّتى هِيَ أَقْوَمُ» «٢»

وبقوله

---

(١) مجمع البيان ٥/ ٣٣٣، والجامع الصغير ١/ ١۴، وبحار الأنوار ١۶/ ٢١٠.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٩.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ۶۴

«وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذينَ مِنْ قَبْلِكُمْ» «١»

وقوله تعالى «وَمُصَدِّقًا لِما بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ التَّوْراةِ» «٢».

الثّالث: فى الحكمة الّتى لا يبلغ إلى طورها إلّاالخلّص من أحبّاء اللَّه وأوليائه الصالحين، وهى المشار إليها فى قوله «سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِى الْآفاقِ وَفى أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَىْءٍ شَهيدٌ» «٣»

وهذه الحكمة من خواصّ المحبوبين للَّه، كما أنّ الحكمتين الأولّيين من خواص المحبّين للَّه. وإليهم الإشارة فى قوله تعالى «فَسَوْفَ يَأْتِى اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ» «۴».

وفى الحديث الإلهى: «لا يزال العبد يتقرّب إلىّ بالنوافل حتّى أحببته» «۵» «۶».

قال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله: «قال اللَّه عزّ وجلّ ما زال العبد

---

(١) سورة النساء، الآية: ٢۶.

(٢) سورة الصّف، الآية: ۶.

(٣) سورة فصّلت، الآية: ۵٣.

(۴) سورة المائدة، الآية: ۵۴.

(۵) التوحيد: ۴٠٠.

(۶) تفسير صدر الدين الشيرازى ٧/ ١۵٧- ١۵٨.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ۶۵

ويرد هنا ما قلناه فى تفسير الآية السّابقة، فى كونه دليلًا وحجّةً للرّسالة والبعث، فإنّ من كان بحسب الظاهر فى الجهّال ولم يكن عنده عالم يسأل عنه، لا يقدر على الأمور الثلاثة، إلّاأن يكون رسولًا مبعوثاً من قبل اللَّه تعالى حتّى يتمكّن من ذلك، كما هو ظاهر.

وقوله تعالى «وَإِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفى ضَلالٍ مُبينٍ» إن مخففّة عن المثقّلة وبمثابة: ولقد كانوا من قبل كذلك. والآية بيان لشدّة إحتياجهم إلى الرّسول صلّى اللَّه عليه وآله، وقد اقتضى بعثه إليهم العزّة والحكمة السابقتان فى الآية السابقة.

«وَآخَرينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزيزُ الْحَكيمُ* ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتيهِ مَنْ يَشاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظيمِ». «وَآخَرينَ مِنْهُمْ» [١] عطف على الأمّيين، فيكون المعنى: بعث

يتقرّب إلىّ بالنوافل حتّى أحببته فكنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش به، ورجله التى يمشى بها، ولئن سألنى أعطيته، وإن استعاذنى أعذته» «١».

[١] فى تفسير القمى: دخلوا فى الإسلام بعدهم «٢».

---

(١) مجموعة الأخبار فى نفائس الآثار، للشيخ النمازى، والكافى ٢/ ٣۵٢، الرّقم ٧، باختلاف يسير.

(٢) تفسير القمّى: ٣۶۶.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ۶۶

فى الأميين. وآخرين أىالّذين لم يكونوا منسوبين إلى أمّ القرى، أو لم يكونوا لا يعرفون القرائة والكتابة، أو غير المبعوث إليهم نبىّ، أو من كان فى أصلاب هؤلاء، كما فى بعض الرّوايات النبويّة، أو من كان من غير العرب كالفرس، كما فى الروايات الآخر، على اختلاف الأقوال، أو عطف على ضمير «وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ».

ولا يخفى ما فى هذه الآية من اللّطف، حيث أنّه لو لم يذكر «وَآخَرِينَ» لتوهّم إختصاص رسالة النّبى بقوم أو بمكان خاصّ، لظاهر الآية السابقة، فكان قوله «وَآخَرِينَ» إستدراكاً، ومن هنا ظهر ربط هذه الآية بسابقها. والسرّ فى ذكر كلمة «منهم» على بعض الأقوال واضح، وعلى الأقوال الأخر هو صيرورتهم منهم، أىمؤمنين لو أسلموا، فإنّ المؤمنين بعضهم من بعض [١] واللَّه العالم.

«لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ» أىبعد لم يلحقوا بهم، فإنّ (لمّا) لانتظار الوقوع، وليس المراد عدم لحوق الآخرين فى الفضيلة بهم لكونهم أدركوا صحبة النبى صلّى اللَّه عليه وآله، لظهور أنّ الفضل ليس

[١] قال صلّى اللَّه عليه وآله: «المؤمن من المؤمنين كالرأس من الجسد، إذا اشتكى تداعى عليه سائر جسده» «١».

---

(١) البحار ٢٠/ ١٢٧.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ۶۷

بذلك بل بالأيمان والتّقى، أىليس بالمصاحبة البدنيّة بل بالمصاحبة الرّوحية والنّفسية، فإنّ الأكرم عند اللَّه هو الأتقى، فالآخرون على الأظهر هم غير العرب الأمّيين من سائر العرب والعجم فى ذلك الزّمان وفى ما يأتى من بعد الصّحابة إلى يوم القيامة، لأنّ نبوّته عامة كما ذكر، لا تختص بقوم دون قوم أو زمان دون زمان.

وأمّا ما رُوِىَ عن أبى جعفر عليه السّلام عن النبىّ صلّى اللَّه عليه وآله، أنّه صلّى اللَّه عليه وآله قرأ هذه الآية، فقيل له: من هؤلاء؟ فوضع يده على كتف سلمان وقال: لو كان الإيمان فى الثريا لنالته رجال من هؤلاء [١]، فالظّاهر أنه تعيين للمصداق ولم يرد الإنحصار فى المشار إليهم فى الرواية، فلا ينافى نبوّته العامة ولا يتوهم ذلك.

وفيه إشارة إلى عدم استغناء العلماء عن النبىّ صلّى اللَّه عليه وآله، وأنّه ليس بمبعوث إلى الأمّيين والجهال فقط، فإنّ من يستعد لأن ينال الإيمان ولو كان فى الثريا، إنّما هو فى غاية الفطنة وكمال الدّقة، ومع ذلك محتاج إلى النبى صلّى اللَّه عليه وآله.

[١] وكانوا أهلًا لذلك، ولهذا كتب رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله لحىّ سلمان بكازرون عهداً وثيقاً للمؤبذه والهوانده وعشيرتهم وذراريهم: بسم اللَّه الرّحمن الرّحيم هذا كتاب من محمّد بن عبداللَّه

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ۶۸

رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله سأله الفارسى سلمان وصية بأخيه مهاد بن فرّخ بن مهيار، وأقاربه وأهل بيته وعقبه من بعده ما تناسلوا من أسلم منهم وأقام على دينه.

سلام اللَّه وأحمد اللَّه إليكم: إنّ اللَّه تعالى أمرنى أن أقول لا اله إلّا اللَّه وحده لا شريك له، أقولها وآمر الناس بها، والخلق خلق اللَّه والأمر كلّه للَّه، خلقهم وأحياهم وأماتهم وهو ينشرهم وإليه المصير ... وهذا كتابى أنّ لهم (لحىّ سلمان) ذمّة اللَّه وذمّة رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله على دمائهم وأموالهم فى الأرض التى أقاموا عليها، سهلها وجبلها وعيونها ومراعيها غير مظلومين ولا مضيق عليهم، فمن قرىء عليه كتابى هذا من جميع المؤمنين فليتحفّظهم ويبرهم ويحوطهم ويمنع الظّلم عنهم لا يتعرّض لهم بالأذى والمكاره، وقد رفعت عنهم جزا الناصية والجزية والخمس والعشر وسائر المؤن والكلف، فإن سألوكم، فأعطوهم، وإن استغاثوا بكم، فأغيثوهم، وإن استجاروا بكم فأجيروهم، وإن أساءوا فاغفروا لهم، وإن أسيىء إليهم فامنعوا عنهم، وليعطوا من بيت المال فى كلّ سنة مأة حلّة فى شهر رجب، ومن الأواقى مأة فى الأضحية وأيديهم طلقة على بيوت النيران وضيائها وأموالها ولا

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٦٩

يمنعونهم من اللباس الفاخرة، والركوب وبناء الدور وحمل الجنائز وإتّخاذ ما يجدون فى دينهم ويفضّلونهم على سائر الملل من أهل الذمّة، فقد استحقّ سلمان ذلك من رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله، ولأنّ فضل سلمان على كثير من المؤمنين، وأنزل إلىّ الوحى حقّ سلمان واجب على جميع المؤمنين، وإنّ الجنة إلى سلمان أشوق من سلمان إلى الجنّة، وسلمان منّا، فلا يخالفنى أحد هذه الوصيّة فيما أمرت به، ومن خالف فقد خالف اللَّه ورسوله وعليه اللّعنة إلى يوم الدين، ومن أكرمهم فقد أكرمنى، وله عند اللَّه خير وثواب، ومن آذاهم فقد آذانى وأنا خصمه يوم القيامة، جزائه جهنّم وبرئت ذمّتى والسّلام عليكم وليحيّيكم ربّكم.

كتب علىّ بن أبى طالب عليه أفضل الصّلاة والسّلام بأمر رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله، وبحضوره فى رجب- سنة تسع الهجرة- شهد على ذلك سلمان وأبوذر وعمّار وبلال والمقداد، وأعطاهم علىّ بن أبى طالب عليه السّلام عهد مثل ما أعطاهم النّبى صلّى اللَّه عليه وآله وكتبه حسين بن علىّ عليه السّلام فى رجب سنة تسع وثلاثين من هجرة النبى صلّى اللَّه عليه وآله «١».

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب ١/ ٩٧ وكلمة طيّبة: للميرزا النورى: ۴٢ و ۴۶.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٧٠

«وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» فيه من البلاغة ما لا يخفى، فقد أقام العلّة مقام الإخبار بما سيكون حتى يستكشف به لميّاً، وبمثابة أن يقال إنّ الآخرين سيلحقون بهم، لأنّه هو العزيز الحكيم، فإنّ العزّة تقتضى صدور النفع والخير، والحكمة تقتضى التربية والتكميل بالتدابير المناسبة. أو كأنّه برهان، لعطف الآخرين على الأمّيين، وصيرورتهم مثلهم فى بعث الرّسول صلّى اللَّه عليه وآله وشؤونه من التّزكية والتّعليم، فإنّهم محتاجون إلى المنحة الإلهيّة، كما قد احتاجوا أولئك، وإنّ بعث الرّسول من أجلّ المنح وأعظم المواهب، فالعزّة [١] والحكمة تقتضيان شمولها لهم كما شملهم.

ثمّ اعلم، أنّه لمّا كان المقام فى معرض سؤال إنّ اللَّه لِمَ جعل

[١] قال نصير الدين الطّوسى قدّس سرّه: البعثة حسنة، لاشتمالها على فوائد كمعاضدة العقل فيما يدلّ عليه، واستفادة الحكم فيما لا يدلّ العقل، وإزالة الخوف، واستفادة الحسن، والقبح والمنافع، والمضارّ، وحفظ نوع الإنسانى، وتكميل أشخاصه بحسب استعداداتهم المختلفة، وتعليمهم الصنائع الخفيّة، والأخلاق، والسياسات، والإخبار بالعقاب والثواب، فيحصل اللّطف للمكلّف «١».

---

(١) تجريد الإعتقاد بشرح العلّامة: ۴۶٨.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٧١

الرّسول فى الأمّيين وجعله منهم، ولِمَ اختصوا بهذه المنحة، ولِمَ اختص صلّى اللَّه عليه وآله من بينهم بهذه الكرامة؟ فناسبه الجواب بأنّ: «ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ» يعنى:

إنّ فضل اللَّه ومنحته، يؤتيه من يشاء ويجعله فى من يشاء، بمقتضى حكمته البالغة وفضله السّابق الكامل لا ينازع فيما يفعل [١].

«مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْراةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوها كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ

[١] قال صدر المتألّهين: تأمّل أيّها العارف، إنّ اللَّه تعالى ما أعطى لعباده إلّاالقليل من العلم، لقوله: «وَما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا» «١» وسمّى الدّنيا بحذافيرها قليلًا: «قُلْ مَتاعُ الدُّنْيا قَلِيلٌ» «٢».

ثمّ قال فى العلم الموهوب لعباده: «ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ» «٣»

وقال أيضاً: «وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا» «۴»

فانظر كم مقدار هذا القليل، حتّى تعرف عظمة ذلك العظيم الكثير «۵».

(١)

سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

(٢) سورة النساء، الآية ٧٧.

(٣) سورة المائدة، الآية ٥۴.

(۴) سورة البقرة، الآية: ٢۶٩.

(۵) تفسير صدر الدين الشيرازى: ٧/ ١۶٧.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٧٢

أَسْفارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذينَ كَذَّبُوا بِآياتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لايَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمينَ».

يقعُ الكلام فى هذه الآية المباركة من وجوه عشرة:

الأوّل: الربط بين هذه الآية والآية المتقدّمة.

الثانى: سبب قوله تعالى «حُمِّلُوا» بلفظ الفعل المبنى للمفعول دون حَمَلُوا.

الثالث: وجه اختصاص المثل باليهود، أعنى أهل التوراة، دون غيرهم مع مشاركة غيرهم معهم فى الكفر.

الرابع: علّة العطف بثُمّ، الدالة على التّراخى، دون غيرها من حروف العطف كالواو والفاء.

الخامس: سبب قوله «لَمْ يَحْمِلُوها» معلوماً لا مبنيّاً للمفعول كالأوّل.

السادس: علّة التمثيل بالحمار دون غيره من الحيوانات.

السابع: سبب قوله «يحمل» معلوماً لا يحمل مجهول الفاعل، مع أنّه لا يَحمِل بل يُحمّل.

الثامن: وجه التعبير بقوله تعالى «بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذينَ كَذَّبُوا».

مع كون المثل فى أوّل الآية لليهود فقط، الّذين هم أهل التوراة، فلم يقل سبحانه وتعالى: بئس مثلهم، مع أنّه أخصر.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٧٣

التاسع: معنى التّكذيب وأقسامه وموارده.

العاشر: وجه قوله تعالى: الظالمين دون الضالين وغيره، كالفاسقين والكافرين وشبههما.

أمّا الوجه الأوّل، أعنى وجه الرّبط، يمكن أن يقال: هو أنّه تعالى لما بيّن بعثته صلّى اللَّه عليه وآله إلى الجميع، وأنّه مبعوث إلى الأمّيين وآخرين، أعرب عن لزوم اتباع الكلّ له صلّى اللَّه عليه وآله، لظهور إنّ كلام المولى للعبيد مثلًا: (بعثت إليكم الرجل الفلانى لإبلاغ أوامرى وإجراء أحكامى) مستلزم لأمره لهم باتباعه وقبول أوامره، وحيث أنّ كلّ من لم يتّبعه صلّى اللَّه عليه وآله، أو رفض اتباعه، يستحقّ التوبيخ، ذكر توبيخ الأمّة السّالفة، وهو فى الحقيقة توبيخ لكلّ من كان كذلك، فإنّ التوبيخ كما يكون بالتصريح كذلك يكون بالإيماء، نظير: (إياك أعنى واسمعى يا جارة).

ويمكن التّقريب بنحو آخر: إنّ قوله «مَثَلُ الَّذينَ »، ... بمثابة الجواب عن سؤال مقدّر، هو أنّه لم لا يؤمن اليهود بهذا النّبى المبعوث للأمّيين والآخرين؟ فكان الجواب: إن التّبشير ببعثه وإن كان فى التّوراة مذكوراً [١] لكن مثلهم مثل الحمار، بعد أن لم يحملوا ما حملوه.

[١] التّوراة التى بين أيدينا، بشّرت بمجىء نبيّنا محمّد صلّى اللَّه

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٧۴

وهناك تقريب ثالث، سيأتى فى الوجه الثالث.

عليه وآله، فقد جاء فى سفر التثنية: (يقيم لك الرّب إلهك نبيّاً من وسطك من أخوتك مثلى له تسمعون حسب كلّ ما طلبت من الرّب إلهك فى حوريب يوم الإجتماع قائلًا: لا أعود أسمع صوت الرّب، إلهى ولا أرى هذه النار العظمية أيضاً لئلّا أموت، قال لى الرّب: قد أحسنوا فى ما يكلّموا، أقيم لهم نبيّاً من وسط إخوتهم مثلك، واجعل كلامى فى فمه فيكلّمهم بكلّ ما أوصيه به، ويكون إنّ الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلّم به باسمى أنا أطالبه، وأمّا النّبى الّذى يطغى، فيتكلّم باسمى كلاماً لم أوصه إن يتكلم به، أو الذى يتكلّم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النّبى، وإن قلت فى قلبك:

كيف نعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرّب، فما تكلّم به النّبى باسم الرّب ولم يحدث ولم يصر، فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرّب، بل بطغيان تكلّم به النبى فلا تخف منه) «١».

وجملة (يقيم لك الرب إلهك نبيّاً من وسطك من إخوتك) دليل على أنّ محمّداً صلّى اللّه عليه وآله من ولد إسماعيل عليه السّلام وموسى من ولد أخيه، وإنّ اللّه بشّر إبراهيم بأنّ إسماعيل وذريته

---

(١) سفر التثنية، الإصحاح ١٨/ ٣٣٧.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٧٥

وأمّا الوجه الثانى، وهو سبب قوله تعالى «حُمِّلُوا» بلفظ المبنىّ للمفعول دون حَمَلُوا معلوماً: فيمكن أن يكون بياناً وإظهاراً للجاجتهم وعنادهم، وإنّهم ما قبلوا أحكامها إلّابإرائتهم الآيات المخوفة، كنتق الطود فوقهم [١]، كما هو المعلوم من حالهم، مع

يكونون أنبياء «١».

[١] قال اللّه تعالى: «وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ واقِعٌ بِهِمْ خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا ما فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» «٢»

. ولمّا رجع موسى عليه السّلام من الطور فأتى بالألواح، فقال لقومه جئتكم بالألواح وفيها التوراة والحلال والحرام فاعملوا بها، قالوا: ومن يقبل قولك؟ فأرسل اللّه عزّ وجلّ الملائكة حتّى نتقوا جبل الطّور العظيم فوق رؤوس بنى إسرائيل وكانوا فرسخاً فى فرسخ، فرفع اللّه الجبل فوق رؤوس جميعهم «كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ» أىغمامة، فقال لهم موسى عليه السّلام إن قبلتم ما آتيتكم به وإلّا أرسل الجبل عليكم «وَظَنُّوا أَنَّهُ واقِعٌ بِهِمْ» أىعلموا وأيقنوا فأخذوا التّوراة وسجدوا للّه تعالى ملاحظين إلى الجبل، فمِن ثَمّ يسجد اليهود على أحد شقّى وجوههم «وَاذْكُرُوا ما

---

(١) سفر التكوين، الإصحاح ١٧/ ٢٣۶، وقاموس الكتاب المقدس «اسمعيل»: ١۶.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٧١.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٧۶

موسى على نبيّنا وآله وعليه السّلام المتواتر فى الأخبار، فكأن أحكام التوراة حُمّلت عليهم بالقهر والإجبار، لا أنّهم حملوها بالطوع والإختيار [١]. كما يمكن أن يكون بياناً لمشقّة تلك الأحكام فى

فيهِ» أىإحفظوا ما فى التوراة من الحلال والحرام، ولا تنسوا من العهود والمواثيق التى أخذناها عليكم بالعمل بما فى التوراة «١».

[١] إنّ التّوراة الموجودة لدى اليهود، ليست توراة موسى عليه السّلام بل وجدت فى زمن ملك (يوشيا) إبن آمون سنة ۶٠٩ قبل المسيح، وكان الملك مؤمناً وهو الذى طهر يهوذا واورشليم من معابد الشرك.

قال (حلقيا) الكاهن العظيم رئيس الكهنة (لشافان) الكاتب: قد وجدت سفر الشريعة فى بيت الرّب وأخبر شافان الكاتب الملك قائلًا قد أعطانى حلقيا الكاهن سفرا، وقرأه شافان أمام الملك، فلمّا سمع الملك كلام سفر الشريعة فرق ثيابه، وأمر الملك حلقيا وجماعة من خواصّه قائلًا إذهبوا إسألوا الرّب لأجلى ولأجل الشعب ولأجل كلّ يهوذا من جهة كلام هذا السفر الذى وجد، لأنّه عظيم هو

غضب الرّب الذى اشتغل علينا من أجل إن آبائنا لم يسمعوا لكلام هذا السفر، ليعلموا

---

(١) راجع مجمع البيان، سورة البقرة، ذيل الآية ۶۳، وسورة آل عمران، الآية ١٧١.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٧٧

نفسها، فإنّها كانت فى غاية الصّعوبة [١] إذا قيست بأحكام الإسلام، كما هو ظاهر.

حسب كلّ ما هو مكتوب علينا...

وجاء فى الإصحاح: «وأرسل الملك، فجمعوا إليه كلّ شيوخ يهوذا واورشليم، وصعد الملك إلى بيت الرّب، وجمع رجال يهوذا وكلّ سكان أورشليم معه والكهنة والأنبياء وكلّ الشعب من الصغير إلى الكبير، وقرأ فى آذانهم كلّ كلام سفر الشريعة الذى وجد فى بيت الرّب، ووقف الملك على المنبر وقطع عهدا امام الرّب للذهاب وراء الرّب، ولحفظ وصاياه وشهاداته وفرائضه بكلّ القلب وكلّ النفس لإقامة كلام هذا العهد المكتوب فى هذا السفر، ووقف جميع الشعب عند العهد «... ١».

[١] قال اللَّه تعالى: «رَبَّنا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنا إِصْرًا كَما حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذينَ مِنْ قَبْلِنا» «٢»

. «وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنا إِصْرًا» أىلا تحمل علينا عملًا

---

(١) يحتمل أنّ السفر الذى وجده حلقيا كان سفر التثنية، راجع الكتاب المقدس، الملوك- الثانى الإصحاح ٢١/ ۴٨٣ وقاموس الكتاب المقدس: ٣٢٨، ٩٧٢، والهدى إلى دين المصطفى ١، المقدّمة الخامسة، والرحلة المدرسية: ١١٩ لفقيد الإسلام الشيخ البلاغى قدّس سرّه.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨۶.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٧٨

ويحتمل أن يكون التعبير به، لكونه تكليفاً وهو خلاف الطّبع مهما يكن سهلًا، إذ التكليف مشتق من الكلفة أىالمشقّة، فتوجيهه إلى المكلّف تحميل.

وأمّا الوجه الثالث، أعنى وجه اختصاص المثل باليهود، فنقول:

إنّ التوبيخ على نوعين:

نعجز عن القيام به، ولا تعذّبنا بتركه ونقضه، أو ولا تحمل علينا ثقلًا من الشدائد والتكاليف الشاقة «كَما حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذينَ مِنْ قَبْلِنا» مثل بنى إسرائيل حيث كلّفوا بتكاليف شاقة، منها: ١- قتل أنفسهم ٢- يتيهون أربعين سنة فى التيه، ٣- فرض خمسين صلاة فى خمسين وقت ۴- وإذا ارتكبوا خطيئة عجلت عليهم عقوبتها، وكتبت ذنوبهم على أبوابهم، وحرم عليهم بسببها ما أحلّ لهم من الطعام، كما قال اللَّه تعالى «فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذينَ هادُوا حَرَّمْنا عَلَيْهِمْ طَيِّباتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ» «١»

۵- وأخذ عليهم من العهود والمواثيق ۶- كلفوا من انواع التكاليف ما لم يكلف هذه الأمّة تخفيفاً عنها «٢».

---

(١)

سورة النساء، الآية: ١۶٠.

(٢) التبيان فى تفسير القرآن ٣/ ۵۴٣- ۵۴۴، مجمع البيان ١/ ۵١٩- ۵٢٠، والصّافى ١/ ٢٨٨ والميزان فى تفسير القرآن ٢/ ۴٧۵.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٧٩

الأوّل: أنّ يوبخ الشخص بفعله القبيح من دون ذكر برهان قبحه، كأن يقول مثلًا: تسجد لغير اللَّه تعالى، أو تعبد الأوثان، أولا تؤمن

بالمبعوث من قبل اللّه، وأمثالها، ممّا يوبخ المخاطب من دون برهان قبحه.

والثّانى: التوبيخ مع ذكر البرهان وإقامة الحجّة على قبحه، كقولك للمريض: أما رأيت فلاناً لم يعمل بقول الطبيب فهلك، أو مثلك مثل فلان الذى لم يعمل بعلمه فاخترم. فبرهان القبح فيهما الهلاك والإخترام المذكوران فى الكلام، ومعلوم أنّ الأسلوب الثانى أحسن وأبلغ، والآية منه، لأنّها- كما قيل- توبيخ للنصارى الذين لم يؤمنوا بمحمّد صلّى اللّه عليه وآله، فكأنّه يخاطبهم ويقول: أما رأيتم اليهود الّذين لم يعملوا بما اشتملت عليه التوراة من لزوم اتباع عيسى وإطاعة أوامره ونواهيه، وهلكوا باعتقادكم بسبب عدم اتباعه، فأنتم إن لم تؤمنوا بمحمّد صلّى اللّه عليه وآله مَعَ اشتمال كتابكم على لزوم اتّباعه، كنتم مثلهم فى الهلاك.

وبهذا، لا ينافى كونها توبيخاً لليهود الحاضرين أيضاً، بل التوبيخ لليهود أقوى من التوبيخ للنّصارى، لظهور أنّ المشبّه به أقوى من المشبّه فى وجه الشّبه، إلّافى التشبيه المقلوب وهذا ليس منه، فتدبّر.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٨٠

وأمّا الوجه الرابع، وهو علّة العطف ب (ثمّ) فى قوله تعالى «ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوها» دون غيرها من أدوات العطف: فللتراخى بين تحميلهم إيّاها وعدم حملهم لها، لأنّهم لم يحملوها فى زمان متأخّر، حيث لم يأخذوا بما فى التوراة من لزوم اتّباع النبى الذى بشر به فيها.

وأمّا الوجه الخامس، أى‌سبب قوله: لم يحملوا مبنيّاً للمعلوم لا كالأوّل: عدم حملهم بأنفسهم لا بجابر قاهر حتّى يصحّ مجهولًا، ومعنى لم يحملوها أى‌تركوا العمل بها، أو غيّروها وحرّفوها، أو نحو ذلك. وكنى عن ذلك بعدم الحمل وبالطعنة، كما لا يخفى، وهو تعبير لطيف جدّاً.

وأمّا الوجه السادس، أى‌وجه التمثيل بالحمار دون غيره من الحيوانات. فقيل: إنّه لإظهار كثرة الجهل والبلادة، فإنّ الحمار بليد غاية البلادة، وليس كذلك ساير الحيوانات. وقيل: لأنّ فى الحمار من الذّل والحقارة مالا يكون فى غيره.

والغرض من الكلام فى هذا المقام: تعيير أولئك القوم وتحقيرهم، فيكون تعيين الحمار أليق وأولى [١]. مع ما فيه من

[١] قال الجاحظ: وذكر الحمار فقال «كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفارًا» فجعله مثلًا فى الجهل والغفلة، وفى قلّة المعرفة وغلظ الطبيعة،

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٨١

ولم يقل إنّى مسخت أحداً من أعدائى حماراً «١».

وقال الدميرى: أى‌بثقلة حملها ولا ينفعه وكلّ من يعلم ولم يعمل بعمله، فهذا مثله.

وفى الحديث: يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيلقى فى النار، فتندلق أقتاب بطنه، فيدور كما يدور الحمار فى الرحاء، فيطيف به أهل النور فيقولون مالك؟ فيقول: كنت آمر بالخير ولا آتيه، وأنهى عن الشر وآتيه (فتندلق أقتاب بطنه أى‌تخرج أمعاء بطنه) «٢».

وقال البستانى: كان الناس يضربون به المثل فى البلاهة وقلّة الفهم «٣».

وقال فريد وجدى: ومن عجيب أمره، أنّه إذا شمّ رائحة الأسد رمى نفسه عليه من شدّة الخوف، يريد بذلك الفرار منه «۴».

وقال محمّد كاظم الملكى: من الأمثال: لا يأبى الكرامة

---

(١) كتاب الحيوان للجاحظ ۴/ ٣٨.

(٢) حياة الحيوان للدميرى ١/ ٢٥٢.

(٣) دائرة المعارف للبستانى ٧/ ١۶٢.

(۴) دائرة المعارف لفريد وجدى ٣/ ٥٩١.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٨٢

المناسبة اللفظية مع لفظ الأسفار [١].

إلّا الحمار «١».

قال المفضّل: أوّل من قاله أمير المؤمنين عليه السّلام وذلك أنّه دخل عليه رجلان، فرمى لهما بوسادتين، فقعد أحدهما على الوسادة، ولم يقعد الآخر، فقال علىّ عليه السّلام: «أقعد على الوسادة لا يأبى الكرامة إلّاالحمار، فقعد الرجل على الوسادة» «٢».

[١] قال المراغى: «يقول سبحانه ذامّاً لليهود الّذين أعطوا التوراة وحملوها للعمل بها، ثمّ لم يعملوا بها: ما مثل هؤلاء إلّاكمثل الحمار يحمل الكتب لا يدرى ما فيها، ولكنّه ما يحمل، بل هم أسوأ حالًا من الحمر، لأنّ الحمر لا فهم لها، وهؤلاء لهم فهوم لم يستعملوها فيما ينفعهم، إذ حرّفوا التوراة فأوّلوها وبدّلوها فهم، كما قال فى الآية الأخرى: «أُولئِكَ كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولئِكَ هُمُ الْغافِلُونَ» «٣»» «٤».

---

(١) المعجم الزوولوجى الحديث لمحمّد كاظم الملكى ٢/ ٥٣٥.

(٢) وسائل الشيعة ٨/ ٤٨٩، باب كراهة إباء الكرامة، الرقم ١، وبحار الأنوار ٤١/ ٥٣ باختلاف يسير.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

(٤) تفسير المراغى ٢٨/ ٩٨.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٨٣

وأمّا الوجه السابع، وهو علّة قول يحمل معلوماً مع أنّه يُحمّل:

فالأصل من لزوم الإسناد إلى الفاعل فيما لم يكن الفعل ذا وجهين كالأوّل، فإنّ حمل التوراة يكون بالإختيار تارةً وبالإكراه أخرى، فلو قال تعالى حمّلوا التوراة لما فهم معنى الإكراه فيه والحمل بغير الإختيار، فلزم الصرف عن الحامل فيه إلى المحمل، لعدم فوات النكتة. بخلافه هنا، فليس حمله ذا وجهين، بل فى جميع الأوقات تحميل، ولهذا أسند إلى الفاعل الحقيقى.

وأمّا الوجه الثامن، أىوجه التعبير بقوله تعالى: «بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذينَ كَذَّبُوا بِآياتِ اللَّهِ» مع كونه فى أوّل الآية لليهود، وكان يمكن التعبير بضمير يرجع إليهم ويكون أخصر: فلعلّه إفادة أنّ التوبيخ لا يختصّ باليهود، بل يشمل جميع المخالفين الذين لم يؤمنوا بمحمّد صلّى اللَّه عليه وآله، وكذّبوا بآيات اللَّه التى يتلوها عليهم، وإنّ مثلهم مثل اليهود، فكما أنّ اليهود ملومون بعدم اتّباعه مع ذكره صلّى اللَّه عليه وآله فى كتابهم، فكذلك سائر المخالفين والمكذّبين.

وأمّا الوجه التاسع، وهو بيان معنى التكذيب فنقول: التكذيب عبارة عن إسناد الكذب، أىعدم مطابقة الخبر للواقع، أو الإعتقاد على الخلاف فيه إلى الغير، وهو عملىّ وقولىّ، فمصدره الأركان تارةً

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٨٤

واللسان أخرى.

والعملىّ: هو، أنْ يعمل الشخص عملًا يخالف قول الآخر، ولهذا يقال: هلك مكذب قولك. والقولى هو: أن يقول كذبت أو كذب فلان، أو يقول ما ينافى قوله.

وعلى هذا، فالآية شاملة لجميع من يكذّب بآيات اللَّه، يهوديّاً كان أم نصرانياً أم مسلماً، فإنّ تارك الصلاة مثلًا مكذب للنّبى صلّى اللَّه عليه وآله عملًا، والمفترى مكذب له قولًا. اللّهمّ أعنّا على العمل الصالح وثبّتنا بالقول الصّادق [١].

[١] قال آية اللَّه العظمى السيد أحمد الخونسارى: أنكر اليهود نبوّة نبيّنا صلّى اللَّه عليه وآله، وقالوا بدوام شريعة موسى عليه السّلام قالوا:

إنّ النسخ باطل، لأنّ المنسوخ إن كان مصلحة يقبح النهى عنه، وإن كان مفسدة يقبح الأمر به، وإذا بطل النسخ لزم القول بدوام شرع موسى عليه السّلام.

والجواب: إنّ الأحكام منوطة بالمصالح، تتغيّر بتغيّر الأوقات، وتختلف باختلاف المكلّفين، والشاهد عليه وقوعه فى شرعهم فى مواضع، منها: إنّه قد جاء فى التوراة إنّ اللَّه تعالى قال لآدم وحوّاء قد أبحت لكما كلّما دبّ على وجه الأرض، وورد فيها أنّه تعالى قال لنوح

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٨٥

وأمّا الوجه العاشر، وهو سبب قوله «الظالمين» دون الضّالين ودون غيرها من الأوصاف: فلأنّ اللَّه تعالى هادى الضّالين بخلاف الظّالمين، فإنّ الظّالم من يظلم على نفسه مع إتمام الحجّة عليه، فإنّ معنى هدايته بعد إتمام الحجّة إجباره على الهداية، وهو جلّ عن ذلك، لا يجبر أحداً على شيءٍ، كما برهن فى محلّه. وغير الظلم من

عليه السّلام: خذ معك من الحيوان الحلال كذا ومن الحيوان الحرام كذا، فحرم على نوح عليه السّلام بعض ما أباحه لآدم...

وتمسّك اليهود أيضاً بما روى عن موسى عليه السّلام إنّه قال تمسّكوا بالسبت أبداً، والتأبيد يدلّ على الدوام، ودوام الشرع بالسبت ينافى القول بنبوّة محمّد صلّى اللَّه عليه وآله.

وأجيب بوجوه، الأوّل: إنّ هذا الحديث مختلق منسوب إلى ابن الراوندى.

الثانى: إنّ اليهود إنقطع تواترهم، لأنّ بخت النصر إستأصلهم حتّى لم يبق منهم من يوثق بنقله.

الثالث: إنّ التأبيد قد ورد فى التوراة لغير الدوام، كما ... أمروا فى البقرة التى كلّفوا بذبحها أن يكون ذلك سُنّة أبداً، ثمّ انقطع تعبّدهم بها «١».

---

(١) العقائد الحقة: ١٧.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٨٦

الأوصاف، إمّا داخل تحت الظلم، فلا حاجة لذكرها، أو تحت الضّلالة فذكرها غير صحيح كما ذكر.

هذا ما فى هذه الآية المباركة من الدقائق والنكات التى فهمناها، وإن لم يكن قطرة من بحار دقائقها وذرّة من فلوات حقائقها. وأمر التفسير اللفظى والإعراب الظاهرى، موكول إلى التفاسير المتعرضة لهما.

إلفات نظر تجاه التفكير فى قوله تعالى «مَثَلُ الَّذينَ حُمِّلُوا»:

إنّ الآية تعطينا درساً دينيّاً أخلاقيّاً علميّاً: هل التوراة لها خصوصيّة، أم اليهود لهم الخصوصية؟ كلّا، ويشهد لذلك أنّه سبحانه ذكر بعد ذلك «بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذينَ كَذَّبُوا بِآياتِ اللَّهِ» ولم يقل:

كذبوها، بل لم يقل بئس مثلهم، مع أنّه كان أخصر وبالسبر والتقسيم يظهر:

إنّ ذلك صغرى لكبرى كليّة، وهى أنّ كلّ زعيم إذا قرّر قانوناً صحيحاً لتابعيه، وكلّ ناصح إذا ألقى نصيحة نافعة لُامّته، فانتحلوها ثمّ لم يقبلوها ولم يعملوا بها، فذلك مثلهم. فالأمّة الإسلامية إذا لم يعملوا بالقرآن، ولم يتخلّقوا بأخلاقه، ولم يتبصّروا بمعارفه، مثلهم كمثل الحمار، بل السنّة النّبويّة إذا لم يعمل بها بعد المعرفة بها كالقرآن، بل كلّ من أقرّ بالرسالة ولم يتمسّك بالثقلين [١] أو لم يف [١] أشار قدّس سرّه إلى حديث الثقلين المتواتر بين الفريقين.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٨٧

بأجر الرسالة، وهى مودّة ذى القربى [١]، مثله كمثل الحمار.

«قُلْ يا أَيُّهَا الَّذينَ هادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِياءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقينَ». «قُلْ يا أَيُّهَا الَّذينَ هادُوا» خطاب للنّبى أى: قل يا محمّد، لليهود الذين يفتخرون بكونهم أولياء اللَّه وأحبّائه فى مقام الرّد عليهم وإبطال مدّعاهم.

واعلم أنّ وجه الربط بين هذه الآية والآية المتقدّمة، كونها فى مقام إفحام اليهود، فكأنّ هذه الآية برهان على بطلان مقالتهم فى أنّهم

قال ابن حجر الهيتمى: «إعلم أن لحديث التمسك بذلك طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابياً» «١».

[١] أشار قدّس سرّه إلى الآية الكريمة: «قُلْ لاأَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبى» «٢»

عن ابن عباس إنّ هذه الآيات لمّا نزلت، قالوا:

يا رسول اللَّه: من قرابتك هؤلاء الّذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال صلّى اللَّه عليه وآله، علىّ وفاطمة وابناهما «... ٣».

---

(١) الصواعق المحرقة: ٨٩.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٢٣.

(٣) الصواعق المحرقة: ١٠١.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٨٨

أولياء اللَّه، وهذه الآية بمثابة المباهلة [١] معهم.

وقيل: إنّ اليهود كانوا يفتخرون على العرب، بأنّ لهم رسولًا وعندهم الكتاب، وأنّهم أحباء اللَّه، وأنّ لهم السبت. «١» فردّ اللَّه عليهم فى هذه السّورة كلّها، فذكر فيها بعث الرّسول إليهم وتعليمه إيّاهم الكتاب والحكمة رداً للأمر الأوّل. و «قُلْ يا أَيُّهَا الَّذينَ هادُوا» إلى قوله «يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا» رداً للأمر الثانى. و «يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا »...

المشعر بأنّ لهم الجمعة رداً للأمر الثالث.

[١] وهذه الآية شبيهة بآية المباهلة «فَمَنْ حَاجَّكَ فيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَأَبْناءَكُمْ وَنِساءَنا وَنِساءَكُمْ وَأَنْفُسَنا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكاذِبينَ» «٢»

إنّ النبىّ صلّى اللَّه عليه وآله لمّا دعا نصارى نجران إلى المباهلة، قالوا حتّى نرجع وننظر، فلمّا تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم: يا عبد المسيح، ما ترى؟

فقال: واللَّه لقد عرفتم يا معشر النصارى أنّ محمّداً صلّى اللَّه عليه وآله نبىّ مرسل ولقد جائكم بالفصل من أمر صاحبكم، واللَّه ما باهل قوم نبيّاً

---

(١) راجع تفسير الرازى ٣/ ١٨٩، وتفسير ابن كثير ١/ ٣٩٠- ٣٩١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦١.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٨٩

قطّ فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم، ولئن فعلتم لنهلكنّ، فإن أبيتم إلّا

إلف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه فوادعوا الرجل، وانصرفوا إلى بلادكم، وغدا رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله دعا عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: اللّهم هؤلاء أهل بيتى، فاحتضن الحسين وأخذ بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه وعلىّ خلفهما، وهو صلّى اللَّه عليه وآله يقول: إذا أنا دعوت فأمّنوا، فقال أسقف نجران: يا معشر النّصارى إنّى لأرى وجوهاً لو شاء اللَّه إن يزيل جبلًا من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصرانى إلى يوم القيامة. إمتنعوا المباهلة لقلّة ثقتهم بما هم عليه، وخوفهم من صدق النبىّ صلّى اللَّه عليه وآله فى قوله صلّى اللَّه عليه وآله: لو باهلونى لرجعوا لا يجدون أهلًا ولا مالًا، فأتوا النّبى صلّى اللَّه عليه وآله فقالوا: يا أبا القاسم صلّى اللَّه عليه وآله رأينا أن لا نباهلك، وأن تترك على دينك ونثبت على ديننا، قال صلّى اللَّه عليه وآله: فإذا أبيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم، فأبوا، قال: فإنّى أناجزكم، فقالوا: ما لنا بحرب العرب طاقة، ولكن نصالحك على أن لا تغزونا ولا تخفيفنا ولا تردنا عن ديننا على أن نؤدى إليك كلّ عام ألفى حلّة، ألف فى صفر وألف فى رجب، وثلاثين

درعاً عادية من حديد، فصالحهم على ذلك، وأحجموا عن

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٩٠

ولا يخفى أنّه قد اختلف فى وجه تسميته اليهود يهوداً.

فقيل: لأنّهم كانوا ينتسبون إلى يهوذا، أكبر ولد يعقوب، فعرّبت الذال وحذفت الألف للأستعمال.

وقيل: إنّه اسم جمع من هاد، بمعنى التوبة، لأنّهم تابوا عن عبادة العجل.

وقيل: من الميل، لأنّهم مالوا عن الإسلام وعن دين موسى. وقيل:

من التحرك، لأنّهم يتحرّكون عند قراءة التّوراة «١»، وفيهما ضعف.

ويطلق الهود عليهم، وهو جمع هائد على ما فى المنجد «٢».

المباهلة، افتضحوا وظهر الحقّ. وقال صلّى اللَّه عليه وآله: والذى نفسى بيده إنّ الهلاك قد تدلّى على أهل نجران، ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير، ولاضطرم عليهم الوادى ناراً، ولاستأصل اللَّه نجران وأهله حتى الطير على رؤوس الشجر، ولما حال الحول على النصارى كلّهم حتى يهلكوا، وعلم أنّ عليّاً وفاطمة والحسنان عليهم السّلام هم المراد من الآية، وإنّ أولاد فاطمة وذريّتهم يسمّون أبناء رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله وينسبون إليه نسبة صحيحة نافعة فى الدنيا والآخرة «٣».

---

(١) راجع مجمع البيان ١/ ٢٤١.

(٢) المنجد، كلمة «الهُود».

(٣) فضائل أمير المؤمنين لأحمد بن حنبل: ٤٩، والكشاف ١/ ٤٣٤، والصواعق المحرقة: ٩٣، ومجمع البيان ١/ ١٦٤.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٩١

وفى مجمع البحرين «١» حذف الياء الزائدة.

«إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِياءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ» أى إن كنتم تزعمون محبّتكم للَّه تعالى فقط دون غيركم وأنتم أحبّاؤه، فتمنّوا الموت. وها هنا بحثان:

الأوّل: علّة قوله «إِنْ زَعَمْتُمْ» [١] دون «إن كنتم».

الثانى: سبب قوله «إِنْ زَعَمْتُمْ» دون «إن أيقنتم» أو «إن علمتم» أو غيرهما ممّا يفيد علمهم ويقينهم.

أمّا البحث الأوّل: فلأنّه لا يقال: إن كنتم، إلّاإذا كان المخاطب والمتكلّم أو أحدهما جاهلين بالواقع أو عالمين، كما تقول لمن جهلت شجاعته أو علمت به: إن كنت شجاعاً فاذهب إلى الحرب.

والحاصل: إنّه فرق بين جعل الواقع فى حيّز الشرط وبين جعل إعتقاد المخاطب فى حيّزه، والثانى أوفق بالمقام حيث يعلم كذبهم،

[١] قال الراغب: الزعم حكاية قول يكون مظنة للكذب، ولهذا جاء فى القرآن فى كلّ موضع ذم القائلون به، نحو: زعم الذين كفروا، بل زعمتم، كنت تزعمون، زعمتم من دونه «٢».

---

(١) مجمع البحرين ٤/ ٤٤٢.

(٢) المفردات: ٢١٣.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٩٢

وإنّ الواقع ليس كما يقولون.

وأمّا البحث الثانى: فلأنّه لا يقال: إلّاإذا كان المخاطب متيقّناً بصحة ما ادّعاه، سواء كان مطابقاً للواقع أم لا، وسواء كان المتكلّم يعتقد

ذلك أم لا.

والحاصل: إنّ الصّدق تارةً يكون خبريّاً، وهو الكلام المطابق للواقع وإن لم يكن مطابقاً للاعتقاد، بل وإن كان بزعم المتكلّم كذباً، وأخرى يكون مخبريّاً، وهو الكلام المطابق للإعتقاد وإن لم يكن مطابقاً للواقع، وما نحن فيه من هذا القبيل، لأنّه لا يستعمل اليقين إلّا مع اعتقاد المخاطب بصحّة المدّعى مطلقاً.

هذا، فقوله تعالى «إِنْ زَعَمْتُمْ» متضمّن للأمرين: عدم مطابقة المدّعى للواقع، وعلم المتكلّم بعدم مطابقته، فيكون مثل إدّعاء، لعدم كونهم كذلك، وبرهانه ما يليه، ولا يخفى لطفه.

واعلم أنّ الأولياء جمع وليّ، وهو الحرىّ بالنصرة ناصراً حين الإنتصار، فمن يكون ناصراً للّه، يكون ناصراً له صلّى اللّه عليه وآله، كما قال تعالى «إِنْ تَنْصُرُوا اللّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ» «١».

«فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ» يقع الكلام فيه من وجوه:

---

(١) سورة محمّد «صلّى اللّه عليه وآله وسلّم»، الآية: ٧.

الأوّل: معنى التّمنى والكلام فيه.

الثانى: ما هو الأمر بالتّمنى.

والثالث: هل يمكن الأمر به أم لا؟

الرابع: هل يمكن التمنى أى‌طلبه أم لا؟

الخامس: سَبَب قوله «فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ».

السادس: بيان القياس.

أمّا الوجه الأوّل، فنقول: قد اختلفت الأقوال فيه:

ففى مجمع البيان عن أبى هاشم: التّمنى معنى فى النفس، ومن قال بذلك قال: ليس هو من قبيل الشهوة ولا- من قبيل الإرادة، لأنّ الإرادة لا تتعلّق إلّابما يصحّ حدوثه، والشهوة لا تتعلّق بما مضى، والإرادة والتمنى قد يتعلّقان بما مضى «١». ويؤيّده ما ذكره الرّضى: «من أنّ ماهيّة التمنى محبّة حصول الشىء، أعمّ من إنتظاره وترقّب حصوله، أم لا» «٢» وإن كان ظاهر كلامه خلاف ما ذكره أبو هاشم من تعلّقه بالماضى.

لكن أكثر اللّغويين على كونه من جنس الكلام، وهو قول القائل

---

(١) مجمع البيان ٣/ ٥٣ مع اختلافٍ فى بعض الألفاظ.

(٢) شرح الكافية، رضى الدين الأسترآبادى: ٣٣٢.

لما كان: ليته لم يكن، ولما لم يكن: ليته كان، فهو يتعلق بالماضى والمستقبل «١»، وإن كان بعضهم أيضاً يصرّح بكونه بمعنى الإرادة. هذا، وليس التعرّض لتحقيق الحال هاهنا بمهمّ، لظهور إرادة التلفظ كما سيأتى.

وأمّا الوجه الثانى، ما هو الأمر بالتّمنى؟ فالظاهر أن يقال: هو أمر تكذيبى، نظير الأمر الإمتحانى ... والتعجيزى، يعنى أنّ المراد من الأمر إرادة ظهور كذبهم، كما أنّ الغرض من قولك: إن كنت سخيّاً فابذل، هو ذلك، فهذا الأمر ليس إرشاديّاً ولا مولويّاً [١].

[١] الأمر المولوى، هو الأمر الصادر من المولى بداعى البعث إلى المطلوب، بداعى إظهار الإعتبار النفسى الذى يعتبره المولى فى حقّ

العبد.

والأمر الأرشادى، هو الأمر الصادر بداعى المصلحة فى متعلّق الأمر، ولما لم يكن أمر اللَّه لليهود بتمنى الموت بداعى البعث حقيقة ولا لمصلحة فى نفس التمنى، لم يكن مولوياً ولا إرشاديا، بل هو أمر بداعى التكذيب، أىتكذيب دعوى اليهود محبّتهم للَّه ومحبة اللَّه لهم.

---

(١) مجمع البحرين ۴/ ۲۳۸.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۹۵

وأمّا الوجه الثالث: هل يمكن الأمر بالتمنى أم لا؟ فنقول: لما كان المراد بالتمنى التلفظ لا الأمر القلبى، أمكن الأمر به، وإنّما لم يكن الأمر بالتمنى القلبى، لعدم الإختيار، وأمّا أنّ المراد به التلفظ، فلكونه فى مقام المباهلة، كما فى مجمع البيان فى تفسير الآية فى سورة البقرة عن الكلبى عن ابن عباس أنّه قال: «كان رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله يقول لهم: إن كنتم صادقين فى مقالتكم فقولوا: اللّهمّ أمتنا، فوالذى نفسى بيده لا يقولها رجل إلّاغص بريقه فمات مكانه» [۱]. وهذا صريح فى الأمر بالتلفظ.

[۱] قال الطبرسى قدّس سرّه: «وفى ذلك أعظم دلالة على صدق نبيّنا وصحّة نبوته، لأنّه أخبر بالشىء قبل كونه فكان كما أخبر، وأيضاً:

فإنّهم كفوا عن التمنى للموت لعلمهم بأنّه حقّ، وأنّهم لو تمنّوا الموت لماتوا.

وروى الكلبى عن ابن عباس أنّه قال: كان رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله يقول لهم إن كنتم صادقين فى مقالتكم فقولوا: اللّهمّ أمتنا، فوالّذى نفسى بيده لا يقولها رجل إلّاغص بريقه فمات مكانه، وروى أنّه صلّى اللَّه عليه وآله قال: لو تمنّوا لماتوا عن آخرهم «۱».

---

(١) مجمع البيان ١/ ١۶۴ و ۵/ ۲۸۷.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۹۶

أمّا الوجه الرابع: هل يمكن التمنى أم لا؟ فنقول: إنّ التّمنى سواء كان باللسان أو بالقلب، يمكن طلبه، أمّا إن كان باللسان، كما هو المراد هاهنا على الظاهر، فظاهر، وأمّا إن كان بالقلب وهو من الأمور غير الإختيارية، فيمكن تحصيله بتحصيل مقدّماته، كما هو طريق تحصيل غير الإختيارى من الأمور، كالحبّ والبغض والسّخاء والشّجاعة، إلى غير ذلك من الحالات والملكات، بحسب القوى المودعة فى النفس.

وأمّا الوجه الخامس، سبب قوله: «إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ»: فهو لتقوية بيان كذب إدعائهم، أى «إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ» فى زعمكم ولايتكم للَّه تعالى «فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ» [۱].

واعلم، أنّهم لو تمنّوا الموت لكان دليلًا على محبّتهم للَّه من وجوه:

[۱] قال ابن كثير: أىإن كنتم تزعمون أنّكم على هدى، وأنّ محمّداً وأصحابه على ضلاله، فادعوا بالموت على الضال من الفئتين إن كنتم صادقين «۱».

---

(١) تفسير القرآن العظيم ۴/ ۳۶۴.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۹۷

الأوّل: وجوده فى التوراة، كما عن على بن إبراهيم القمى قال:

إنّ فى التوراة مكتوب: أولياء اللَّه يتمنّون الموت «۱».

الثانى: لتخلّصه من دار البليـة التى تشـغله بآلامه الطبيعية عن القيام بوظائف المحبّة، وهو لم يبلغ درجة أن لا يرى الألم ألماً ولا ينشـغل به، فيتمنى الموت حتى يتفرغ قلبه عمّا يلهيه عن ذكر حبيبه.

الثـالث: للإنتقـال إلى دار الكرامـة وإلى لقـاء اللّه تعالى وإن كان ههنا فى الراحـة والنعيم، حيث إنّ حجاب عالم المادة ممّا يؤذيه غاية الإيـذاء، فيتمنّى ارتفـاع هـذا الحجـاب، والتخلص من أذاه حتى تتبـدل حيـاته الماديـة المغمورة بـالحجب إلى الحياة الكاملـة المقرونة بالمكاشفات، فيكشف عنه غطاؤه وبصره اليوم حديد.

ولا يخفى: أنّ ما فى الآيـة ميزان محبّة اللّه تعالى، فمن رأى نفسه شائقاً إلى الموت، وكان متمنّياً له، كان محبّاً للّه تعالى، ومن لم يكن كذلك لم يكن محبّاً.

ولهذا ترى أمير المؤمنين عليه السّلام والصّلاة، يقول: «واللّه لابن أبى طالب آنس بالموت من الطفل بثدى أمّه» «٢»، وفى محلّ

---

(١) تفسير القمى ٢/ ٣۶۶.

(٢) بحار الأنوار ٢٨/ ٢٣۴، وشرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ١/ ٢١٣، وشرح أصول‌الكافى للشيخ محمّد صالح المازندرانى: ۴٢.

آخر بعد ما قال له الحسن عليه السّلام: ما هذا زىّ الحرب: «يا بنى، إنّ أباك لا يبالى وقع على الموت، أو وقع الموت عليه» «١». وكذا كان سائر أوليائه.

هذا، وغير خفىّ على الفطن العارف، أنّ الموت كما أنّه هادم اللذات والشـهوات، كذلك ذكره هادم ذكرها، فمن ذكر الموت بحقيقة التـذكر، فما دام كـذلك، فهو منصـرف عن اللّاهوتيّة النفسانية واللذات الشـهوانية وعن ذكرها، وسـيأتى فى تفسـير الآية الآتية القسـم المذموم من التّمنى. وفى المقام مطالب لا تناسب التفسير.

وأمّا الوجه السادس: بيان القياس فنقول: القياس إسـتثنائى، ينتـج من رفع التالى رفع المقـدّم. صورته: إن كنتم أولياء للّه فتمنّوا الموت، ولا يتمنّونه، فلا يكونون أولياء له تعالى.

أمّا الملازمـة بين التمنّى والولايـة للّه، فظاهرة ممّا سبق، وأمّا الملازمـة بين عـدميهما، فلأنّ ما ينعكس بعكس النقيض إذا جعل قياساً، كان رفع تاليه مستلزماً لرفع مقدّمه، لأعميّة التالى أو مساواته له.

إن قلت: لا نسلّم الملازمة بين الولاية وتمنّى الموت، لإمكان

---

(١) مناقب آل أبى طالب لابن شهرآشوب ١/ ٣٨۵، وبحار الأنوار ۴١/ ٢.

أن يكون وليّاً للّه حقيقة ولا يتمنّى الموت، بل يرغب فى البقاء فى الدنيا، لإتيان الأعمال الصالحة أكثر حتى ترتفع درجته.

قلت: إنّ المحبّ الحقيقى لا يريـد إلّاالوصول إلى محبوبه، وإن فاته بسـببه المنافع الكثيرة، وإلّا لم يكن تامّاً فى محبّته، مشـتاقاً إلى لقاء محبوبه [١].

واعلم: أنّ الجـواب بـالنقض- بـأن يقولوا: نقتلـك لتصـل إلى النعيم الأبـد، لأنّـك تقول مثـل مقالتنـا- مردود، بـأنّ عرض النفس على الهلاك حرام، لقوله تعالى «وَلا تُلْقُوا بِأَيْديكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ» «١»

، وبأنّ المقصود من البعث، هو التبليغ والهداية إلى الطريق المستقيم ولم يحصلا.

[١] قـال الطنطاوى: خاطب اليهود وقال لهم: إن كنتم خواص اللّه حقّاً فما لكم لا تحبّون الموت بقلوبكم؟ كلّا، أنتم لسـتم خواص للّه، بل أنتم كعامـة الناس تفرّون من الموت والموت ملاقيكم، هكـذا ظاهر القول، ولكن حقيقته تعليم المسـلمين، فهو من حيث الظاهر ذمّ

لليهود من جهة وتكذيب، ومن جهة أخرى تعليم للمسلمين ليعرفهم من هم أولياء اللّه «۲».

---

(۱) سورة البقرة، الآية: ۱۹۵.

(۲) تفسير الجواهر ۲۴/ ۱۷۳.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۰۰

ثمّ، إن قيل: ما الدليل على عدم تمنّيهم الموت فلعلّهم تمنّوا ذلك، وقوله تعالى «وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِما قَدَّمَتْ أَيْديهِمْ» لا يصحّ الإحتجاج به مع اليهود، لعدم اعترافهم بالقرآن.

قلنا: لو تمنّوا الموت، لنقل إلينا، مع أنّه لم ينقل.

وفى المقام مباحث أخر ذكرت فى المطولات، فليراجع إليها.

«وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِما قَدَّمَتْ أَيْديهِمْ وَاللَّهُ عَليمٌ بِالظَّالِمينَ».

أى لا يقولون: اللّهمّ أمتنا، بسبب ما قدّمت أيديهم من الكفر والمعاصى، وإنكار القرآن، وتحريف التوراة الموجب لتعذيبهم وتخليدهم فى النار، لأنّهم كانوا عالمين بأنّهم الكاذبون، وأنّ محمّداً صلّى اللّه عليه وآله وأوليائه هم الصادقون.

واعلم أنّ المشهور ما ذكرنا من أنّه كان المراد بتمنّيهم الموت تمنّيهم لأنفسهم، وفى بعض التفاسير تمنّيهم الموت للكاذب من الطرفين. ولا يخفى أنّ هذا أوضح دليل على نبوّة نبيّنا صلّى اللّه عليه وآله، لأنّه أخبر بالشىء قبل كونه وكان كما أخبر به.

ووجه التعبير «بِما قَدَّمَتْ أَيْديهِمْ» مع أنّ الإنكار كان باللسان:

حصول الجناية فى الغالب بها، وهذا الإستعمال شايع فى العرف.

وقد تقدّم والكلام فى لفظ «الظّالمين» [۱].

[۱] قال صدر المتألّهين قدّس سرّه: ولا يتمنّونه الموت لما

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۰۱

اكتسبت نفوسهم من ملكة محبّة الدنيا ولذّاتها وشهواتها وملكة الإنجذاب إلى دواعيها وأغراضها، فصارت نفوسهم مقيّدة بها، محبوسة فيها لتكرّر الأفاعيل البدنية الشهوية والغضبية، وتكثّر الأعمال الحيوانيّة البهيميّة والسبعية، الموجبة للركون إلى نعيم الدنيا وزهرتها، والإخلاد إلى أرض الشهوات والإستغراق فى بحر اللذات، ومنشأ هذه الأعمال والأفعال كلّها هو الفساد فى الإعتقاد، والشكّ فى بقاء النفس فى المعاد ورجوعها إلى الواحد القهّار «... ۱».

وقال الطبرسى: إنّ اللّه تعالى عليم بالأسباب التى منعتهم عن تمنّى الموت، وبما أضمروه وأسرّوه من كتمان الحقّ عناداً، مع علم كثير منهم أنّهم مبطلون، وروى عن النّبى صلّى اللّه عليه وآله أنّه قال: «لو أنّ اليهود تمنّوا الموت لماتوا أو لرأوا مقاعدهم فى النار، فقال اللّه سبحانه:

إنّهم لن يتمنّوه أبداً، تحقيقاً لكذبهم»، وفى ذلك أعظم دلالة على صدق نبيّنا صلّى اللّه عليه وآله وصحّة نبوّته، لأنّه أخبر بالشىء قبل كونه فكان كما أخبر «۲».

---

(۱) تفسير صدر الدين الشيرازى: ۷/ ۱۹۸.

(۲) مجمع البيان ۱/ ۱۶۴.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۰۲

«قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلى عالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ».

أى قل يا محمّد صلّى اللَّه عليه وآله لهؤلاء اليهود: إنّ الموت الذى تفرّون منه ولا تتمنّونه خوفاً من العقاب بسبب التحريف والإنكار، ملاقيكم ولا يفيدكم الفرار، ثمّ تردّون إلى عالم الغيب والشّهادة، فيخبركم بأعمالكم وما فعلتم فى دار الدنيا، وفى هذه الآية مباحث:

الأوّل: أنّه هل ينبغى الفرار من الموت، أم لا؟ وما معنى الفرار؟

الثانى: سبب إدخال الفاء فى قوله (فإنّه).

الثالث: معنى الشرط والجزاء، مع أنّ الموت ملاقيهم على أىّ حال.

الرابع: سبب قوله (ثمّ) الظاهرة فى التراخى.

الخامس: قوله (تردّون) الدالّ على المجىء من طرفه، دون (تأتون).

السادس: إختصاص الوصف بعالم الغيب والشهادة، دون غيرهما من الأوصاف.

السابع: قوله ينبّئكم، دون يجزيكم.

أمّا البحث الأوّل، فنقول: الفرار هو الهرب، ويكون تارةً بتبعيد النفس عن الشىء المكروه، وأخرى بتبعيده عنها، وثالثة بالمنع من

وصوله إليها، وهذا الأخير هو الظاهر فى الآية، لأنّهم كانوا يمنعون من وصول الموت إلى أنفسهم بعدم التمنّى. هذا، والفرار مسبّب لأحد أمرين:

الأوّل: حبّ الدنيا والعلاقة بما فيها من الزخارف، مع العلم بعدم النصيب من الآخرة، وهذا هو الفرار المذموم [۱] ولهذا ترى أولياء اللَّه يتمنّون الموت لعدم حبّهم وعلاقتهم بالدنيا وما فيها، ورجائهم رحمة ربّهم، كما تقدّم فى تمنّى أمير المؤمنين عليه السّلام للموت.

الثانى: تحصيل رضى اللَّه سبحانه بالبقاء والخوف من عقابه وهو من صفة المؤمن، كما قال اللَّه تعالى: «وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْها» «۱»

وهذا هو الفرار الممدوح، وفى الحقيقة ليس بفرار، لعدم صدقه على الخائف والمتجنب عن الخلاف، وأيضاً: لا منافاة بين الإشفاق والتمنّى، كما هو ظاهر.

[۱] عن أبى عبداللَّه عليه السّلام قال: جاء رجل إلى أبى ذر فقال: يا أبا ذر ما لنا نكره الموت؟ فقال: لأنّكم عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة، فتكرهون أن تنقلوا من عمران إلى خراب «۲».

---

(۱)

سورة الشورى، الآية: ۱۸.

(۲) الميزان فى تفسير القرآن ۱۹/ ۳۱۱.

هذا، والفرار من الموت غير حرى لدى العاقل، لأنّه لا يستقدم ساعة ولا يستأخر، وفى المجمع عن أمير المؤمنين عليه السّلام «كلّ امرىء لاق ما يفرّ منه، والأجل مساق النفس، والهرب منه موافاته» «۱». وفى الصّافى عن القمّى عنه عليه السّلام قال: «أيّها الناس كلّ امرىء لاق فى فراره ما منه يفر، والأجل مساق النفس إليه، والهرب منه موافاته» «۲».

فإن قيل: على ما ذكرتم من قبح الفرار لعدم فائدته، حيث إنّ الموت لا يستأخر، يلزم قبح تمنّيه بمثل ذلك، فما وجه تمنّى بعض أوليائه له؟

قلت: ليس التمنّى مثل الفرار، لأنّه يصحّ تمنّى الشىء الذى لا يقع، فإنّه عبارة عن إظهار حبّ الشىء، وهو لا ينافى العلم بعدم الوقوع، قال إسماعيل بن قاسم أبو العتاهية:

فياليت الشباب يعود يوماً فأخبره بما فعل المشيب «٣»

ونفس إظهاره عبادة، حيث إنّه تشوق إلى لقاء اللّه تعالى وإلى دار كرامته، وهو إقبال النفس إلى الآخرة، كما أنّه إدبار النفس عن

---

(١) مجمع البيان ١٠/ ٣۶۶.

(٢) تفسير القمّى ٢/ ٣۶۶- ٣۶٧، وتفسير البرهان ۵/ ٣٧٧، وتفسير الصّافى ۵/ ١٧٣.

(٣) ديوان أبى العتاهية: ٢٣.

الدنيا وزخارفها، وإن شئت قلت: إقبال إلى اللّه سبحانه وإدبار على ما سواه، بخلاف الفرار فإنّه بالعكس من التمنّى ولوازمه.

ويمكن أن يجاب أيضاً: بأنّ التّمنى مؤثّر فى تقديم الأجل تكويناً، بمعنى أنّه مثل الدعاء، فكما أنّ الدعاء مؤثّر تكويناً، أىقدّر للداعى الغنى مثلًا، لكن بشرط الدعاء الواقع لا محالة بالإختيار، فكذلك المتمنى للولد مثلًا الذى قدّر له الولد، يتزوّج لا محالة، فالولد وإن كان لابدّ وإن يعطى لكن بالأسباب، فإنّه أبى اللّه أن يجرى الأمور إلّابأسبابها.

هذا، والكلام فى هذا الباب كثير لا يسعه التفسير فليطلب من محلّه.

وأمّا البحث الثانى- أعنى سبب إدخال الفاء فلأنه فى معنى الجزاء.

ويمكن أن تكون سببيّة، تنبيهاً ودلالةً على أنّ الفرار سبب للملاقاة، مثله فى قوله تعالى «فَوَكَزَهُ مُوسى فَقَضى عَلَيْهِ» «١» «فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتابَ عَلَيْهِ» «٢»

فإنّ الوكز والتلقى كانا سبباً للموت والتوبة. وتدلّ عليه الرواية المتقدّمة عن علىّ عليه السّلام: «والأجل مساق النفس».

---

(١)

سورة القصص، الآية: ١۵.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٧.

وأمّا البحث الثالث: أعنى معنى الشرط والجزاء مع أنّ الموت ملاقيهم على كلّ حال، فقد قيل: إنّ هذا على جهة الرّد عليهم، إذ ظنّوا أنّ الفرار ينجيهم. وهذا مخدوش، لعدم تسليم أنّهم ظنّوا النجاة بسبب الفرار من الموت أو العذاب، وذلك لعلمهم بعدم نجاتهم منهما، وإن أريد ظنّهم الفرار حالًا وعدم موتهم وتعذيبهم حالًا، فلا يصحّ الرّد كما هو ظاهر. والصحيح أن يقال: لما كانت الفاء سببية، لم نحتج إلى جعل الجملة جواباً والتكلف لبيان الشرط.

وأمّا البحث الرابع: أىسبب الإتيان بلفظ ثمّ الدالّة على التراخى، فهو الإشارة إلى فصل البرزخ بين هذه النشاة والنشأة الأخرى [١]، فإنّ يوم الرّد إلى اللّه تعالى والغالب فى إطلاقه هو يوم القيامة، وإن كان الموت سبباً للرّد.

[١] قال الطريحى: البرزخ: هو ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث، فمن مات فقد دخل البرزخ. ومنه الحديث: «كلّكم فى الجنة ولكنّى واللّه أتخوف عليكم البرزخ، قلت: وما البرزخ؟ قال:

من حين الموت إلى يوم القيامة». ومن حديث الصّادق عليه السّلام:

البرزخ القبر، وهو الثواب والعقاب بين الدنيا والآخرة «١».

---

(١) مجمع البحرين ١/ ١٨۶.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۰۷

وأمّا البحث الخامس: أى‌الإتيان بلفظ «تردُّون» دون أن يقال (يأتون) ونحو ذلك، فالنكتة فيه: أنّ العبد بالمعصية والتّمرد يكون قد فرّ عن مولاه، وصار آبقاً وضالّاً، والمناسب مع الإباق والضّلالة هو الرّد، حيث يقال: ردّ الآبق، ردّت الضّالة. ومن ذلك يعلم سرّ التعبير بصيغة المبنيّ للمجهول المشعر بالزجر والعنف، فإنّ الآبق يردّونه بالزجر عليه، لا أنّه يأتى بنفسه وطبعه، وإلّا لما أبق من الأوّل، وبالقهر عليه يأتون به إلى اللَّه، وقد فرّ عنه تعالى بطبعه الأوّلى وعصاه، وتمرّد وبعد عنه، نعوذ باللَّه سبحانه من ذلك.

وأمّا البحث السادس، أعنى اختصاص الوصف بعالم الغيب والشهادة دون سائر الصفات، فقد جاء تنبيهاً على أنّ المرجع ليس من لا يعلم الغائب عن الأبصار، حتّى تتمكّنوا من إنكار ما كنتم تعلمونه فى ضمائركم من صفات النّبى صلّى اللَّه عليه وآله، وتعتقدون أنّه هو فى باطن الأمر، وتخفون من الناس حذراً عن قطع رواتبكم واضمحلال رياستكم الباطلة، ولا ممّن يعلم المشاهد حتّى تقدروا على إنكار ما أضللتم الناس عن طريق الهدى، وأوقفتموهم على التوراة المحرّفة، وقلتم أنّ محمّداً صلّى اللَّه عليه وآله لم يأت بعد، وسائر الأكاذيب.

وليس يفيد غيرهما من الصّفات والأسماء هذا المعنى

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۰۸

بالصراحة، ولو أطلق العالم لم يفده وإن كان شاملًا، وكذا لفظ الجلالة.

وأمّا البحث السابع، وهو سبب قوله «فَيُنَبِّئُكُمْ» دون يجزيكم معه، أو يجزيكم بدونه، مع أنّ يوم القيامة يوم الجزاء، فهو الدلالة على أنّ ذلك اليوم تتمّ الحجّة عليهم بما فعلوا، أى‌ليس يوم القيامة يجزى الناس من دون عرض أعمالهم، بل تعرض أعمالهم حتّى لم يكن لهم حجّة، ثم يجزون بما فعلوا، ولو قال: يجزيكم، لم يفد ذلك.

وكذا لا احتياج إلى ذكر (يجزيكم) بعد (ينبئكم)، لأنّ الإخبار بما فعلوا لولا الجزاء كان لغواً، جلّ عن ذلك. والخلاصة: إنّ الجزاء من الأخبار ظاهر لكونه لازمه، فلا يحتاج إلى ذكره معه، وعن الجزاء ليس الإخبار ظاهراً، فلا يكون مكانه. هذا.

ويستفاد من إتيان الفاء الدالة على التراخى بظاهرها: تعطيلهم فى المحشر الموجب لتعذيبهم، فإنّ الوقوف فيه للجرم عذاب شديد.

ونختم الآية بالحديث المروىّ عن الصّادق عليه السّلام فى هذه الآية قال عليه السّلام تعدّ السنين، ثمّ تعدّ الشهور، ثمّ تعدّ الأيّام، ثمّ تعدّ الساعات، ثمّ يعدّ النفس «فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لايَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ» «۱»

، والمعنى: إنّ السنين تعدّ إلى السنة التى فيها

---

(۱) تفسير البرهان ۴/ ۳۳۴.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۰۹

يموت، وهكذا الشهور والأيّام والساعات والأنفاس حتى النفس الأخير. لا أنّ المعنى: تعدّ النفس حتّى يصير ساعة، ثمّ السّاعات حتّى يصير يوماً، ثمّ الأيّام حتى يصير شهراً، ثمّ الشهور حتّى يصير السّنة، ثمّ السنين حتّى يجىء أجله، فيشكل بأنّه لماذا عكس فى الرواية، فتدبّر جيّداً [۱].

[۱] قال العلّامة الطباطبائى: «ففى الآية إيذانهم، أوّلًا: إنّ فرارهم من الموت خطأ منهم فإنّه سيدركهم ويلاقيهم، وثانياً: إنّ كرامتهم لقاء اللَّه خطأ آخر، فإنّهم مردودون إليه محاسبون على أعمالهم السيئة، وثالثاً: إنّه تعالى لا يخفى عليه شىء من أعمالهم ظاهرها وباطنها ولا يحيق به مكرهم، فإنّه عالم الغيب والشهادة.

ففى الآية إشارة أوّلًا: إلى أنّ الموت حقّ مقضى، كما قال «كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ» «۱»

وقال: «نَحْنُ قَدَّرْنا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَما نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ» «۲»

، وثانياً: إنّ الرجوع إلى اللّه لحساب الأعمال حقّ لا ريب فيه، وثالثاً: إنّهم سيوقفون على حقيقة أعمالهم، فيوفونها، ورابعاً: إنّه

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٣٥.

(٢) سورة الواقعة، الآية: ٦٠.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١١٠

تعالى لا يخفى عليه شيء من أعمالهم، وللإشارة إلى ذلك بدل اسم «يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا إِذا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ».

فى هذه الآية مباحث:

الأوّل: وجه التعليق بما قبل، أىالربط بينها وبين الآية السابقة.

الثانى: وجه الخطاب بنحو القضيّة الشرطيّة الحقيقيّة.

الثالث: وجه الخطاب بالمؤمنين، ولم يذكر يا أَيُّهَا النَّاسُ، كما فى بعض الموارد، مع أنّ الكفّار لما كانوا مكلّفين، لزم توجّه الخطاب إليهم أيضاً.

الرابع: سبب قوله «إِذا» وما يستفاد منه.

الخامس: الإتيان بلفظ المجهول «نُودِيَ»، وعدم ذكر المفعول به، بأن يقول نوديتم، ولم أتى بلفظ النداء دون الأذان.

السادس: إدخال مِنْ فى قوله «مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ».

السابع: معنى الجمعة.

الثامن: سبب قوله «فَاسْعَوْا» دون فامضوا أو اسرعوا.

التاسع: وجه قوله «إِلى ذِكْرِ اللَّهِ» دون إليها مع أنّه أخصر.

الجلالة من قوله عالم الغيب والشهادة» «١».

---

(١) الميزان فى تفسير القرآن ١٩/ ٣٠٩ و ٣١٠.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١١١

العاشر: التصريح بقوله «ذَرُوا الْبَيْعَ»، مع أنّه يستفاد من قوله تعالى «فَاسْعَوْا»، للمنافاة بينهما.

الحادى عشر: إختصاص البيع بالذكر.

الثانى عشر: معنى قوله «ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ» ووجه الخيرية.

الثالث عشر: معنى الشرطية، فإنّهم سواء علموا أم لم يعلموا كان ذلك خيراً.

الرابع عشر: وجه قوله تعالى «إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» دون تَفْقَهُونَ، أو نحو ذلك.

ويذكر فى طى كلّ من المباحث مطالب لها ربط بالمقام.

أمّا البحث الأوّل: فوجه الربط.

١- ما ذكرنا سابقاً من أنّ السّورة فى مقام إبطال مباهاة اليهود بالأمور الثلاثة التى مرّ ذكرها. وهذا ظاهر، لأنّه لمّا فرغ من الأمرين الأوّلين شرع فى الأمر الثالث، أعنى بيان إنّ للعرب وللمسلمين الجمعة، كما إنّ لليهود السبت.

٢- إنّه لما قال فى أوّل السورة «يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ» أراد أن يبيّن ذلك تفصيلًا، فإنّ صلاة الجمعة بما لها من الخطبتين مشتملة على جميع ما ذكر، كما سنذكره إن شاء اللّه تعالى. وقصّة اليهود مثل وتهديد فى ضمن الكلام،

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۱۲

فلا ينافى الربط.

۳- وقيل: «وجه التعلق بما قبلها، هو إنّ الـذين هادوا يفرّون من الموت لمتاع الدنيا وطيّباتها، والذين آمنوا يبيعون ويشـرون لمتاع الدنيا وطيّباتها كذلك، فنبّههم اللَّه تعالى بقوله «فَاسْعَوْا إِلى ذِكْرِ اللَّهِ» أى إلى ما ينفعكم فى الآخرة، وهو حضور الجمعة» «۱» انتهى.

وخلاصته: إنّ الآية فى مقام تنبيه المؤمنين بأن لا يكونوا مثل اليهود فى ابتغائهم عرض هذه الدنيا.

وأمّا البحث الثانى: فوجه الخطاب بنحو القضيّة الحقيقيّة، هو التعميم ليعمّ المخاطبين، أعنى الأمّيّين والآخرين الذين «لَمَّا يَلْحَقُوا».

وأمّـا البحث الثـالث، سـبب تخصـيص الخطـاب بـالمؤمنين، مع أنّ الكفّـار مكلّفون بـالفروع الموجب لتوجّه الخطـاب إليهم، فهو كون المـؤمنين محـلّ الإبتلاء دونهـم، وعـدم لزوم تـوجّه الخطـاب إلى الكفّـار ولـو كـانوا مكلّفيـن [۱] وأنّ الكفّـار معـاقبون على الفروع كمعقابتهم

[۱] الثابت عند علماء الكلام، إنّ الكفّار مكلّفون بالتكاليف الشرعية كالمؤمنين، ولذلك فهم يحاسبون عليها يوم القيامة حتّى لو أتوا

---

(۱) تفسير الرازى ۳۰/ ۸.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۱۳

على الأصول، لأنّ الخطابات المطلقة كنحو (يا أيّها النّاس) والمتوجّه إليهم كمثل (يا أهل الكتاب)، كافٍ فى عقابهم على الفروع، فإنّهم لو آمنوا لشملهم الخطاب، وبتركهم له كانوا عاصين معاقبين، فكذا مع عدم إيمانهم، لأنّهم تعمّدوا ترك الإمتثال بتعمّد عدم الإيمان، فإنّ العقلاء لا يرتابون فى ذمّ عبد ترك أمر المولى بالنسبة إلى فعل معيّن، لتركه المجىء عنده للأمر الذى كان مأموراً به، ولا محلّ لاعتراضه على المولى بانّك خاطبت الحاضرين ولم أكن معهم.

وأمّا البحث الرّابع، أىسبب التعليق (بإذا): فهو إفادة عدم لزوم السّعى إذا لم يناد لصلاة الجمعة، فإنّ المشروط ينعدم عند عدم شرطه، وصلاة الجمعة ليست كسائر الصّلوات واجباً مطلقاً، فإنّها حيث كانت مطلقة لم يعلّقها فى الآيات بشىء كقوله «أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ» «۱»

وقوله «حافِظُوا عَلَى بها، فإنّهم حال كونهم كفّار لا يتأتى منهم قصد القربة، ولكن اختلف علماء الكلام فى أنّهم مكلّفون بالإعتقاد بأصول العقائد فقط، أو أنّهم مكلّفون بالفروع أيضاً.

---

(۱) سورة الإسراء، الآية: ۷۸.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۱۴

الصَّلَواتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطى» «۱»

وقوله «إِنَّ الصَّلاةَ كانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنينَ كِتابًا مَوْقُوتًا» «۲».

ويستفاد من التعليق (بإذا) أيضاً: عدم لزوم تحصيل النداء، كما هو شأن الواجب المشروط كالحجّ، فإنّه لا يجب تحصيل الزاد والراحلة، وكذا غيره من الواجبات المشروطة بشىء، كالخمس والزكاة وغيرهما [۱]. نعم، الظاهر أنّ ولىّ الأمر من النّبى صلّى اللَّه عليه وآله والوصىّ عليه السّلام أو من كان منصوباً خاصّاً من قِبَلهما يتصدّى للنداء، ويأمر به فى يوم الجمعة، بحيث كان ذلك من الوظائف المقرّرة فى الشريعة، كما ربما يستفاد ذلك من بعض الروايات بل كادت تكون صريحة فيه.

[۱] المطلق والمشروط: تنقسم الواجبات فى الشريعة الإسلاميّة إلى واجب مطلق، وواجب مشروط، وأنّ الواجب إذا قيس وجوبه إلى شىءٍ آخر خارج عن الواجب، فهو لا يخرج عن أحد نحوين: ۱- أن يكون متوقّفاً وجوبه على ذلك الشىء، وهو- أىالشىء- مأخوذ

فى وجوب الواجب على نحو الشرطية، كوجوب الحجّ بالقياس إلى

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣٨.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٠٣.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١١٥

وأمّا فى عصر الغيبة والمنصوبين بالنّيابة العامّة، فلا دليل على وجوب النداء عليهم، لكنّهم إن تصدّوا لذلك، أو تصدّى غيرهم له، واجتمع العدّة، أعنى الخمسة أو السبعة، لوجب على الكلّ الحضور للصّلاة، واللَّه العالم [١].

الإستطاعة، وهذا هو المسمّى بالواجب المشروط، لإشتراط وجوبه بحصول ذلك الشيء الخارج، ولذا لا يجب الحجّ إلّاعند حصول الإستطاعة ٢- أن يكون وجوب الواجب غير متوقّف على حصول ذلك الشيء الآخر، كالحجّ بالقياس إلى قطع المسافة وإن توقّف وجوده عليه، وهذا هو المسمّى بالواجب المطلق، لأنّ وجوبه مطلق غير مشروط بحصول ذلك الشيء الخارج، ومنه الصّلاة بالقياس إلى الوضوء والغسل والساتر ونحوها. ومن مثال الحجّ يظهر أنّه- وهو واجب واحد- يكون واجباً مشروطاً بالقياس إلى شيءٍ، وواجباً مطلقاً بالقياس إلى شيء آخر، فالمشروط والمطلق أمران إضافيان. ثمّ اعلم أنّ كلّ واجب، هو واجب مشروط، بالقياس إلى الشرائط العامّة، وهى البلوغ والقدرة والعقل، فالصّبى والعاجز والمجنون لا يكلّفون بشيء فى الواقع «١».

[١] لا شكّ أنّ صلاة الجمعة واجبة فى الشريعة الإسلاميّة، لكن

---

(١) أصول الفقه للمظفّر قدّس سرّه ١/ ٨٧.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١١۶

ذهب ابن ادريس وسلّار والسيّد المرتضى وغيرهم من الفقهاء الإماميّة، إلى أنّ وجوبها مشروط بوجود النّبى صلّى اللَّه عليه وآله أو الإمام عليه السّلام أو النائب الخاصّ، المنصوص من النّبى أو الإمام، وحيث إنّ عصرنا هذا هو عصر الغيبة الكبرى، فإنّ الإمام الحجّة بن الحسن المهدى صاحب الزمان أرواحنا له الفداء غائب عن الأنظار، أفتوا بحرمة إقامة الجمعة «١».

وذهب بعض كالشهيد الثانى وغيره إلى أنّ وجود النّبى صلّى اللَّه عليه وآله والإمام عليه السّلام أو النائب الخاصّ لم يكن شرطاً، بل تجب صلاة الجمعة فى جميع الأزمنة، وذهب بعض إلى التخيير بين إتيان الظهر أو صلوة الجمعة، وهو الأشهر، كما قال به آية اللَّه العظمى السيّد أحمد الخوانسارى:

«قد يجمع بين الأخبار الّتى تمسّك بها لمشروعيّة إقامة الجمعة مع عدم المنصوب من قبل الإمام عليه السّلام، وبين ما يستفاد منه عدم مشروعيّة الجمعة إلّامع الإمام عليه السّلام أو من يكون منصوباً من قبله، بأن يكون وجوب صلاة الجمعة بحسب الجعل الأوّلى مشروطاً بأن

---

(١) راجع حجّة التفاسير ٧/ ١۴.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١١٧

يقيمها النّبى صلّى اللَّه عليه وآله أو خلفاؤه عليهم السلام أو من يكون منصوباً من قبلهم، فإذا دعوا إليها يجب السّعى إليها على كلّ مكلّف إلّا من استثنى، وفى زمن عدم حضورهم أو كونهم غير مبسوطى اليد، يجب على الناس فى يوم الجمعة صلاة أربع ركعات، وفى تلك الحالة إذا اجتمعوا للجمعة بالعدد المعتبر يصحّ منهم الجمعة مع بقاء مشروعيّة الظّهر بإطلاق المادة، ونتيجته التخيير» «١».

وذهب بعض إلى أنّه لو اجتمعت الشرائط وجب الحضور إحتياطاً، كما قال به آية اللَّه العظمى السيّد ابوالقاسم الخوئى «٢».

وقال السيّد الوالد: لا يجب النّداء لصلاة الجمعة، ولكن إذا نودى لصلوة الجمعة واجتمعت العدّة وجبت، لأنّ الأمر بالسعى فى قوله تعالى «إِذا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ» لا يمكن تعلّقه بالصّلاة، فلابدّ وإن يتعلق بإذا نودى، ويكون بياناً لظرف الزمان المستفاد من كلمة (إذا)، ويمكن أن يكون متعلّقاً بالصّلاة بتقدير المدخول، أىللصّلاة من وظائف يوم الجمعة لا لغيرها منها.

---

(١)

جامع المدارك فى شرح المختصر النافع ١/ ۵۲۴.

(٢) منهاج الصّالحين ١/ ١٨۶.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١١٨

ثمّ إذا لوحظ ظاهر الكتاب من دون مراجعة الروايات، يمكن أن يقال: إنّ الصّلاة هى طبيعة الصّلاة، ولو كان المراد هو العهد لاختصّ بصلاة الجمعة التى كان الرّسول صلّى اللّه عليه وآله يقيمها، فإنّها المعهود، فتشمل صلاة الظّهر أيضاً، والمبادرة الّتى تستفاد من السّعى بل ومن الفاء التفريعية الواقعة فى الجزاء المفيدة لتفرّع المادة المنتسبة، أو مفاد الهيئة وهى النسبة التلبسية إلى مقدّم الشّرطية، لا تنافيها، فإنّ وقتها يوم الجمعة ضيق كوقت صلوة الجمعة، وأيضاً الأمر بالسعى لا مجال لإستظهار الوجوب منه، فإنّه محفوف بجملة «ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ» ولا أقلّ من أنّه يمكن أن يكون جهة الخير بلحاظ أنّ صلاة الجمعة أفضل من عدلها التخييرى، وهو صلاة الظهر.

وبعبارةٍ أخرى: أنّ الخير هو أفعل التفضيل، كما فى قوله تعالى «فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوى» «١»

و «مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها» «٢» و «ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بارِئِكُمْ» «٣»

هذا كلّه، مضافاً إلى أنّ الآية الشريفة

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

(٢) سورة النمل، الآية: ٨٩.

(٣) سورة البقرة، الآية: ۵۴.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١١٩

وأمّا البحث الخامس: فينحلّ إلى ثلاث جهات:

الأولى: وجه الإتيان بلفظ المجهول «نُودِيَ»: هو عدم الخصوصيّة فى الفاعل، فإنّ المقصود وقوع النداء فى الخارج، سواء كان المنادى زيداً أم عمرواً أم بكراً، كما تقول لمنتظر الزوال: إذا أذن فاستعد للصّلاة، حيث لا تريد أذان مؤذن مخصوص، وليست الآية بسببه من المتشابهات كما زعمه بعض- وقال: أتى بالفعل المجهول ولم يذكر المنادى لئلّا يؤخذ بإطلاقه، بل أشار بالإجمال والإهمال وأنّه ليس بصدد البيان، بل أوكل بيانه إلى أولى العلم، قال تعالى «مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأَمَّا الَّذينَ فى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ» «١»

إلى آخر ما ذكره من نحو هذه الكلمات- لأنّ الفعل المجهول ظاهر فى التعميم وعدم الخصوصيّة، فإنّ الإتيان به لتعليق الحكم بالواقع فى الخارج من غير نظر إلى شخص معيّن، خصوصاً إذا كان المتكلّم بصدد البيان.

لا تفيد الأمر بايقاع صلاة الجمعة ووجوب النّداء لها، بل تدلّ على الأمر بالسعى على تقدير النّداء، فيكون السّعى إليها واجباً مشروطاً بالنّداء، أمّا

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١٢٠

وجوب تحصيل الشرط، فلا تدلّ الآية عليه.

وبالجملة: فإنّ «نُودِيَ» له معنىً ظاهر، وهو الإسناد إلى المفعول له، لدخالته فى الحكم، ولم يسند إلى الفاعل، لعدم مدخلية ذلك فى الحكم، ضرورة أنّه لم يكن فى الشرع للمنادى خصوصيّة يختلف باختلافه الحكم، مثلًا لو لم يكن ينادى بلال [١] يوماً هل كان

[١] بلال بالكسر بن رياح الحبشى، كان من السّابقين فى الإسلام، شهد بدراً وأحداً وخندق والمشاهد كلّها مع رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله، وكان ممّن يعذّب فى اللَّه عزّ وجل فيصبر على العذاب، وكان أبو جهل يبطحه على وجهه فى الشمس ويضع الرّحى عليه حتّى تصهره الشمس، ويقول: أكفر بربّ محمّد صلّى اللَّه عليه وآله فيقول: أحداً أحداً، هانت عليه نفسه فى اللَّه عزّ وجلّ، وهان على قومه فأخذوه، فكتفوه، ثمّ جعلوا فى عنقه حبلًا من ليف، فدفعوه إلى صبيانهم فجعلوا يلعبون به بين اخشبى مكّة فإذا ملوا تركوه، وقيل: إشتراه أبو بكر، وهو مدفون بالحجارة ضربته جماثه ضربة ألقى على الأرض، فرآه سلمان وصهيب ملقى على وجه الأرض ميتاً والدم يجرى من تحته، فأخبر النبىّ صلّى اللَّه عليه وآله بذلك فصلّى النبىّ صلّى اللَّه عليه وآله ركعتين ودعا بدعوات وأخذ كفاً من الماء فرشّه على بلال فوثب قائماً وجعل يقبّل قدم النّبى صلّى اللَّه عليه وآله، قال الصّادق عليه السّلام: «رحم اللَّه

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١٢١

بلالًا فإنّه كان يحبّنا أهل البيت، لعن اللَّه صهيباً فإنّه كان يعادينا» «١».

وعن جابر، قال: «كان رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله فى قبّة من ادم (خيمة اسمر) وقد رأيت بلالًا الحبشى وقد خرج من عنده ومعه فضل وضوء رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله فابتدره الناس، فمن أصاب منه شيئاً تمسح به وجهه، ومن لم يصب منه شيئاً أخذ من يدى صاحبه فمسح به وجهه، وكذلك فعل بفضل وضوء أمير المؤمنين عليه السّلام» «٢»، وبلال أوّل من أذن فى الإسلام وكان مؤذّن رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله فى حياته سفراً وحضراً، وكان مسجد رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله بلا منارة وكان بلال يؤذّن على الأرض.

وعن أبى عبداللَّه عليه السّلام قال: «كان طول حائط مسجد رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله قامة، فكان يقول صلّى اللَّه عليه وآله لبلال إذا أذن: أعل فوق الجدار وارفع صوتك بالأذان» «٣»، وأذن بلال على ظهر الكعبة فى عمرة القضاء (السنة السابعة من الهجرة) وفى فتح مكّة دخل

---

(١) الاختصاص: ٧٣.

(٢) بحار الأنوار ١٧/ ٣٣، باب العشرة معه وتفخيمه، الرّقم ١٥.

(٣) بحار الأنوار ٨١/ ١٤٨.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١٢٢

رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله مكّة وكان وقت صلاة الظهر، فأمر رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله بلالًا فصعد على ظهر الكعبة فأذن، فما بقى صنم بمكّة إلّاسقط على وجهه» «١».

فلمّا توفّى رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله إمتنع بلال من الأذان، وقال: لا أؤذّن لأحد بعد رسول اللَّه، وغضب عليه عمر بن الخطاب لإبائه البيعة مع أبى بكر، فقال له عمر: لا أبالك لا تقم معنا، فارتحل بلال إلى الشّام، ولمّا دخل الشّام لم تر باكياً أكثر من ذلك اليوم، ورأى النّبى صلّى اللَّه عليه وآله فى منامه، وهو يقول: ما هذه الجفوة يا بلال، ما آن لك أن تزورنا؟ فانتبه حزيناً فركب إلى المدينة، فأتى قبر النّبى صلّى اللَّه عليه وآله وجعل يبكى عنده ويتمرغ عليه، فأقبل الحسن والحسين عليهما السّلام فجعل يقبّلهما ويضمّهما، فقالا له نشتهى أن تؤذن فى السحر، وفى رواية: إنّ فاطمة عليها السّلام قالت ذات يوم إنّى أشتهى أن أسمع صوت مؤذّن أبى بالأذان، فبلغ

بلالًا ذلك، فعلا بلال سطح المسجد، فأخذ فى الأذان، فلمّا قال: اللّه أكبر اللّه أكبر، ارتجت المدينة

---

(١) بحار الأنوار ٢١/ ١١٩.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١٢٣

النّبى صلّى اللّه عليه وآله يترك الجمعة؟ والحاصل: إنّ المعنى المطابقى لكلمة «نُودِيَ» واضح، وقد ذكر فى مقام البيان، ولو فرض الشك فى كونه فى هذا المقام لحكمنا بمقتضى أصالة البيان أنّه فى مقامه، فنأخذ بمفاده، فلا داعى إذاً لحمل هذه الآية على المتشابهات بدعوى كونها مجملة أو مهملة [١].

وإنّ فاطمة ذكرت أباها وأيّامه، فلم تتمالك من البكاء، فلمّا قال: أشهد أن لا إله إلّااللّه، زادت رجتها، فلمّا قال: أشهد أنّ محمّداً رسول اللّه خرج النساء من خدورهنّ وشهقت فاطمة وسقطت لوجهها، وغشى عليها، فقال الناس لبلال: إمسك يا بلال، فقد فارقت إبنة رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله الدنيا وظنّوا أنّها قد ماتت، فقطع أذانه ولم يتمه، فما رؤى يوم أكثر باكياً وباكية من ذلك اليوم، فأفاقت فاطمة، وسألته أن يتمّ الأذان، فلم يفعل، وقال لها يا سيدة النساء إنّى أخشى عليك ممّا تنزلينه بنفسك إذا سمعتى صوتى بالأذان فأعفته من ذلك. رجع بلال إلى دمشق وتوفّى رحمه اللّه بدمشق ودفن بباب الصغير سنة عشرين وهو ابن بضع وستين سنة «١».

[١] المجمل والمبيّن؛ المبيّن: ما كان ظاهراً فى معناه يدلّ على مقصود قائله أو فاعله على وجه الظن أو اليقين، فالمعيّن يشمل الظاهر

---

(١) أسد الغابة ١/ ٢٠٨، وتنقيح المقال ١/ ١٨٢، وسفينة البحار ١/ ١٦ و ١٠٤.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١٢٤

الثانية: سبب عدم جعل المفعول به نائباً عن الفاعل: أىلم يقل (نوديتم)، هو إفادة العموم وعدم إرادة الخصوصيّة، فإنّه لو قال: والنّص معاً.

المجمل: ما جهل فيه مراد المتكلم ومقصوده إذا كان لفظاً، وما جهل فيه مراد الفاعل ومقصوده إذا كان فعلًا، ومرجع ذلك إلى أنّ المجمل هو اللفظ أو الفعل الذى لا ظاهر له، قد ينشأ من كون الشارع فى مقام التشريع دون النظر إلى مرحلة الإمتثال، وقد ينشأ من كونه فى صدد بيان آخر، مثل قوله تعالى بالنسبة إلى الكلاب المعلّمة «فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ» «١»

فى صدد بيان حلّيّة أكل الصّيد ولذلك فهى مجمل من ناحية نجاسة موضع الإمساك وعدمها، وتارةً يكون إجماله لكونه مجازاً أو لعدم معرفة عود الضمير فيه الذى هو من نوع مغالطة المماراة، مثل قول القاتل لما سئل عن فضل أصحاب النبى صلّى اللّه عليه وآله فقال «من بنته فى بيته» وكقول عقيل «أمرنى معاوية أن أسب عليّاً، ألا فالعنوه» «٢» «٣».

---

(١)

سورة المائدة، الآية: ۴.

(٢) مصباح الفقاهة ١/ ٦١٣ وقد نقل عن سلطان المحققين فى حاشية المعالم فى البحث عن المجمل.

(٣) أصول الفقه للعلّامة المظفر ٢/ ١٩٥.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١٢٥

نوديتم، لتوهّم اختصاص الحكم بهم، وقد ذكر أهل البيان إنّ الحذف قد يكون للتعميم كقولك: قد كان منك ما يؤلم، تريد كلّ واحد، وهذا التعميم وإن أمكن أن يستفاد من ذكر المفعول بصيغة العموم، لكنّه يفوت الإختصار حينئذ، والمراد أنّ كلّ من يمكن نداؤه من أولى العقل، كقوله: ولو ترى، على ما قيل من أنّه خطاب لكلّ من يتمكن من الرؤية، مضافاً إلى أنّ الدخيل فى الحكم هو

الإسناد إلى المفعول له، وحصر نائب الفاعل فيه أوفق بالدلالة على ذلك.

وأمّا خروج مثل الصبى والمجنون والمرأة وغيرهم مع إمكان ندائهم، فبما سنذكره بعد إنْ شاء اللَّه تعالى ممّا يستفاد من نفس الآية، مع قطع النظر من الأخبار الدالة على خروجهم.

الثالثة: أمّا علّة التعبير بالنداء دون الأذان، فهو اشتماله على الحيعلات، فإنّها نداء وأمر بالصّلاة والأذان، وإن كان هو أمراً بالصّلاة، إلّاأنّه فى غير صلاة الجمعة فقط للإعلام.

وأمّا البحث السادس، أى‌سبب إدخال «من» فى قوله «مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ»: فقيل إنّه بمعنى «فى» أى‌فى يوم الجمعة، وقيل: إنّه للبيان، وقدر مضاف أى من صلاة يوم الجمعة، وقيل: إنّها بيان «لإذا».

والأصحّ: إنّها بمعنى التبعيض، أى بعض يوم الجمعة، فإنّ النداء الواجب إجابته مختص بالنداء لصلاة الجمعة لا لصبحها

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۲۶

وعصرها، وليس بتلك المعانى المذكورة، لما فى الأوّل من خلاف الظاهر، فإنّ الظاهر إنّ (من) استعملت فى معناها لا فى معنى «فى». وفى الثانى من التكلّف، فإنّ الأصل عدم التقدير. وفى الثالث فوات النكتة التى ذكرناها، وهو لا يختص به بل آت فى الأوّلين أيضاً.

وأمّا البحث السابع، معنى الجمعة، وسبب وضعها واللغات فيها: فالجمعة على ما فى القاموس بمعنى المجموعة، «۱» وفيها لغات، ضمّ الميم، وعليه القراءة المشهورة، وهى لغة أهل الحجاز.

وفتحها، وهى لغة بنى تميم، وسكونها وهى لغة عقيل.

واختلف فى وجه وضعها، ففى الصافى عن الكافى عن الباقر عليه السّلام: «إنّ اللَّه جمع فيها خلقه لولاية محمّد صلّى اللَّه عليه وآله ووصيّه فى الميثاق فسمّاه يوم الجمعة، لجمعه فيه خلقه» «۲» وكذا فى مجمع البحرين [۱] إلّاأنّه زاد فى أوّله سميت الجمعة جمعة، لأنّ اللَّه ... ونقص من آخره: لجمعه فيه خلقه «۳».

[۱] «وكان يسمّى (الجمعة) أوّلًا يوم العروبة، ثمّ غلب عليه اسم

---

(۱) القاموس ۳/ ۱۴.

(۲) الكافى ۳/ ۴۱۵، الرّقم ۷، باب فضل يوم الجمعة، تفسير الصّافى ۷/ ۱۹۰.

(۳) مجمع البحرين ۱/ ۳۹۵.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۲۷

وفى مجمع البيان إنّما سمّى جمعة، لأنّه تعالى فرغ فيه من خلق الأشياء، فاجتمعت فيه المخلوقات «۱»، وفى البيضاوى: إنّما سمّى جمعة لاجتماع النّاس فيه للصّلاة «۲»، وقيل: لأنّه لا تجمع فيه الجمعة» «۳»، وقيل: «لإجتماع الناس فيه للصلوة» «۴» وقيل: «أوّل جمعة صلّى فيها رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله بعد ما قدم مهاجراً إلى المدينة فى بنى سالم بن عوف فى بطن وادٍ لهم، إتّخذ فى ذلك الموضع مسجداً فخطب فى هذه الجمعة وهى أوّل خطبة خطبها، وصلّى الجمعة فى الإسلام» «۵» وقيل: «وقد ورد فى فضل الجمعة روايات كثيرة وعن سلمان رضى اللَّه عنه عن النّبى صلّى اللَّه عليه وآله أنّه قال: «واللَّه يا علىّ إنّ شيعتك ليؤذن لهم فى الدخول عليكم فى كلّ جمعة، وإنّهم لينظرون إليكم من منازلهم يوم الجمعة كما ينظر أهل الدنيا إلى النجم فى السّماء، وإنّكم لفى أعلى علّيين فى غرفةٍ ليس فوقها درجة أحد من خلقه «۶» «۷».

---

(۱)

مجمع البيان ۱۰/ ۹.

(٢) تفسير البيضاوى: ٧٣۶.

(٣) مجمع البحرين ۴/ ٣١٣.

(۴) الميزان ١٩/ ٣١۴.

(۵) تفسير الجواهر ٢۴/ ١٧١.

(۶) بحار الأنوار ٨/ ١٧۴.

(٧) مجمع البيان ۵/ ٢٨۶.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١٢٨

الجماعات «١». وفى تفسير الرازى عن سلمان رضى اللَّه عنه قال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله: «سمّيت الجمعة جمعة، لأنّ آدم جمع فيها خلقه» «٢» وقيل: أوّل من سمّاه كعب بن لؤى جدّ النّبى صلّى اللَّه عليه وآله وكانت العرب تسميه العروبة «٣». وقيل: الأنصار. وقيل غير ذلك ممّا لا يسعه المقام، فليرجع إلى محلّه «۴».

وأمّا البحث الثامن، أى‌سبب قوله «فَاسْعَوْا» دون فامضوا أو إسرعوا: الأمر بالسرعة إليها بالأقدام والقصد فى المشى، والكفّ عن العمل، والسرعة بالقلب، كما تقول لزيد: إسع إلى الأمر الفلانى، تريد السرعة بالقلب. وليس جميع ما ذكرناه معنى مطابقيّاً له، وفى الصافى عن الباقر عليه السّلام: «أسعوا أى‌امضوا» «۵» وعن العلل عن الصّادق عليه السّلام: معنى «فاسعوا هو الإنكفاء» «۶» وعن الكافى عن الباقر

---

(١) الظاهر أنّ المراد عدم اجتماع الناس فى المساجد لصلاة الظهر، فى يوم الجمعة، ولكن لم نجده بهذا اللفظ، وفى مجمع البيان: لأنّه تجتمع فيه الجماعات.

(٢) تفسير الفخر الرازى ٣٠/ ٨.

(٣) تفسير الكشاف ۴/ ١٠۴.

(۴) تفسير صدر الدين الشيرازى: ۵٧۶.

(۵) تفسير الصّافى ٧/ ١٩١ عن القمى ٢/ ٣۶٧.

(۶) علل الشرائع ٢/ ٣۵٧.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١٢٩

عليه السّلام فاسعوا إلى ذكر اللَّه قال: «إعملوا وعجّلوا، فإنّه يوم مضيق على المسلمين [فيه]، وثواب أعمال المسلمين فيه على قدر ما ضيق عليهم، والحسنة والسيئة تضاعف فيه، قال: واللَّه لقد بلغنى أنّ أصحاب النّبى كانوا يتجهّزون للجمعة يوم الخميس، لأنّه يوم مضيّق على المسلمين «١» انتهى.

واعلم: أنّ تفسير السعى بالعمل بالتعجيل، توطئة لقوله عليه السّلام: فإنّه يوم مضيق، وأمّا كونه يوم مضيق، فلعدم كونه كسائر الأيّام لكثرة الأعمال فيه، فلا يمكن البطء فى العمل مع الإتيان بتمام الأعمال. ولعلّ المراد بقوله: وثواب أعمال المسلمين فيه على قدر ما ضيق عليهم إنّ الذى يضيق عليه اليوم أكثر من الآخر، كمن بعد بيته عن محلّ إقامة الجمعة مثلًا الموجب لكثرة تعبه، يكون ثوابه أكثر، فإنّ أفضل الأعمال أحمزها.

وفى المقام أقوال أخر ضربنا عنها صفحاً حذراً عن التطويل [١].

[١] عن سعيد بن جبير قال: ما خلق اللَّه رجلًا بعد النّبىّ صلّى اللَّه عليه وآله أفضل من علىّ بن أبى طالب عليه السّلام، قول اللَّه عزّ وجلّ «فَاسْعَوْا إِلى ذِكْرِ اللَّهِ»: ولاية على بن أبى طالب عليه السّلام، ورواه ابن عباس «٢».

---

(١) الكافى ٣/ ٤١٥، باب فضل يوم الجمعة، الرّقم ١٠ وتفسير البرهان ۴/ ٣٣۴.

(٢) تفسير فرات الكوفى: ١٨٥.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١٣٠

وأمّا البحث التّاسع، أى‌وجه قوله «إِلى ذِكْرِ اللَّهِ» دون إليها، مع أنّه أخصر: فهو الإشارة إلى الصّلاة بمالها من الخطبتين، ليفيد وجوب الحضور إلى سماع الخطبتين أيضاً، لا مجرّد الحضور إلى الصّلاة ولو بعدهما، وبيان عظمة صلاة الجمعة من كونها ذكر اللَّه، وهو أمر عظيم، فهو مثل العلّة، فيكون للترغيب، كما يقال: إذا نودى للحضور لدى الأمير يوم العيد فبادروا إلى شمول عناياته، ولا يقال: بادر إلى الحضور، أو إذا صاح الدلال للبضاعة فبادر إلى الإسترباح، ولا يقال إلى شراءها، والتقدير الحضور الموجب لشمول عناياته. وهكذا الإسترباح، ومن الواضح إنّ ما كان كذلك ينبغى البدار اليه [١].

[١] إختلف الأصوليون فى دلالة صيغة الأمر على الفور والتراخى على أقوال:

١. أنّها موضوعة للفور.

٢. أنّها موضوعة للتراخى.

٣. أنّها موضوعة لهما على نحو الإشتراك اللفظى.

۴. أنّها غير موضوعة لا للفور ولا للتراخى ولا للأعمّ منهما، بل لا دلالة لها على أحدهما بوجه من الوجوه، وإنّما يستفاد أحدهما من القرائن الخارجية التى تختلف باختلاف المقامات، والحقّ هو الأخير،

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١٣١

والدليل عليه: عرفت من أنّ صيغة إفعل، إنّما تدلّ على النسبة الطلبية، كما أنّ المادة لم توضع إلّالنفس الحدث غير الملحوظة معه شىء من خصوصياته الوجودية، وعليه فلا دلالة لها، لا بهيئتها ولا بمادتها على الفور والتراخى، بل لابدّ من دالّ آخر على شىء منهما، فإن تجردت على الدال الآخر، فإنّ ذلك يقتضى جواز الإتيان بالمأمور به على الفور أو التراخى، هذا بالنظر إلى نفس الصيغة، أمّا بالنظر إلى الدليل الخارجى المنفصل، فقد قيل بوجود الدليل على الفور فى جميع الواجبات على نحو العموم إلّاما دلّ عليه دليل خاصّ ينصّ على جواز التراخى فيه بالخصوص، وقد ذكروا لذلك آيتين:

(الأولى): قوله تعالى «وَسارِعُوا إِلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ» «١»

وتقريب الإستدلال بها: إنّ المسارعة إلى المغفرة لا تكون إلّابالمسارعة إلى سببها، وهو الإتيان بالمأمور به، لأنّ المغفرة فعل اللَّه تعالى، فلا معنى لمسارعة إليها، وعليه فيكون الإسراع إلى فعل المأمور به واجباً لما مرّ من ظهور صيغة إفعل فى الوجوب.

---

(١)

سورة آل عمران، الآية: ١٢٧.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١٣٢

(الثانية) قوله تعالى «فَاسْتَبِقُوا الْخَيْراتِ» «١»

فإنّ الإستباق بالخيرات عبارة أخرى عن الإتيان بها فوراً.

(والجواب) عن الإستدلال بكلتا الآيتين، إنّ الخيرات وسبب المغفرة كما تصدق على الواجبات تصدق على المستحبات أيضاً، فتكون المسارعة والمسابقة شاملتين لما هما فى المستحبات أيضاً، ومن البديهى عدم وجوب المسارعة فيها، كيف وهى يجوز تركها رأساً، وإذا كانتا شاملتين للمستحبات بعمومهما، كان ذلك قرينة على أنّ طلب المسارعة ليس على نحو الإلزام، فلا تبقى لهما دلالة على الفورية فى عموم الواجبات، بل لو سلمنا باختصاصهما فى الواجبات لوجب صرف ظهور صيغة إفعل فيها فى الوجوب وحملها على

الإستحباب، نظراً إلى إنّا نعلم عدم وجوب الفورية فى أكثر الواجبات، فيلزم تخصيص الأكثر بإخراج أكثر الواجبات عن عمومهما، ولا شكّ أنّ الإتيان بالكلام عامّاً مع تخصيص الأكثر وإخراجه من العموم بعد ذلك قبيح فى المحاورات العرفية ويعدّ الكلام عند العرف مستهجناً، فهل

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١۴٣، وسورة المائدة، الآية: ۵٣.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١٣٣

ثمّ إنّ النقطة المركزية، هو ذكر اللَّه ويلازمه السياسة الدينية والمدنية. وبعبارةٍ أخرى: الملازمة بين ذكر اللَّه بالكيفيّة المخصوصة وقسمى العقل العملىّ والنّظرى، فإنّ الإنسان بسبب الذكر يصير كتاباً تكوينياً آفاقياً، وعالماً عقلياً مضاهياً للعالم العينى.

وتفسير ذلك: إنّ القوى الجسمانية بسبب الإنهماك فى الشهوات الحيوانية مانعة عن رقّى الروح وموجبة لاشتغالها بها وغفلتها عن مبدأها، ولهذا تنحط غاية الإنحطاط، فلابدّ من الرياضة الروحية، وترك المشتهيات الطبعية، والإنتقال من الغفلة إلى الذكر، فإن فيه حياة القلب وغذاء الروح، وأيضاً: إنّ العالم السفلى- أعنى النشأة الأولى- مشتركة بين ذوى العقول وغيرهم من أصناف الحيوانات، وامتياز الإنسان بروحه أىبالعقل وهو ما عبد به الرّحمن

ترى يصحّ لعارف بأساليب الكلام أن يقول مثلًا (بعت أموالى) ثمّ يستثنى واحداً فواحداً حتى لا يبقى تحت العام إلّاالقليل؟ لا شكّ فى أنّ هذا الكلام يعدّ مستهجناً لا يصدر عن حكيم عارف، إذن، لا يبقى مناص من حمل الآيتين على الإستحباب «١».

---

(١) أصول الفقه ١/ ٧٧.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١٣۴

واكتسب به الجنان، فلو تشاغل بهذه النشأة فيكون كالأنعام بل أضلّ، وقهراً تستولى عليه الظلمة ويبعد عن حضرة الرّب جلّ وعلا، وبالذكر يتشاغل بعالم اللاهوت، فيتنور ويقترب من مبدئه ويكون أعلى من الملائكة، حتّى ورد فى الحديث القدسى «أنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنى» «١».

فائدة: إستدلّ بعض محرّمى صلاة الجمعة فى زمان الغيبة بقوله تعالى: «فَاسْعَوْا إِلى ذِكْرِ اللَّهِ» ببيان أنّ المراد بذكره رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله، لوجوه:

الأوّل: إنّه لو كان المراد من الذكر هو الصلاة لقال: «فاسعوا» فإنّه أصرح وأوجز وآكد.

الثانى: قوله تعالى «فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاتَعْلَمُونَ* بِالْبَيِّناتِ وَالزُّبُرِ» «٢»

وبالضرورة لا يعلم البيّنات والزّبر إلّاأهل البيت عليهم السّلام، والذّكر هو النّبى صلّى اللَّه عليه وآله، وأهله أهل الذكر لا غير، فيجب الرّجوع والسئوال عنهم فى هذا الحكم وسائر الأحكام دون غيرهم.

---

(١) الكافى ٢/ ۴٩۶، باب ما يجب من ذكر اللَّه، الرقم ۴، والتوحيد: ١٨٢، الرّقم ١٧، ووسائل الشيعة ١/ ٣١١ باب عدم ذكر اللَّه وتحميده، الرقم ۴.

(٢) سورة النحل، الآية: ۴٣ و ۴۴.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١٣۵

الثالث: قوله تعالى «قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا* رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آياتِ اللَّهِ مُبَيِّناتٍ» «١».

الرابع: قوله تعالى: «رِجالٌ لاتُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقامِ الصَّلاةِ» «٢».

وحيث ثبت أنّ ذكر اللّه هو النّبى صلّى اللّه عليه وآله، فيكون مفاد آية الجمعة هو وجوب السعى إلى النّبى والإمام لا إلى غيرهم إلّا بإذنهم وتعيينهم، فيكون فى الحقيقة سعياً إليهم.

وفى الأدلّة- مع قطع النظر عن الأدلّة الدّالة على وجوب صلاة الجمعة فى زمان الغيبة- نظر.

أمّا فى الأوّل، فقد ظهر ممّا سبق أن التصريح للإشارة إلى حضور الخطبتين وكأنّه مثل العلّة، فيكون للترغيب ولبيان العظمة.

وأمّا فى الثانى فنقول: إنّ التعبير بالذكر عن النّبى صلّى اللّه عليه وآله فى مكان لا يوجب إرادته منه حيثما استعمل، فهو مجاز لا يصار إليه إلّابدليل، فاستعماله فى القرآن وما فى الروايات من تسمية اللّه النّبى صلّى اللّه عليه وآله ذكراً، غير دالّ على الوضع، حتّى يكون حقيقة، وعلى فرض التسليم بوضعه له، فهو مشترك، ولا يصار إلى

---

(١) سورة الطّلاق، الآية: ١٠- ١١.

(٢) سورة النور، الآية: ٣٧.

أحد معانيه إلّابالقرينة، والسياق فى الآية دالّ على إرادة الصّلاة من الذكر.

ولا يخفى عليك إنّ ما ذكرناه، دليل على عدم إرادة النّبى صلّى اللّه عليه وآله من الذكر فى هذه الآية.

وأمّا ما استدلّ به القائل فهو واضح البطلان، لأنّ قوله تعالى «بِالْبَيِّناتِ» ليس متعلّقاً بقوله «فَسْئَلُوا» حتّى يستدلّ بأنّه لا يعلم البيّنات والزّبر إلّاأهل البيت عليهم السّلام، بل هو متعلق بقوله «أَرْسَلْنا»، كما فسّره المفسرون، فإنّ السئوال لا يتعدى بالباء بل يتعدى إلى المفعولين بنفسه إذا لم يكن بمعنى الإستخبار ومعه يتعدى إلى المفعول الثانى ب «عن»، بخلاف الإرسال، فإنّه يتعدى بالباء كما نص عليهما اللغويون.

وأمّا فى الثالث، فمثل ما ذكر فى الثانى، من أنّ إطلاق الذكر عليه صلّى اللّه عليه واله حقيقةً أو مجازاً فى بعض الموارد، لا يوجب إرادته صلّى اللّه عليه وآله متى أطلق، بل يحتاج إلى قرينة صارفة أو معيّنة، ولم يكن فى الآية قرينة على إرادته صلّى اللّه عليه وآله من الذكر فلا يحمل عليه، بل سياق الآية يقتضى لعدم إرادته من الذكر، كما تقدّم.

واعلم أنّ الآية ليست كما ذكرها المستدل، بل ما فى سورة

الطلاق هكذا «قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا* رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آياتِ اللَّهِ» «١».

وأمّا فى الرابع: فلا نعلم وجه الإستدلال به أصلًا، وإن أراد كون المراد به الرّسول صلّى اللّه عليه وآله، لإطلاقه عليه فى غير هذه الآية، فمضافاً إلى أنّه لا يكون دليلًا على المدّعى، فعدُّه من الأدلّة غير صحيح، ويرد عليه ما ذكر فى الثانى والثالث، ولم أرَ من فسّر ذكر اللّه بالنّبى صلّى اللّه عليه وآله فى هذه الآية، فأين وجه الدلالة؟

وأمّا البحث العاشر، أىسبب التصريح بقوله «وَذَرُوا الْبَيْعَ» مع استفادته من قوله «فَاسْعَوْا» للمنافاة بينهما، فهو تأكيد الكلام، والحثّ على التعجيل، فإنّه تعالى لم يكتف بالدلالة الإلتزامية التى تكون بين السّعى إلى ذكر اللّه وترك البيع، فإنّ التصريح بالمطابقة آكد، وفى الصافى عن الفقيه روى أنّه كان بالمدينة إذا أذّن المؤذّن يوم الجمعة نادى منادٍ حرم البيع حرم البيع «٢».

واعلم: أنّ الآية دالّة على حرمة البيع وإن لم يناف السعى، ولفظ «وَذَرُوا» أشدّ تأكيداً من «أتركوا»، ولهذا إختاره سبحانه وتعالى.

وأمّا البحث الحادى عشر، أعنى وجه إختصاص البيع بالذكر

---

(١) سورة الطّلاق، الآية: ١٠- ١١.

(٢) تفسير الصّافى ٧/ ١٩١ عن الفقيه ١/ ٢٩٩، باب علّة تشريع الأذان، الرّقم ٩١٣.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١٣٨

دون غيره، فهو كونه من أهمّ ما يشتغل به المرء فى النهار، وأنّه المصداق الجلىّ بين الأفعال، والفرد الأكثر ابتلاء، وإلّا فليس المراد خصوص البيع بل كلّ معاملة. وقد يستظهر من الآية عدم حرمة غير البيع، كالهبة والصلح والإجارة ونحوها إذا لم يناف السعى، كأن يهب مثلا فى الطريق، بخلاف البيع فإنّه يحرم ولو لم يناف السعى، كما ذكر [١].

[١] قال الشيخ أحمد الجزائرى: «دلّ قوله «وَذَرُوا الْبَيْعَ» بصريحه على تحريم البيع بعد النداء، كما دلّ عليه الأمر بالسعى بالإلتزام، قال فى التذكرة: وعليه إجماع العلماء كافّة «١». وقال ابن بابويه فى كتابه: كان بالمدينة إذا أذّن المؤذّن يوم الجمعة نادى مناد حرم البيع لقوله تعالى «إِذا نُودِيَ» الآية «٢».

فروع:

الأوّل: البيع الواقع فى أثناء السعى هل يحرم أم لا؟ ظاهر إطلاق الآية وكلام الأصحاب التحريم، ويحتمل العدم، بل هو غير بعيد لعدم منافاته للسعى إليها وللأصل.

الثانى: هل يحرم غير البيع من العقود والمعاملات؟ قال

---

(١) التذكرة ٤/ ٣٣، المسألة ٣٩٢.

(٢) تقدّم عن الفقيه فراجع.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١٣٩

الأكثر: بالعدم «١».

وفى المعتبر: «إنّ ذلك هو الأشبه بالمذهب» «٢» لأنّ تعديته إلى غيره قياس ممنوع، من مخالفته للأصل، ولعموم ما دلّ على الإباحة، وقيل بالتعدية نظراً إلى العلّة المومى إليها بقوله «ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ» فيكون من قبيل منصوص العلّة، وإمكان حمل البيع فى الآية على المعاوضة المطلقة التى هى معناه الأصلى، ولأنّ الأمر بالسعى يستلزم النهى عن كلّ ما ينافيه، ويكون تخصيص البيع بالذكر جرياً على الغالب لا لكونه هو المقصود بالتحريم لا غير، وفيه نظر، لأنّه على تقدير تسليم حجيّة منصوص العلّة نقول: إنّ العلّة هنا غير ظاهرة، وحمل البيع على المعاوضة المطلقة خلاف المعنى الشرعى والعرفى، والأمر لا يستلزم النهى عن الإضداد الخاصة، كما حقّق فى الاصول، ولو سلّم فإنّما يقتضى تحريم المنافى خاصةً لا مطلق المعاوضات.

الثالث: لو باع أثمّ، وكان البيع صحيحاً، لأنّ العقد صدر عن أهله

---

(١) كما فى التذكرة ٤/ ١١٠، والمنتهى ١/ ٣٣١، والحدائق الناضرة ١٠/ ١٧٥.

(٢) المعتبر ٢/ ٢٩٧ قال: الأشبه بالمذهب، خلافاً لطائفة من الجمهور. لنا اختصاص النهى‌بالبيع فلا يتعدّى إلى غيره.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١٤٠

وأمّا البحث الثانى عشر، أى‌وجه الخيرية فهو: إنّ السعى معجّلًا إلى صلاة الجمعة موجب لاستماع الخطبة ممّا هو مستجمع للجهات النوعية والشخصية، الدنيوية والأخروية، ويتقوّم به النظام المدنىّ والسياسى، لأنّهم يتعلّمون المسالك إلى اللّه تعالى وكيفيّة المعاشرة مع الأهل والأولاد وسائر الناس، ويفيدهم للمعاد والمعاش والأخلاق والمعارف، وكذا بسبب اجتماعهم لصلاة الجمعة يعلم كلّ حال أخيه من سائر المسلمين ويتعظمون فى أعين الناس من مخالفهيم، لأنّهم يرون اتّحادهم الموجب لتقويتهم [١].

فيجب الوفاء به، ولعموم ما دلّ على صحة البيع ولزومه، والآية إنّما دلّت على التحريم لا نفى الصّحة، لأنّ النّهى فى المعاملات لا

يستلزم الفساد، وقال بعض أصحابنا وبعض أهل الخلاف بعدم الصحة، بناءً على القول بأنّ النّهى فى المعاملة كان موجباً للفساد.

الرابع: لو كان أحد المتعاقدين ممّن لا تجب عليه الجمعة، قيل اختص الآخر بالتحريم، ولا يبعد شمول التحريم له للمعاونة على الإثم» «١».

[١] قال الشيخ أحمد الجزائرى: «قوله: «ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ» أى ذكر

---

(١) قلائد الدرر ١/ ٢٢٠.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١٤١

واعلم: أنّه لا يستفاد من قوله «ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ» الإستحباب، كما زعمه بعض المحرّمين فى عصر الغيبة حيث قال: الوجه الخامس: قوله تعالى «ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» كأنّه صريح فى الإستحباب، فإنّه لا يناسب فى مقام الأمر بأهمّ الواجبات التعبير بأنّ فعله خيرٌ من تركه.

فإنّ الخير المستعمل فى كلام اللّه تعالى ليس دالّاً على الإستحباب، بل المراد به كونه خيراً من ناحيته سبحانه، ألا ترى قوله تعالى فى آخر السّورة «قُلْ ما عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجارَةِ» وقوله «وَلِباسُ التَّقْوى ذلِكَ خَيْرٌ» «١»

وغيرهما من سايرالآيات.

هذا، مضافاً إلى أنّه يلزم هذا القائل، القول باستحباب صلاة الجمعة فى زمن النّبى صلّى اللّه عليه وآله، وهو خلاف الإجماع، اللّه أو السعى وترك البيع، لأنّ الآخرة خيرٌ وأبقى «إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» أى من أهل العلم والعرفان، أو بما يترتب على ذلك وما عنداللّه من الخير» «٢».

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢۶.

(٢) قلائد الدرر ١/ ٢٢٢.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١۴٢

فإنّها نزلت فى زمن وجوبها العينى فى عصر النّبى صلّى اللّه عليه وآله، فمن أين يتوهم الإستحباب؟

هذا، ولا يخفى أنّ الوجه الذى ذكره القائل- على فرض صحّته- دليل الإستحباب، لا التحريم الذى ادّعاه المستدل واستدلّ به على الحرمة.

وأمّا البحث الثالث عشر، أعنى سبب الإتيان بلفظ الشرط «إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» مع أنّهم سواء علموا أم لم يعلموا، كان ذلك خيراً، فقيل: ليس بشرط وإن كان ظاهره ذلك، بل معناه (اعلموا). لكنّ الأصح أنّ الجواب ليس «ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ» بل شىء محذوف، تقديره (لفعلتم) أو (لصدقتم) أو نحوهما ممّا يجرى مجراهما، وهذا كما تقول لابنك: إذهب إلى المحلّ الفلانى، فإنّه خير لك إن كنت تعلم، تريد: إن كنت تعلم وجه الخيرية لذهبت أو لصدّقت، وهذا إشارة إلى جهلهم، كما أنّ الشرط كذلك فى المثال.

الرابع عشر: وجه قوله تعالى «إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» دون (تفقهون) أو نحو ذلك [١]. هو إنه إذا كانت الجملة (إن كنتم تفقهون) أى إن

[١] قال صدر المتألّهين «ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» أى ما أمرتم به من حضور الجمعة واستماع الذكر وأداء الفريضة وترك البيع

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١۴٣

كنتم تفهمون، كانت كتعريض لهم، وهذا لا يناسب المقام، لأنّه صلى اللّه عليه وآله بصدد دعوتهم.

«فَإِذا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ* وَإِذا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْها وَتَرَكُوكَ قائِمًا قُلْ ما عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ».

إعلم أنّه يقع البحث فى هاتين الآيتين من وجوه:

الأوّل: وجه التعبير ب «قضيت» دون تمت وغيرها.

الثانى: وجه قوله «فَانْتَشِرُوا» وما يتعلّق به.

الثالث: وجه قوله فى الأرض وما أريد التصريح به.

الرابع: ما يستفاد من قوله «وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ».

أنفع لكم عاقبة إن كنتم عالمين بمنافع الأمور ومضارّها، ومصالح أنفسكم وأرواحكم ومفاسدها.

وفيه دليل على أنّ ملاك الأمر فى العبادات على العلم الصحيح والنيات الخاصة، وقيل: معناه «إعلموا» «١».

---

(١) تفسير صدر الدين الشيرازى: ٧/ ٢٥٥.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١۴۴

الخامس: وجه الإتيان بلفظة «فَضْلِ» دون وابتغوا من اللَّه.

السادس: سبب الأمر بالذكر.

السابع: وجه قوله «كَثِيرًا».

الثامن: معنى «لعلّ» وما يستفاد منه.

التاسع: بيان ما يمكن أن يستفاد من الآية ممّا يتعلّق بصلاة الجمعة.

العاشر: وجه الرّبط بين الآية الثانية والأولى.

الحادى عشر: وجه نزول الآية الثانية.

الثانى عشر: سبب قوله «رَأَوْا».

الثالث عشر: وجه الإتيان بكلمة «لَهْوًا».

الرابع عشر: معنى «انْفَضُّوا» ووجه التعبير به.

الخامس عشر: وجه قوله «إِلَيْها» دون إليهما.

السادس عشر: سبب تقدّم «اللَّهْوِ» على التّجارة فى الثانى وتأخّره فى الأوّل.

السابع عشر: وجه تكرار «من».

الثامن عشر: وجه قوله «وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ».

أمّا الوجه الأوّل: فالتعبير ب «قضيت» [١] لفائدتين:

[١] قال الفاضل المقداد السيورى: «المراد هنا بقضاء الصّلاة

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١۴۵

الأولى: إنّ وقت صلاة الجمعة محدود إلى وقت تمامها لا يمكن تأخيرها عن وقتها المعين الذى هو بعد الخطبتين المعقبتين للنداء إلى مقدار زمان يمكن أداؤها فيه، كما هو مذهب جماعة من الفقهاء «١»، وإنّما يستفاد منها هذه لأنّ هذا المعنى أحد معانى القضاء لغةً، كما فى مجمع البحرين حيث صرَّح به فى تعداد معانى القضاء «٢».

أداؤها، فإنّ القضاء يقال على معان ثلاثة:

الأوّل: بمعنى الفعل والإتيان بالشىء، وهو المراد هنا.

الثانى: فعل العبادة ذات الوقت المحدود المعيّن بالشخص خارجاً عنه.

الثالث: فعل العبادة إستدراكاً لما وقع مخالفاً لبعض الأوضاع المعتبرة فيها، وقد يسمّى هذا إعادة، والمراد بالإنتشار فى الأرض التفرّق فى جهاتها، والإبتغاء الطلب.

وهنا فوائد:

(١) اللام فى الصلاة للعهد، أىالصلاة التى تقدّم ذكرها، وهى التى

---

(١) كما فى مجمع الفائدة والبرهان ٢/ ٣٦٩، ومستند الشيعة ۶/ ١٢٠.

(٢) مجمع البحرين ١/ ٣۴٣.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١۴۶

وجب السّعى إليها.

(٢) إختلف الأصوليون فى الأمر الوارد عقيب النهى، هل هو للوجوب أو للإباحة الرافعة للحظر؟ واحتج أصحاب القول الثانى بهذه الآية وهى «فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ»، فإنّه أطلق لهم ما حرمه من المعاملة، والإنتشار ليس بواجب إتّفاقا، وكذا قوله «فَإِذا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ» «١».

(٣) فى الأمر بالإنتشار، إشارة إلى كون الساعى الذى وجبت عليه الجمعة ممّن له القدرة على التصرف فى المعاش والإضطراب فى طلب الرزق، وكذا إذا فسّرنا السعى بالإسراع فى المشى، ولما لم يكن الهم، أى الشيخ الكبير والأعرج والمريض والأعمى كذلك، دلّ على عدم الوجوب عليهم وكونهم غير مخاطبين بها.

(۴) الإبتغاء من فضل اللّه هو طلب الرزق، وعن الصّادق والباقر عليهما السّلام «الصّلاة يوم الجمعة، والإنتشار يوم السّبت» «٢».

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.

(٢) الخصال: ٣٩٣، ومن لا يحضره الفقيه ١/ ۴٢۴ باب كراهة السفر بعد طلوع الفجر يوم الجمعة، الرّقم ١٢۵٣.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١۴٧

الثانية: لزوم الإهتمام بها واستحكامها، يقال: قضى الشىء، أى صنع بإحكام، كما فى المنجد «١».

أمّا الوجه الثانى: أىوجه التعبير بقوله «فَانْتَشِرُوا» دون «سيروا»، فهو إفادة لزوم التفرق وذهاب كلٍّ إلى عمله حتّى يتقوّم النظام، بخلاف ما لو قال «فسيروا»، فإنّه مع قطع النظر من ظهوره فى السفر، يلائم الإجتماع وبه يختل النظام [١]، وبخلاف ما لو قال

وقيل: المراد طلب العلم، عن سعيد بن جبير والحسن، وروى أنس عن النّبى صلّى اللّه عليه وآله: «ليس هو بطلب دنيا ولكن عيادة مريض، وحضور جنازة وزيارة أخ فى اللّه» «٢». «٣»

[١] قال الشيخ أحمد الجزائرى: «الأمر هنا بالإنتشار للإباحة إجماعاً، كما فى قوله «وَإِذا حَلَلْتُمْ فَاصْطادُوا» «۴»

وقوله «فَإِذا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ» «۵»

وبذلك استدلّ من قال بأنّ الأمر الوارد عقب النهى للإباحة الرافعة للحظر، ومن قال بأنّه للوجوب، استدلّ بكونه الأصل فى كلّ أمر

---

(١) المنجد، كلمة «قضى».

(٢) مجمع البيان ١٠/ ١۴، وقد نقل عنه عوالى اللئالى ٢/ ۵۶.

(٣) كنز العرفان ١/ ١٧٠.

(۴) سورة المائدة، الآية: ٢.

(۵) سورة البقرة، الآية: ۲۲۲.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۴۸

«فتفرقوا»، فإنّ ظاهره مفارقة كلّ عن صاحبه فقط، والإنتشار المفارقة مع ذهاب كلّ إلى عمله، مع ما فيه من الإشارة إلى الترخيص لمن أتى من الخارج للصّلاة بالرجوع إلى محلّه، يقال: إنتشر الرجل أىابتدأ سفره.

والظاهر من الآية الإنتشار بعد الصّلاة ببطء لمكان الفاء، وهو المروى عن أبى عبداللَّه عليه السّلام فإنّه قال: «الصّلاة يوم الجمعة والإنتشار يوم السبت» «۱».

واعلم أنّه تعالى أتى بالأفعال مبنية للمعلوم، إلّاقوله «قُضِيَتِ» فأتى للمفعول إشارة إلى تعظيم الصّلاة، وعدم الإعتناء بشأن الفاعلين قبالها، كما يقال: قتل زيد، إذا اريد تعظيمه وعدم الإعتناء بشأن القائلين له.

إلّا ما خرج بدليل، كالإجماع بالنسبة إلى الآية المذكورة، وفى الآية دلالة على أنّ من وجبت عليه الجمعة، هو من كان قابلًا لتوجّه الخطاب إليه وفيه قدرة على الإنتشار. فيخرج المريض والأعمى والشيخ الهمّ والمجنون والصغير «۲».

---

(۱) الخصال: ۳۹۳، ومن لا يحضره الفقيه ۱/ ۴۲۴ باب كراهة السفر بعد طلوع الفجر يوم الجمعة، الرّقم ۱۲۵۳.

(۲) قلائد الدرر ۱/ ۲۲۴.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۴۹

وأمّا الوجه الثالث، أعنى وجه التصريح بقوله «فِي الْأَرْضِ» مع أنّه لازم الإنتشار فهو: تأكيد للكلام بالمطابقة بعد الإلتزام، وإنّ الغرض ليس تفرّق بعضهم عن بعض، كما فى قوله تعالى «فَإِذا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا» «۱»

فإنّ الغرض فى هذا المقام تفرّق بعضهم عن بعض بالخروج من عند النّبى صلّى اللَّه عليه وآله، بل الغرض فيما نحن فيه إكتساب المعيشة. ولما كان الأمر للوجوب أفاد وجوب الإنتشار بظاهره، ويعلم كونه كفائياً من الخارج وليس للترخيص، كما ذكره بعض المفسّرين، فتدبّر [۱].

[۱] وفى ذلك إشارة إلى أنّ الطالب لا ينبغى أن يعتمد على سعيه وكدّه، بل على فضل اللَّه ورحمته وتوفيقه وتيسيره، طالباً ذلك من اللَّه، وروى عن أبى عبداللَّه عليه السّلام أنّه قال: «الصّلاة يوم الجمعة والإنتشار يوم السبت». وروى عمر بن يزيد عن أبى عبداللَّه عليه السّلام: «إنّى لأركب فى الحاجة التى كفاها اللَّه، ما أركب فيها إلّاالتماس أن يرانى اللَّه أضحى فى طلب الحلال، أما تسمع قول اللَّه عز وجل «فَإِذا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ»؟ «۲»

---

(۱) سوره الاحزاب الاية ۵۳.

(۲) آيات الاحكام اللاسترآبادى ۲۶۰

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۵۰

وأمّا الوجه الرابع، أىما يستفاد من قوله «وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ»: فهو عدم صحّة الإعتماد على الإكتساب والأسباب الظاهرية، بل لا بدّ من التوجه إلى عالم الغيب، فإنّه تعالى المؤثر الوحيد فى الكون.

وهيهنا نكتة لطيفة: وهى، إنّه لما كانت هذه النشأة دار الأسباب وأبى اللَّه أن يجرى الأمور إلّابأسبابها فلابدّ من الإقدام فى كلّ شىء بماله من الأسباب، وحيث إنّ الاتكال على تأثير هذا الأسباب شرك، فلا بدّ من التوحيد والاعتماد على المؤثر الحقيقى، فعلى العاقل، الجمع بين الأمرين الظاهرى والحقيقى، فيشتغل بالعلم أو الكسب من جهة، ويتّكل على ربّه ويبتغى من فضله من جهة أخرى، أو يحضر جنازة مؤمن أو يعود مريضاً أو يزور أخاً للَّه تعالى الموجب لترشح فضله تعالى، وهذا طريق الجمع بين الفريقين من الأخبار

الدّال بعضها على أنّ الابتغاء من فضله ليس بطلب الدنيا، وبعضها على أنّه طلب الرزق والكسب.

وأمّا الوجه الخامس، أعنى وجه الإتيان بلفظة (فضل)، فهو:

إفادة عدم استحقاقهم شيئاً، بل طلبهم على وجه الإستعطاء كالفقراء، لا كالمطالب، فإنّ الأنام وإن عبدوه حقّ عبادته لا يستحقون شيئاً، لأنّهم عبيد والعبد لا يستحق شيئاً، بل هو وماله لمولاه، كيف؟ وإنّهم لا يتمكنون من شكر نعمة واحدة فقط وإن كانوا يفعلون الواجبات

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١٥١

والمندوبات ويجتنبون عن المحرمات والمكروهات، فإنّ لكلّ شكر شكراً، كما قال الشاعر:

شكراً وأنّى لى بلوغ ما وجب من الشكر والشكر للشكر سبب

وأمّا الوجه السادس أعنى سبب الأمر بالذكر، فهو: إفادة عدم تخصيص الذكر بوقت الصلاة، بل هو لازم فى كلّ حال، فإنّه لا ينافى الإكتساب، كما قال تعالى «رِجالٌ لاتُلْهيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ» «١»

وأيضاً ذكر اللَّه سبب ذكره لهم، كما قال «فَاذْكُرُونى أَذْكُرْكُمْ» «٢»

ومن كان اللَّه ذاكراً له لم يخسر، كما هو ظاهر.

والظاهر: أنّ المراد اذكروا اللَّه، لساناً وقلباً، وبه يجمع بين تفسيره بالتفكر وباللسان، وفى المجمع عن النّبى صلّى اللَّه عليه وآله إنّه قال: من ذكر اللَّه فى السّوق مخلصاً عن غفلة الناس، وشغلهم بما فيه، كتب له ألف حسنة، ويغفر اللَّه له يوم القيامة مغفرة لم تخطر على قلب بشر «٣» [١].

[١] قال الفاضل المقداد السيورى: «وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثيرًا» على

---

(١) سورة النور، الآية: ٣٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٢.

(٣) مجمع البيان ١٠/ ١٤.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١٥٢

وأمّا الوجه السابع، أعنى وجه قوله «كثيراً» فهو: إفادة أنّ الذكر فى بعض الأوقات غير مجد، لأنّه ربما استولى عليه الغفلة حين لم يذكر، كما نشاهد فى غالب الكسبة والتجار، فإنّهم فى أوّل ما يريدون الجلوس فى محلّهم أو فتح حانوتهم يذكرون اللَّه، ثمّ يغفلون عنه تعالى، ويستغرقون فى أمر الدنيا، فتوسوس إليهم الشياطين.

إحسانه إليكم بالتوفيق، وقيل المراد بالذكر: الفكر، كما قال النّبى صلّى اللَّه عليه وآله «فكرة ساعة خير من عبادة سنة» «١» وقيل: أذكروا اللَّه فى تجارتكم، وليس بعيداً من الصواب أن يكون المراد وابتغوا من فضل اللَّه: واذكروا أوامر اللَّه ونواهيه فى طلب الرزق، فلا تأخذوا إلّاما حلّ لكم أخذه لا ما حرم لكم، أو يكون المراد: الذكر حال العقد، فإنّه يستحب التكبير عنده والشهادتان «٢»، واللَّه أعلم.

وقال الشيخ أحمد الجزائرى: «وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثيرًا» أىعلى إحسانه إليكم بالتوفيق والألطاف، أو المعنى اذكروه فى تجارتكم وأسواقكم، أو اذكروا أوامره ونواهيه عند طلب الرزق. فلا تأخذوا إلّاما حلّ «٣».

---

(١)

بحار الأنوار ٦٨/ ٣٢٦.

(٢) كنز العرفان ١/ ١٧١.

(٣) قلائد الدرر ١/ ٢٢۴.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١٥٣

وأمّا الوجه الثامن، أعنى معنى «لعلّ»، فاعلم: أن لعلّ معناه لغة الإرتقاب، ويدخل فيه الطمع والإشفاق، فالطمع إرتقاب شيء محبوب، نحو لعلّ زيداً يقوم، والإشفاق إرتقاب شيء مكروه، نحو لعلّ زيداً يموت الساعة. ولا تدخل لعلّ على متحقق الوقوع، فلا يقال: لعلّ الشمس تغرب، ولا على متحقق العدم، فلا يقال: لعلّ الشباب يعود لنا.

وأمّا (لعلّ) الواقع فى كلامه تعالى، فقد اختلف الكلام فيه، لأنّه تعالى إمّا عالم بوجود مدخوله بعد، أو عالم بعدمه، لاستحالة جهله بشيء جلّ عن ذلك، وكلاهما ينافى «لعلّ» لما ذكر. وتفصّى كلّ بوجهٍ:

فذهب أبو على وقطرب: إلى أنّ معناها التعليل، فمعنى «افْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ»، لترحموا. لكن لا يصح هذا بالنسبة إلى قوله تعالى «وَما يُدْريكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَريبًا» «١»

إذ لا معنى للتعليل فيه.

وقال بعضهم: هى لتحقيق مضمون الجملة التى بعدها.

ولا يستقيم ذلك بالنسبة إليها فى قوله تعالى فى قصة فرعون «لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشى» «٢»

، إذ لم يتذكّر ولم يخش.

وأورد عليه: بأنّه آمن بعد ذلك، فكأن التّذكر حصل منه، إذ قال

---

(١) سورة الشورى، الآية: ١٧.

(٢) سورة طه، الآية: ۴۴.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١٥۴

«آمَنْتُ أَنَّهُ لاإِلهَ إِلَّا الَّذى آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرائيلَ» «١»

، وأجيب: بأنّ إيمانه وتوبته عن يأسٍ لا معنى تحققها، ولو كان تذكراً حقيقياً لقبل منه.

وعندى فيه نظر إذ لم يظهر لى وجه عدم الحقيقيّة. وأمّا عدم قبول توبته فليس لعدم الحقيقة، بل لأنّ التوبة كانت وقت مشاهدة الموت وهى لا تنفع، كما قال اللّه تعالى «فَلَمّا رَأَوْا بَأْسَنا قالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنا بِما كُنَّا بِهِ مُشْرِكينَ* فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إيمانُهُمْ» «٢».

والحقّ فى الجواب أن يقال: إنّ الظاهر من قوله تعالى «لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشى» «٣»

التذكر والخشية بسببك، لا مطلق التذكر والخشية.

هذا، والحق فيها ما قاله سيبويه من تعلّق الرجاء والإشفاق بالمخاطبين، لأنّ الأصل عدم خروج الكلمة عن معناها الأوّلى، وبعبارة أخرى: إنّ كلمة (لعلّ) لبيان أنّ مدخولها معرض للحصول والوقوع.

فيكون المعنى فى الآية إنّ ما ذكر من الأمور مقتضى الفلاح، لكن ليس علّةً تامّةً له بقول مطلق، بل لا بدّ من اجتماع سائر الشرائط المجتمعة فى قوله «قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ » «... ۴»

وقوله «إِنَّمَا

---

(١) سورة يونس، الآية: ٩٠.

(٢) سورة غافر، الآية: ٨۴- ٨۵.

(٣) سورة طه، الآية: ۴۴.

(۴) سورة المؤمنون، الآية ١.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١٥٥

الْمُؤْمِنُونَ» «١»

، ...فيكون ما ذكر جزء السبب لا يفلح بدونه.

ويستفاد من قوله «لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» إحتياجهم إلى الفلاح وأنّهم ليسوا بمفلحين قبل ذلك [١].

[١] «لعلّ» من الحروف المشبهة بالفعل، تنصب الإسم وترفع الخبر، وفيها ثمانية وعشرون لغةً، وتختص بالممكن الذى لا وثوق بحصوله، ولها معانٍ ١- للتوقع وترجى المحبوب «وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» «٢»

٢- للإشفاق من مكروهٍ أو مخوفٍ، كقول فرعون «لَعَلّى أَبْلُغُ الْأَسْبابَ» «٣»

٣- للتعليل «فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشى» «۴»

۴- للإستفهام «وَما يُدْريكَ لَعَلَّهُ يَزَّكّى» «۵»

۵- للطمع، «لَعَلَّنا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ» طمع قوم فرعون. ۶- للظن: «فَلَعَلَّكَ تارِكٌ بَعْضَ ما يُوحى إِلَيْكَ» «۶»

أى يظن بك الناس ذلك. ٧- بمعنى (كى): «لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» «٧»

. ٨- للشك واللام فى أوّلها زائدة بمعنى عل «وَإِنْ أَدْرى لَعَلَّهُ

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢.

(٢) سورة الأنفال، الآية ۴۵، وسورة الجمعة، الآية: ١٠.

(٣) سورة غافر، الآية: ٣۶.

(۴) سورة طه، الآية: ۴۴.

(۵) سورة عبس، الآية: ٣.

(۶) سورة هود، الآية: ١٢.

(٧) سورة البقرة، الآية: ٢١ و ۶٣ و.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١۵۶

وأمّا الوجه التاسع: أعنى ما يمكن أن يستفاد من الآية ممّا يتعلق بصلاة الجمعة وهو أمور:

الأوّل: الخطبة إجمالًا، لقوله تعالى «فَاسْعَوْا إِلى ذِكْرِ اللَّهِ» وقد سبق مفصّلًا.

الثانى: إسماع الخطبة.

الثالث: قيام الخطيب.

الرابع: الجماعة.

الخامس: العدد وهو خمسة، أحدهم المؤذّن أعنى المنادى،

فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتاعٌ إِلى حينٍ» «١» «وَقالَ لِفِتْيانِهِ اجْعَلُوا بِضاعَتَهُمْ فى رِحالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَها» «٢»

؛ ولعلّ من اللَّه تحقيق: «لَعَلَّ السَّاعَةَ قَريبٌ» «٣» «۴»

وفى حديث حاطب قال صلّى اللَّه عليه وآله: وما يدريك يا عمر لعلّ اللَّه اطلع على أهل بدر، فقال لهم: إعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» «۵».

(١) سورة الانبياء الاية ١١١

(٢) سورة يوسف الاية ۶۲

(٣) سورى الاية ١٧

(۴) راجع مختار الصحاح المفردات المعنى القاموس تاج العروس النهاية مصباح اللغه مجمع البحرين المنجد

(۵) البحار ٢١/ ۹۴- ۹۵ و سنن أبى داود ٢/ ۴۵ كتاب الجهاد باب فى حكم الجاسوس إذكامسلماً.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١۵٧

والثانى الإمام، وثلاثة اخر لقوله «فاسعوا» فإنّ أقلّ الجمع ثلاثة.

السادس: الوقت، أعنى كونه محدوداً بين الزوال إلى أن تتمّ الأفعال متعقّباً لما ذكر فى «قضيت».

السابع: وحدة المكان.

الثامن: وضعها عن الصبى والمجنون، لعدم إمكان توجّه الخطاب إليهما لعدم التكليف.

التاسع: وضعها عن المريض والشيخ والأعرج والأعمى، لعدم إمكان السّعى بأنفسهم، بل يحتاجون إلى شخص آخر، فالأمر بالسّعى لا يشملهم.

العاشر: وضعها عمّن هو على فرسخين أو أكثر، لمشقّة السفر منضمّاً إلى قوله تعالى «يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ» «١».

وأمّا وجوب السّعى على من كان أقرب، فللسنّة.

الحادى عشر: وضعها عن العبد، لأنّه لا يملك البيع، والأمر للبائعين لأنّه كالآلة للبيع.

الثانى عشر: وضعها عن المرأة، لأنّها لا تتمكن من الإنتشار ولا تكليف بها بالصّلاة، والمأمورون بالإنتشار هم المأمورون بالسعى.

الثالث عشر: وضعها عن المسافر، لعدم الأمر بالإنتشار به.

ولا يخفى أنّ ما ذكر من وجوبها على البائع أعمّ من البائع

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨۵.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١۵٨

بالفعل أو بالقوة، أعنى الذى يمكنه البيع حالًا وإن لم يكن متلبّسا به، فيجب السّعى على من لا يشتغل أصلًا مع إجتماع سائر الشروط فيه.

وأمّا الوجه العاشر، أعنى وجه الربط بين قوله تعالى «وَإِذا رَأَوْا» والآية السابقة فهو: إنّه لما أمر بالسعى إلى ذكر اللَّه أراد أن يبين عدم كفاية الذهاب إليه فقط، بل يجب البقاء إلى آخر الأعمال، ويحرم الخروج فى أثناء صلاة الجمعة [١].

[١] عن قتادة: بينما رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم يخطب الناس يوم الجمعة، فجعلوا يتسلّلون ويقومون حتّى بقيت منهم عصابة، فقال: كم أنتم؟ فعدّوا أنفسهم فإذا إثنا عشر رجلًا وامرأة، ثمّ قام فى الجمعة الثانية فجعل يخطبهم، قال سفيان: ولا أعلم إلّاأنّ فى حديثه ويعظهم ويذكرهم، فجعلوا يتسلّلون ويقومون حتّى بقيت عصابة فقال كم أنتم؟ فعدّوا أنفسهم، فإذا إثنا عشر رجلًا وامرأة، ثمّ قام فى الجمعة الثالثة فجعلوا يتسلّلون ويقومون حتّى بقيت منهم عصابة، فقال كم أنتم؟ فعدّوا أنفسهم فإذا إثنا عشر رجلًا وامرأة فقال (والذى نفسى بيده لو اتبع آخركم أوّلكم لالتهب عليكم الوادى ناراً، وأنزل اللَّه عزّ وجل «وَإِذا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْها وَتَرَكُوكَ قائِمًا» «١».

(١) تفسير الطبرى ٢٨/ ١٠۴.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١٥٩

وأمّا الوجه الحادى عشر، أىوجه نزول هذه الآية، ففى الصافى عن القمى قال: «كان رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله يصلّى بالناس يوم الجمعة، ودخلت ميرةٌ وبين يديها قومٌ يضربون بالدفوف والملاهى، فترك الناس الصّلاة ومروا ينظرون إليهم، فأنزل اللَّه الآية».

وفيه عن المجمع عن جابر بن عبداللَّه قال: «أقبلت عيرٌ ونحن نصلّى مع رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله الجمعة، فانفضّ الناس إليها، فما بقى غير إثنى عشر رجلًا أنا فيهم، فنزلت الآية «وَإِذا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْوًا» «١» «٢»

وقيل: كان الرسول صلّى اللَّه عليه وآله خطيباً» [١].

[١] قال صدر المتألهين (تركوه قائماً ايشاراً لهذا الخسيس الدنى على الشريف العلّى، نظير ذلك ما وقع لهم فى ترك النجوى مع الرّسول صلّى اللَّه عليه وآله حين أوجبت عليهم الآية صدقة يسيرة حبة أو شعيرة، ففوّتوا ذلك الأمر العظيم بإمساك هذا التراب الرميم، لما روى أنّهم أكثروا مناجاة الرّسول صلّى اللَّه عليه وآله بما يريدون، حتّى الموت وأبرموه، فنزلت «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا ناجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْواكُمْ صَدَقَةً ذلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ

---

(١) الصافى ۵/ ١٧۶.

(٢) مجمع البيان ١٠/ ١١.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١۶٠

رَحِيمٌ* ءَ أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْواكُمْ صَدَقاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ » «... ١».

وأمروا بأنّ من أراد أن يناجيه صلّى اللَّه عليه وآله قدّم قبل مناجاته صدقة.

وعن أمير المؤمنين عليه السّلام: «لمّا نزلت، دعانى رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله فقال: ما تقول فى دينار؟ قلت لا يطيقونه، قال: كم؟ قلت: حبة أو شعيرة، قال: إنّك لزهيد، فلمّا رأوا ذلك اشتد عليهم فارتدعوا وكفّوا عن النّجوى حتى نسخت عنه صلّى اللَّه عليه وآله» «٢».

وعنه عليه السّلام: «إنّ فى كتاب اللَّه لآية ما عمل بها أحدٌ قبلى، ولا يعمل بها أحدٌ بعدى، كان لى دينار فصرفته بعشر دراهم، فكنت إذا ناجيته تصدّقت بدرهم، فانظر فى هذه الحكاية بنظر التأمل حتّى تعلم أنّ أهل المودة الأخروية فى غاية القلّة والندورة بالنسبة إلى أهل المودّة الدنيوية، وإنّ عدد طالب الحقّ بالنسبة إلى طالب الهوى كعدد الشعرة البيضاء فى جلد البقرة السوداء» «٣» «۴».

---

(١) سورة المجادلة، الآية: ١٢- ١٣.

(٢) الدر المنثور ۶/ ١٨۵.

(٣) تفسير القمى: ۶٧٠.

(۴) تفسير صدر الدين الشيرازى ٧/ ٢٨٣- ٢٨۴.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١۶١

وأمّا الوجه الثانى عشر، أىسبب قوله «رأوا»، فيمكن أن يكون بمعنى أبصروا أىبأعينهم، لأنّه كان جدار المسجد كما نقل مقدار قامة يمكن النظر إلى خارج المسجد، أو كان المسجد فى محلّ منخفض والتّجار فى محلٍّ مرتفع يمكن النظر، لكن على هذا يكون استعمال اللّهو والتّجارة فى أسبابها مجازاً، لإستعمال المسبّب مكان السّبب. ويمكن أن يكون بمعنى (علموا) فلا يحتاج إلى ما ذكر من فرض جدار المسجد مقدار قامة أو فرضه منخفضاً، فتدبّر.

وأمّا الوجه الثالث عشر أعنى وجه الإتيان بكلمة (لهواً)، فهو:

خروج بعضهم للتجارة وبعضهم للهو، كما عن بعض، أو إفادة خسّة طبعهم، فكأنّه إضراب، ويكون قوله «أو لهواً» إظهار رذالة نفسهم بأنّهم فى هذه المرتبة من الخسة، وهو تركهم الصّلاة للهو [١].

وأمّا الوجه الرابع عشر، وهو معنى «انفضوا» [٢]، فالظاهر أنّه

[١] قال الفاضل المقداد السيورى: (اللهو) هو الطبل، وفى الأصل اللهو كلّ ما ألهى عن ذكر اللّه «١».

[٢] عن أبى عبداللّه عليه السّلام فى معنى «انْفَضُّوا إِلَيْها»

---

(١) كنز العرفان ١/ ١٧٢.

بمعنى «هجموا» كالجراد، لا الميل كما فسّره بعض. وهذا المعنى لا يستفاد من نحو خرجوا أو تفرّقوا ونحوهما، ولذا أتى به للدلالة على حالهم حين الخروج لشدّة حرصهم على التّجارة واللّهو وعدم اعتنائهم بالصلاة والذّكر، وقد ورد عن النّبى صلّى اللّه عليه وآله: «لولا هؤلاء- أى‌الحاضرين، وهم اثنا عشر أو أحد عشر- لسومت عليهم الحجارة من السماء» «١»، وهو يدلّ على غضب اللّه عليهم.

وأمّا الوجه الخامس عشر، أى‌وجه إفراد الضمير فى «إليها» [١]

إنصرفوا إليها «٢». «وَتَرَكُوكَ قائِمًا» تخطب على المنبر «٣».

[١] وقيل: الضمير للتجارة من غير تقدير آخر، لأنّ المراد إذا رأوها تجارة وعلموها أو لهواً دالّاً عليها فظنوها إنفضّوا إليها وقدم التّجارة أوّلًا للتّرقى باللّهو، إذ لا فائدة لهم فيه بخلافها، فالذمّ على الإنصراف أولى وأقوى، وآخرها ثانياً للترقى بها، فإنّ كون ما عند اللّه من الثواب على سماع الخطبة وحضور الموعظة والصّلاة والثبات مع النّبى صلّى اللّه عليه وآله أو من خير الدنيا والآخرة خيراً من التجارة، أبلغ من كونه خيراً من اللّهو الذى لا فائدة فيه إلّاوهماً، ولعلّ التفضيل أيضاً بناءً

---

(١) تفسير مجمع البيان ١٠/ ١١.

(٢) تفسير البرهان ۴/ ٣٣۶.

(٣) مجمع البيان ١٠/ ١٥.

مع ذكر شيئين: التجارة واللّهو، فهو: خروجهم لأجل التجارة [١] وهذا يؤيّد ما ذكرناه فى سبب الإتيان بكلمة (لهواً).

وقيل: فى الكلام حذف، تقديره وإذا رأوا تجارة إنفضّوا إليها،

على وهمهم لينا ومماشاة وتخلّقاً معهم، «وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ» فيرزقكم إن لم تتركوا الخطبة والجمعة خيراً ممّا يرزقكم مع الترك، أو خيراً ممّا ترجون من التّجارة ونحوها، وقيل: أى‌يرزقكم وإن لم تتركوا الخطبة والجمعة، و (خير الرازقين) من قبيل (أحكم الحاكمين) و (أحسن الخالقين) أى‌إن أمكن وجود الرازقين فهو خيرهم، وقيل:

الإطلاق على غيره بطريق المجاز، ولا ريب أنّ الرازق بطريق الحقيقة خير من الرازقين بطريق المجاز «١».

[١] قال صدر المتألّهين: إعلم أنّ دعوى كون ما عنداللّه خيراً من اللّهو الذى هو لذّة القوّة الحسّية وشهوة النفس البهيميّة، ومن التجارة التى هى لذّة القوّة الخياليّة والنفس السبعيّة، إذ بها يحصل الجاه والحشمة، ممّا يشكل إثباته على أكثر الناس، لغلبة التجسّم عليهم وكثافة الحجاب فيهم، فإنّ كون معرفة اللّه وصفاته ومعرفة ملكوت سماواته وأسرار ملكه أعظم من لذّة الرياسة وساير المرغوبات ممّا يختص دركه

(١) آيات الأحكام للإسترآبادى: ٢۶٢.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١۶۴

وإذا رأوا لهواً إنفضوا إليه. وقيل: الضمير على سبيل البدل كقوله فى قصّة عزير، «فَانْظُرْ إِلى طَعامِكَ وَشَرابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ» «١»

. وليس بشىء، لإمكان إرجاع الضمير فى القصّة إلى كلّ واحدٍ منهما بخلافه فى «انْفَضُّوا إِلَيْها» فلا يصلح الضمير لرجوعه إلى اللّهو.

وأمّا الوجه السادس عشر، أى سبب تقديم التّجارة فى الأوّل وتأخيرها فى الثانى، فهو الدّلالة على خسّة طبعهم فى الأوّل، كما تقول: زيد يكذب بدينار، بل بدرهم، فكأنّه إضراب كما تقدّم، وعلى حسن ما عنداللّه فى الثانى، كما تقول: هذا أحسن من الدّرهم ومن الدّينار، إذا أردت بيان رذالته فى الأوّل وحسنه فى الثانى.

وأمّا الوجه السابع عشر، أعنى وجه تكرار «من»، فهو: إفادة الإضراب الذى ذكر، بخلاف ما إذا لم يتكرّر، فلا يفهم منه بل كان يفهم إستواؤهما، كقولك: هذا أفضل من زيد وعمرو، وهذا أمر ذوقى مرجعه الوجدان، فلا يحتاج إلى بيان.

بمن نال رتبة المعرفة، وذاق مشرب الحكمة، ولا يمكن إثباته على من لا قلب له، لأنّ القلب معدن هذه القوّة «... ٢».

(١)

سورة البقرة، الآية: ٣۵٩.

(٢) تفسير صدر الدين الشيرازى: ٧/ ٢٩٠.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١۶۵

وأما الوجه الثامن عشر: أعنى سبب قوله «وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ»، فهو: تنبيههم إلى أنّ الرّزق بيد اللّه يؤتى كلّ أحدٍ نصيبه، فلا يحتاج إلى التجشم والتعب، وأنّه لا يفوت أحداً رزقه بسبب الذكر [١] وله الحمد أوّلًا وآخراً.

[١] وقوله: «قُلْ ما عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ» أمرٌ للنّبىّ أن ينبّههم على خطأهم فيما فعلوا- وما أفظعه- والمراد بما عنداللّه، الثواب الذى يستعقبه سماع الخطبة والموعظة.

والمعنى قل لهم: ما عنداللّه من الثواب خيرٌ من اللّهو ومن التّجارة، لأنّ ثوابه تعالى خيرٌ حقيقى دائم غير منقطع، وما فى اللّهو والتّجارة من الخير أمرٌ خيالى زائل باطل، وربما استتبع سخطه تعالى كما فى اللّهو.

وقيل: خير مستعمل فى الآية مجرّداً عن معنى التفضيل، كما فى قوله تعالى «ءَ أَرْبابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْواحِدُ الْقَهَّارُ» «١»

، وهو شائع فى الإستعمال، وفى الآية أعنى قوله: «وَإِذا رَأَوْا» إلتفات من الخطاب إلى الغيبة، والنكتة فيه تأكيد ما يفيده السياق من العتاب واستهجان الفعل بالإعراض عن تشريفهم بالخطاب، وتركهم فى مقام الغيبة لا يواجههم

(١) سورة يوسف، الآية: ٣٩.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١۶۶

ربّهم بوجهه الكريم.

ويلوّح إلى هذا الإعراض قوله: «قُلْ ما عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ» حيث لم يشر إلى من يقول له، ولم يقل: قل لهم كما ذكرهم بضميرهم أوّلًا من غير سبق مرجعه فقال: «وَإِذا رَأَوْا» واكتفى بدلالة السياق.

و «خَيْرُ الرَّازِقِينَ» من أسمائه تعالى الحسنى كالرازق «١».

خلاصة موضوعات السورة

١. وصفه تعالى نفسه بصفات الكمال.

٢. صفات النّبى الأمّى الذى بعثه اللَّه رحمةً للعالمين.

٣. النعى على اليهود لتركهم العمل بأحكام التوراة.

۴. طلب مباهلة اليهود.

۵. الحث على السّعى للصّلاة يوم الجمعة حين النداء والإمام على المنبر.

۶. الأمر بالسعى على الأرزاق بعد انقضاء الصّلاة.

٧. عتاب المؤمنين على تركهم النّبى صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم، وهو يخطب قائماً، وتفرّقهم لرؤية التّجارة أو اللّهو «٢».

---

(١) الميزان فى تفسير القرآن ١٩/ ٣١٨.

(٢) تفسير المراغى ٢٨/ ١٠۴.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١۶٩

تفسير سورة التغابن ... ص: ١۶٩

«سورة التّغابن ... ص: ١۶٩

[١]»

[١] سورة التغابن، مدنيّة نزلت بعد الجمعة فى مصحف الإمام الصادق عليه السّلام وهى آخر المسبّحات «١».

ضوابط المدنىّ ومميّزاته الموضوعيّة

١- كلّ سورة فيها فريضة أوحد، فهى مدنيّة.

٢- كلّ سورة فيها ذكر المنافقين، فهى مدنيّة سوى العنكبوت فإنّها مكيّة.

٣- كلّ سورة فيها مجادلة أهل الكتاب، فهى مدنيّة.

هذا من ناحية الضوابط، أمّا من ناحية المميّزات الموضوعيّة وخصائص الأسلوب، فيمكن إجمالها فيما يأتى:

١- بيان العبادات، والمعاملات، والحدود، ونظام الأسرة، والمواريث، وفضيلة الجهاد، والصّلات الإجتماعية، والعلاقات الدوليّة

---

(١) تاريخ القرآن للزنجانى: ۵٧، الإتقان ١/ ۴۴، وتفسير ابن كثير ۴/ ٣٩٩.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١٧٠

فى السّلم والحرب، وقواعد الحكم، ومسائل التشريع.

٢- مخاطبة أهل الكتاب من اليهود والنصارى ودعوتهم إلى الإسلام وبيان تحريفهم لكتب اللَّه، وتجنيهم على الحقّ، وإختلافهم من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم.

٣- الكشف عن سلوك المنافقين، وتحليل نفسيتهم، وإزاحة الستار عن خباياهم، وبيان خطرهم على الدّين.

۴- طول المقاطع والآيات فى أسلوب يقرر الشريعة ويوضع أهدافها ومراميها «١».

قال مجد الدّين الفيروزآبادى: معظم مقصود السورة بيان تسبيح المخلوقات، والحكمة فى تخليق الخلق، والشكاية من القرون الماضية، وإنكار الكفّار البعث والقيامة، وبيان الثواب والعقاب، والإخبار عن عداوة الأهل والأولاد، والأمر بالتقوى حسب الإستطاعة، وتضعيف

ثواب المتقين، والخبر عن إطّلاع الحقّ على علم الغيب فى قوله «عالِمُ الْغَيْبِ» الآية «٢».

---

(١) مباحث فى علوم القرآن: ٥٩.

(٢) راجع بصائر ذوى التمييز ١/ ۴۶٧.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١٧١

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

[١]»

[١] قال العلّامة الشيخ محمّد جواد البلاغى: الظاهر أنّ البسملة فى جميع السور متعلقة بكلمة (أبدأ) للمتكلّم من قول اللَّه جلّ اسمه تنويهاً بجلال اسمه الكريم وبركاته وتعظيماً له لجلال المسمّى وعظمته جلّ شأنه، وله الأسماء الحسنى، كما أمر فى القرآن بذكر اسمه وتسبيحه، كما فى سورة المائدة والحج والمزمّل والدّهر والأعلى، فيتنظم المقدر فى جميع السور وجميع الأحوال بنظام واحد على نسق واحد، ولا يعترى ما استظهرناه غرابة ولا إشكال، وكيف يعتريه ذلك، وقد نسب اللَّه الإبتداء لذاته المقدّسة فى خلقه، كما فى قوله جلّ اسمه «وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسانِ مِنْ طِينٍ كَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ» «١»

وقد أقسم جلّ اسمه بمخلوقاته كالشمس والقمر والنفس وغيرها تعظيماً، لأنّها مظاهر قدرته وآيات حكمته «٢».

---

(١) سورة السجدة الاية ٧ و سورة الانبياء الاية ۴

(٢) آلاء الرحمن فى تفسير القرآن ١/ ۵٢.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١٧٢

«يُسَبِّحُ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ* هُوَ الَّذى خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصيرٌ* خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصيرُ* يَعْلَمُ ما فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ ما تُسِرُّونَ وَما تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَليمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ».

ينبغى التحقيق فى هذه الآيات حول ستّة أمور:

الأوّل: إنّ المستفاد منها أنّها فى مقام دعوة الخلق إلى الإيمان والتوحيد، وتوبيخهم على الكفر، ووعظهم حتّى يؤمنوا، ثمّ إنّ التسبيح المسند إلى الموجودات برمتها فى السّموات والأرض، هو التسبيح التكوينى، فإنّ كلّ موجود بهويّة ذاته وبلسان تكوّنه، يقدّس اللَّه جلّ وعلا، وينزّهه عن الشريك، وعن الشبه، وعن الجهل، وعن العجز، وعن سائر الجهات الإمكانية [١] لما برهن فى محلّه- وقد ذكرنا نبذة منه فى سورة الجمعة- إنّه لو كان الإله اثنين لما وجد موجود قطّ، ولو كان جاهلًا أو عاجزاً لما صدر منه صادر، كما هو واضح، إلى غير ذلك ممّا يصدقه الوجدان، ويشهد عليه البرهان.

والحمد للَّه الذى هدانا لهذا وما كنّا لنهتدى لولا أن هدانا اللَّه.

[١] قال عزّ اسمه تارةً: سبّح للَّه، وتارة: يسبّح للَّه، هى إشارة إلى

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١٧٣

ثمّ إنّ اللّام فى «للَّه» للإختصاص ويفهم منه الخلوص، بمعنى أنّ التسبيح كائن للَّه وخالص له، بلا عجب ولا رياء ولا سمعة، إذ التسبيح التكوينى لا يعقل فيه غير الخلوص.

الثانى: إنّ قوله تعالى «لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ» فيه ثلاث احتمالات:

الأوّل: إنّه بيان تسبيح ما فى السّموات وما فى الأرض [١] بمعنى أنّهم يسبّحون بتلك الآية، وهو «لَهُ الْمُلْكُ ». ... فما ذكر هو بعينه

كلامهم بلسان تكوينهم.

دوام تنزيهه بتسبيح المكلّفين بالقول، وتسبيح الجمادات بالدّلالة، وإنّ وجود ما فى السّموات والأرض دالّ على تنزيه اللَّه وكماله، وإنّ هذه المخلوقات مسخّرة ومنقادة له «١».

[١] قال الفخر الرازى: قال اللَّه تعالى فى موضع «سَبَّحَ لِلَّهِ ما فِى السَّماواتِ وَما فِى الْأَرْضِ» وفى موضع آخر «سَبَّحَ لِلَّهِ ما فِى السَّماواتِ وَالْأَرْضِ» فما الحكمة فيه؟ قلنا: الحكمة لا بدّ منها، ولا نعلمها كما هى، لكن نقول ما يخطر بالبال، وهو: إنّ مجموع السّموات والأرض شىء واحد، وهو عالم مؤلّف من الأجسام الفلكيّة

---

(١) راجع جوامع الجامع: ۴۹۳، ومجمع البيان ۵/ ۲۹۷ كلاهما للطبرسى، وتفسير المراغى ۲۸/ ۱۱۸.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١٧۴

والعنصريّة، ثمّ الأرض من هذا المجموع شىء والباقى منه شىء آخر، فقوله تعالى «يُسَبِّحُ لِلَّهِ ما فِى السَّماواتِ وَما فِى الْأَرْضِ» بالنسبة إلى هذا الجزء من المجموع وبالنسبة إلى ذلك الجزء منه كذلك، وإذا كان كذلك فلا يبعد أن يقال قال تعالى فى بعض السور كذا، وفى البعض هذا، ليعلم أنّ هذا العالم الجسمانى من وجه شىء واحد، ومن وجه شيئان، بل أشياء كثيرة والخلق فى المجموع غير ما فى هذا الجزء، وغير ما فى ذلك أيضاً، ولا يلزم من وجود الشىء فى المجموع أن يوجد فى كلّ جزء من أجزائه إلّابدليل منفصل، فقوله تعالى «سَبَّحَ لِلَّهِ ما فِى السَّماواتِ وَما فِى الْأَرْضِ» على سبيل المبالغة من جملة ذلك الدليل لما أنّه يدلّ على تسبيح ما فى السّموات وعلى تسبيح ما فى الأرض، كذلك بخلاف قوله تعالى «سَبَّحَ لِلَّهِ ما فِى السَّماواتِ وَالْأَرْضِ» «١».

وقال الشيخ الطّوسى قدّس سرّه: «إنّ المراد بها ما فى خلق السّموات والأرض وما فيهما من الأدلة الدّالة على توحيده وصفاته التى باين بها خلقه، وإنّه لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شىء، وإنّه منزّه عن القبايح

---

(١) التفسير الكبير ٣٠/ ٢٠.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١٧۵

الثانى: كون الآية وجهاً لاختصاص الملك والحمد له، وقدرته على أنّ كلّ ما يشاءه يفعل [١].

الثالث من الإحتمالات فى الآية: تزكية النفس منه سبحانه وتعالى لنفسه المقدّسة، وهو جلّ وعلا أحقّ بذلك، بمعنى أنّه يحمد ويثنى على نفسه بهذه الصّفات الكماليّة.

وصفات النقص، فعبّر عن ذلك بالتسبيح من حيث كان معنى التسبيح التنزيه للَّه عمّا لا يليق به» «١».

[١] قال الآلوسى: «تقديم (له الملك) لأنّه كدليل لما بعده» «٢»، وقال الطّبرسى قده: (له الملك) منفرداً دون غيره والألف واللّام لإستغراق الجنس، والمعنى أنّه المالك لجميع ذلك، والمتصرف فيه كيف يشاء (وله الحمد) على جميع ذلك، لأنّ خلق ذلك أجمع الغرض فيه للخلق الإحسان إلى خلقه والنفع لهم به، فاستحقّ بذلك الحمد والشكر «وَهُوَ عَلى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ» يوجد المعدوم ويفنى الموجود، ويغيّر الأحوال كما يشاء «٣».

---

(١) تفسير التبيان ١/ ۶۸۰.

(٢) روح المعانى ٢٨/ ١٠۵.

(٣) مجمع البيان ۵/ ٢٩٧.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١٧۶

الثالث: ذكر بعض مقدوراته تعالى، فقال: «هُوَ الَّذى خَلَقَكُمْ» يفيد الحصر، ويستفاد من قوله تعالى «فَمِنْكُمْ كافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ» التعريض والتوبيخ على الناس بمعنى أنّ الإله الذى يسبّح له ما فى السّموات والأرض وقد خلقكم فكيف تكفرون أنتم؟ وكان حقّ ذلك ومقتضى وحدة الخالق أن يكون الناس جميعهم مؤمنين باللَّه، فلماذا صاروا فرقتين؟ مؤمن وكافر؟ [١] وتقديم الكفر على الإيمان هو المناسب لمقام التوبيخ، والفاء فى قوله تعالى: «فَمِنْكُمْ» يفيد

[١] قال الطّبرسى قده: ولا يجوز حمله على أنّه سبحانه خلقهم مؤمنين وكافرين، لأنّه لم يقل كذلك، بل أضاف الكفر والإيمان إليهم وإلى فعلهم، ولدلالة العقول على أنّ ذلك يقع على حسب قصورهم وأفعالهم، ولذلك يصحّ الأمر والنهى، والثواب والعقاب وبعثة الأنبياء «١».

عن حسين بن نعيم عن صحاف قال: سألت الصّادق عليه السّلام عن قوله تعالى «فَمِنْكُمْ كافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ» قال عليه الصّلاة والسّلام: «عرف اللَّه عزّ وجل إيمانهم بولايتنا وكفرهم بتركها يوم أخذ عليهم الميثاق فى صلب آدم عليه السّلام» «٢».

---

(١) مجمع البيان ١٠/ ٢٨.

(٢) تفسير البرهان ۴/ ۴۳١.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١٧٧

تأخر الايمان والكفر عن الخلق، لا أنّهما أمران ذاتيان كسائر اللوازم الذاتية التى يطرأ عليها الوجود والخلق [١].

[١] قال النسفى: أىفمنكم آت بالكفر وفاعل له، ومنكم آت بالإيمان وفاعل له. ويدلّ عليه «وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصيرٌ» أىعالم وبصير بكفركم وإيمانكم اللذين هما من عملكم، والمعنى: هو الّذى تفضّل عليكم بأصل النعم الذى هو الخلق والإيجاد من العدم، وكان يجب أن تكونوا بأجمعكم شاكرين، فما بالكم تفرقتم أمماً فمنكم كافر ومنكم مؤمن، وقدّم الكفر لأنّه الأغلب عليهم، والأكثر فيهم، وهو ردّ لقول من يقول بالمنزلة بين المنزلتين، وقيل: هو الّذى خلقكم فمنكم كافر بالخلق وهم الدهرية ومنكم مؤمن به «١».

وقال الفخر الرازى، قال أبو إسحاق: خلقكم فى بطون أمّهاتكم كفّاراً ومؤمنين، وجاء فى بعض التفاسير أن يحيى خلق فى بطن أمّه مؤمناً، وفرعون خلق فى بطن أمّه كافراً، دلّ عليه قوله تعالى «أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ» «٢» «٣».

---

(١) تفسير النسفى ۴/ ٢۶٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٩.

(٣) التفسير الكبير ٣٠/ ٢١.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١٧٨

أقول: ١- قال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله: «كلّ مولود يولد على الفطرة إلّاأبواه يهوّدانه وينصّرانه» «١». قال سيدى الوالد قدّس سرّه: أى يولد على الفطرة اقتضاء.

٢- عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم: «يعنى على المعرفة بأنّ اللَّه خالقه، وذلك قوله «وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ» «٢»» «٣».

٣- وعن الصّادق عليه السّلام: «إنّ اللَّه خلق المؤمن من طينة الجنة، وخلق الكافر من طينة النار الحديث».

قال الشيخ الحرّ العاملى قدّس سرّه: والأحاديث فى ذلك كثيرة جدّاً قد تجاوزت حدّ التواتر، ولا منافاة فيها للعدل، لأنّ خلق الإنسان من طينة طيّبة أو خبيثة من جملة أسباب الطّاعة والمعصية، ولا ينتهى إلى حدّ الإلجاء، فلا يلزم الجبر، وخلق الطينتين يوجب إمكان صدور

(١) بحار الأنوار ٣/ ٢٨١، باب الدين الحنيف والفطرة، الرّقم ٢٢، وفيه: كلمة «حتّى» بدل «إلّا».

(٢) سورة لقمان، الآية: ٢٥.

(٣) الفصول المهمّة ١/ ٤٢٤.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١٧٩

وقوله تعالى «وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصيرٌ» حيث أتى بالإسم الظاهر، والصفة المشبهة دون أن يقول: وهو بما تعملون بصير، أو نحوه، يفيد أنّ مبدأ البصيرة ذاتى له، فإنّه لو قال (مبصر) لم يكن له صراحة سبق البصيرة لعدم منافاته بضمير الغيبة مع حصوله بعد الخلق، والصفة المشبهة تدلّ على أنّ المبدأ ذاتى، بخلاف إسم الفاعل، فإنّه يدلّ على تلبّس الذات بمبدأ المشتق وإن لم يكن ذاتيّاً ولا ملكة، مضافاً إلى أنّ الإتيان بلفظ الجلالة بمثابة البرهان على كونه بصيراً، فإنّ معناه هو المستجمع لجميع الكمالات، فلا بدّ وأن يكون بصيراً بالذات، وإن كان يعدّ هو وأمثاله من صفات الفعل [١]، إذ معناه أنّ المبدأ ذاتى وإن وقع على الفعل بعد وجوده، كما هو المذكور فى الحديث. ولعلّ مناسبة ذكر هذه الجملة هو، أنّه لما كان الإيمان والكفر مصدرين لأعمال تناسبهما، فذكر أنّ الأعمال يطّلع عليها الخالق، يوجب النشاط للمؤمن والخوف للكافر. ويحتمل وجود مناسبة أخرى. واللَّه العالم.

الأثرين، وإن كان سبب أحدهما أقوى فلا مفسدة «... ١».

[١] قال الشيخ المفيد قدّس سرّه: صفات اللَّه تعالى على ضربين:

(١) الفصول المهمّة ١/ ٤١٩- ٤٢٠.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١٨٠

أحدهما: منسوب إلى الذّات، فيقال صفات الذّات. وثانيهما:

منسوب إلى الأفعال فيقال: صفات الأفعال، والمعنى فى قولنا صفات الذات: أنّ الذّات مستحقّة لمعناها إستحقاقاً لازماً لا لمعنى سواها، ومعنى صفات الأفعال: هو أنّها تجب بوجود الفعل ولا- تجب قبل وجوده، فصفات الذّات للَّه تعالى هى الوصف له بأنّه حىّ، قادر، عالم، ألا ترى أنّه لم يزل مستحقّاً لهذه الصّفات ولا يزال. ووصفنا له تعالى بصفات الأفعال كقولنا خالق، رازق، محى، مميت، مبدىء، معيد، ألا ترى أنّه قبل خلقه الخلق لا يصحّ وصفه بأنّه خالق، وقبل إحيائه الأموات لا يقال: إنّه محى، وكذلك القول فيما عدّدناه.

والفرق بين صفات الأفعال وصفات الذّات: إنّ صفات الذّات لا يصحّ لصاحبها الوصف بأضدادها ولا خلوّه منها، وأوصاف الأفعال يصحّ الوصف لمستحقّها بأضدادها وخروجه عنها، ألا ترى أنّه لا يصحّ وصف اللَّه تعالى بأنّه يموت ولا بأنّه يعجز ولا بأنّه يجهل، ولا يصحّ الوصف له بالخروج عن كونه حيّاً، عالماً، قادراً، ويصحّ الوصف بأنّه غير خالق اليوم، ولا رازق لزيد، ولا محى لميّت بعينه، ولا مبدىء لشىء فى هذه الحال، ولا- معيد له، ويصحّ الوصف له- جلّ وعزّ- بأنّه يرزق ويمنع ويحيى ويميت ويبدىء ويعيد ويوجد ويعدم، فثبتت العبرة فى

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١٨١

الرابع: قوله تعالى عزّ شأنه «خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ» إنّه يستفاد من مجموع الآية المبدأ والمعاد، بمعنى أنّ كلّ شىء بين السّموات والأرض، من الإنسان وغيره، خلقهنّ اللَّه وإليه يعود كلّ ذلك، فجملة «خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ» قرينة للمبدأ، وقوله تعالى «وَإِلَيْهِ الْمَصيرُ» قرينة للمعاد، وإليه المرجع يوم القيامة.

الخامس: يناسب هذه الجملة أعنى «خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ...

الآية» لما تقدّم، بأنّه امتنان عليهم بأحسن الصّور، فينبغى أن يشكروه، وأنّ المعاد والمصير إليه، فينبغى أن لا يكفروا، وذكر إبتداءً مادّة

جميع المخلوقات وهو السّموات والأرض وخلقها، ثمّ حينما أعطى لكلّ شيء شكلًا وصورة يمتاز به عن غيره، ومنّ عليهم بأحسن الصّور [١] وهى النفس الناطقة الإنسانية، فإنّها هى صورة

أوصاف الذّات وأوصاف الأفعال، والفرق بينهما ما ذكرناه «١».

[١] قال الآلوسى: «برأكم وزينكم بصفوة صفات مصنوعاته، وخصّكم بخلاصة خصائص مبدعاته، وجعلكم أنموذج جميع مخلوقاته فى هذه النشأة» «٢».

---

(١) تصحيح الإعتقاد من مصنّفات الشيخ المفيد: ٥/ ۴١.

(٢) روح المعانى ٢٨/ ١٠۶.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١٨٢

الإنسان لغةً وإصطلاحاً.

وبهذا تعرف أن لا موقع للإستشكال- بأنّ بعض الإنسان قبيح المنظر، مشوه الخلقة، وفى غيره من الحيوان ما هو أجمل شكلًا، كما ذكر الإشكال، ووقعوا فى حيص وبيص عن جوابه- إذ ليست الصورة هى الشكل العرضى، بل الذاتى المائز له عن غيره أعنى النفس الناطقة التى هى أحسن الصور المائزة بين الأنواع، ولا يفرق فى ذلك كونه أجمل شكلًا أو اسوأه.

ثمّ إنّ كلمة «بِالْحَقِّ» فى قبال أن يكون باطلًا، على حذو قوله سبحانه حكاية عن المتفكرين حيث يقولون «رَبَّنا ما خَلَقْتَ هذا باطِلًا» ثمّ ذكر سبحانه «وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ» فإنّه بالخوف من التبعة فى المعاد، يتصدى الإنسان إلى تحصيل الإيمان والخضوع للخالق، فإنّه من التفت إلى أنّ هناك معاداً ودار جزاء وحساب، يدعوه لزوم دفع الضرر بجبلة عقله إلى التحرز والإحتياط، فيتصدى إلى الفحص والنظر فى الآيات والدلائل ويهتدى إلى الإيمان [١].

[١] قال العلّامة الطباطبائى: «بهذه الآية تتمّ المقدّمات المنتجة للزوم البعث ورجوع الخلق إليه تعالى، فإنّه تعالى لما كان ملكاً قادراً على الإطلاق له أن يحكم بما شاء، ويتصرف كيف أراد، وهو منزّه عن كلّ نقص وشين، محمود فى أفعاله وكان الناس مختلفين بالكفر

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١٨٣

السادس: قوله تعالى «يَعْلَمُ ما فِي السَّماواتِ» يستفاد من هذه الآية أنّ المعلومات على ثلاثة أقسام، معلوم أعيانى، ومعلوم أفعالى، ومعلوم نفسىّ اخطارى.

أمّا المعلوم الأعيانى، فهو الموجودات التى تكون بين السماء والأرض.

وأمّا المعلوم الأفعالى: فهو أفعال البشر من سرّ وعلن.

وأمّا المعلوم النفسى: فهو التخيلات والخواطر التى تكون فى النفس والصدر.

فبناءً على هذا أشار بقوله تعالى «يَعْلَمُ ما فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ» إلى المعنى الأوّل وهو الأعيانى، أى كلّ شيء يكون بين السّماء والأرض، فالله تعالى عالم به [١]. «وَيَعْلَمُ ما

والإيمان، وهو بصير بأعمالهم، وكانت الخلقة لغاية من غير لغو وجزاف، كان من الواجب أن يبعثوا بعد نشأتهم الدنيا لنشأة أخرى دائمة خالدة، فيعيشوا فيها عيشة باقية على ما يقتضيه إختلافهم بالكفر والإيمان، وهو الجزاء الذى يسعد به مؤمنهم ويشقى به كافرهم «١».

[١] دفع شبهة لمنكرى المعاد مبنية على الاستبعاد، وهى: أنّه كيف يمكن إعادة الموجودات وهى فانية بائدة وحوادث العالم لا تحصى؟

(١) الميزان فى تفسير القرآن ١٩/ ٤٣٤.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١٨٤

تُسِرُّونَ وَما تُعْلِنُونَ» بمعنى الأفعالى، أىعالم بكلّ ما تفعلون «وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ» بمعنى الإخطار النفسى، أىعالم بكلّ الخواطر والأفكار التى تكون فى الصّدور.

وبالجملة، روابط هذه الآيات كما يستفاد منها أنّها فى مقام دعوة الخلق إلى الإيمان ومعرفته تعالى والتوحيد، وتوبيخهم على الكفر ووعظهم وإرشادهم وإنذارهم حتّى يؤمنوا، فذكر مقدّمة الثّناء للّه تعالى بتسبيح ما فى السّموات، ... والتسبيح تكوينى ليس إلّاله، وذكر «لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ» على ما ذكرنا من الأوجه الثلاثة.

ثم شرع فى التوحيد بقوله: «هُوَ الَّذى خَلَقَكُمْ» بنحو الحصر

والأعمال والصفات لا تعدّ، منها ظاهرة علنية، ومنها باطنة سريّة، ومنها مشهودة، ومنها مغيبة، فأجيب: بأنّ اللّه يعلم ما فى السّماوات والأرض ويعلم ما تسرّون وما تعلنون «١».

وقال الزمخشرى: تكرير العلم فى معنى تكرير الوعيد، وكلّ ما ذكره بعد قوله تعالى «فَمِنْكُمْ كافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ» كما ترى فى معنى الوعيد على الكفر، وإنكار أن يعصى الخالق ولا تشكر نعمته «٢».

---

(١) الميزان فى تفسير القرآن ١٩/ ٣٤٣.

(٢) تفسير الكشاف ۶/ ١١۴.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١٨٥

ووبخهم بالتفرق بالايمان والكفر، مع أنّ وحدة الخالق تقتضى الإجتماع فى الإيمان، وتقديم الكفر على الإيمان هو المناسب لمقام التوبيخ.

ثمّ شرع فى ما منّ به عليهم، وذكر أنّ المادة لجميع المخلوقات هو السّموات والأرض، وذكر أنّ المصير ليس بنحو إبتدائى، كأنّه لم يكن ما سبق منه شيئاً مذكوراً، فلا يؤاخذ عليه، ولا يطالب به ولا يجازى عليه، بل اللّه يعلم ما فى السّموات والأرض ويعلم ما تسرّون من الأعمال الخفيّة وما تعلنون ممّا يعملونه علناً ويعلم ما فى الصّدور. وهذه أقسام المعلومات الثلاث كما ذكرنا.

ولعلّ النكتة فى الإلتفات من الجملة الفعليّة إلى الإسميّة فى قوله تعالى «وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ» حيث لم يقل ويعلم ما فى الصّدر، على حذو ما قبله من قوله تعالى «يَعْلَمُ ما فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ ما تُسِرُّونَ»: أنّ الجملة الإسميّة آكد فى الدّلالة على ثبات العلم، مضافاً إلى أنّ هذه الجملة بمثابة التعليل لما تقدّمه، فإن من هو عليم بذات الصّدور لابدّ وأن يعلم الموجودات الخارجية من الأعيان والأفعال، فيناسب أن يكون جملة إسميّة [١].

[١] قال الشيخ المفيد قدّس سرّه: «إنّ اللّه تعالى عالم بكلّ ما يكون قبل كونه، وإنّه لا حادث إلّاوقد علمه قبل حدوثه، ولا معلوم وممكن أن

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١٨۶

والنكتة فى الإتيان بالإسم الظاهر أعنى لفظ الجلالة- مع أنّ ما سبق قد أسند إلى الضمير أعنى قوله تعالى «يَعْلَمُ ما فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ ما تُسِرُّونَ» [١] وسياقه أن يقال هو عليم بذات الصّدور، بضمير الغيبة- لعلّها من باب إيراد القضية مع الإرشاد إلى برهان ثبوت المحمول لموضوعه، وكأنّه قيل: إنّه عليم بذات الصّدور، لأنّه مستجمع لجميع الصفات، فأبدل عن ذلك قوله تعالى «وَاللَّهُ عَلِيمٌ» حيث أنّ لفظ الجلالة يدلّ على ذلك الإستجماع.

يكون معلوماً إلّاوهو عالم بحقيقته، وأنّه سبحانه لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السّماء، وبهذا قضت دلائل العقول والكتاب

المسطور والأخبار المتواترة عن آل الرّسول صلّى اللّه عليه وآله، وهو مذهب جميع الإماميّة» «١».

[١] «أى ما يسرّه بعضكم إلى بعض وما يخفيه فى صدره عن غيره، والفرق بين الإسرار والإخفاء، إنّ الإخفاء أعمّ لأنّه قد يخفى شخصه ويخفى المعنى فى نفسه، والإسرار يكون فى المعنى دون الشخص «وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ» أى بأسرار الصّدور وبواطنها» «٢».

---

(١) أوائل المقالات من مصنّفات الشيخ المفيد: ۴/ ۵۴- ۵۵.

(٢) تفسير التبيان ٢/ ۶٨١، ومجمع البيان ۵/ ٢٩٧.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١٨٧

والنكتة فى التعبير بالصّفة المشبّهة- حيث قال تعالى عليم، دون عالم- لعلّها من أجل أنّ الصّفة المشبّهة تدلّ على كون المبدأ ثابتاً مستقرّاً، وهو الأنسب لمقام ذاتية العلم، ولا يفيد ذلك إسم الفاعل، فإنّه يدلّ على التلبّس بالمبدأ وإن لم يكن ذاتياً ولا ملكة. وقد قدّمنا نظيره.

ثمّ بعد ذلك وعظهم بالإعتبار من نبأ الماضين فى كفرهم حتّى يجتنبوا ويأتوا إلى طريق الهدى [١].

«أَ لَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذاقُوا وَبالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ* ذلِكَ بِأَنَّهُ كانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَقالُوا أَ بَشَرٌ يَهْدُونَنا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ».

لابدّ من التحقيق فى هاتين الآيتين عن أربعة أمور:

الأوّل: قوله تعالى «أَ لَمْ يَأْتِكُمْ». وجه المناسبة لما قبلها أنّها فى مقام الوعظ للعباد، فكما أنّ قوله عزّ شأنه «هُوَ الَّذى خَلَقَكُمْ...»

كان فى مقام التوبيخ والتعريض، فكذلك هذه الآية، بمعنى: أما آتاكم

[١] قال الطنطاوى: فتح باب للإعتبار بالتاريخ، لا فرق بين قوم نوح وقوم من أمم الإسلام، كأهل الأندلس الذين أذاقتهم أوروبا كأس الذل، وأخرجتهم من ديارهم «١».

---

(١) تفسير الجواهر ٢۴/ ١٨١.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١٨٨

خبر الذين من قبلكم [١] فكيف كفرتم باللّه؟ ولقد كان الكفر شيئاً ذا مفسدة عظيمة، بدليل ذوق الوبال وهو كما فى مجمع البحرين: عاقبة الأمر، والعذاب الأليم الذى يلحقهم فى الآخرة.

[١] قال المراغى: بعد أن بسط سبحانه الأدلّة على عظيم قدرته وواسع علمه، وأنّه خلق السّموات والأرض، وأنّه صوّرهم فأحسن صورهم، وأنّه يعلم السّرّ والنّجوى، وحذر المشركين من كفّار مكّة على تماديهم فى الكفر، والجحود بآياته وإنكار رسالة نبيّه محمّد صلّى اللّه عليه وآله، وبيّن لهم عاقبة ما يحلّ بهم من العذاب فى الدنيا والآخرة، وضرب لهم الأمثال بالأمم المكذّبة من قبلهم. فقد كذبوا رسلهم، وتمادوا فى عنادهم، وقالوا: أيرسل اللّه من البشر رسلًا فحلّت بهم نقمة ربّهم، وأخذهم أخذ عزيز مقتدر، فأصبحت ديارهم خراباً يباباً، كأن لم يغنوا بالأمس، فهلا يكون ذلك عبرة لهم، فيثوبوا إلى رشدهم، ويرجعوا إلى ربّهم لو كانوا من أرباب النهى ... كقوم نوح و هود وصالح وغيرهم من الأمم التى أصرت على الكفر والعناد، كيف حلّ بهم عقاب ربّهم، وعظيم نقمته، وأرسل عليهم ألواناً من العذاب لا قبل لهم بها، فمن صاعقة من السماء تجتاحهم، إلى رجفة فى الأرض تهلكم، إلى صيحة تصم الآذان تبيدهم وتجعلهم كأمس الدابر، وتمحوهم من صفحة

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١٨٩

الثانى: إذا سأل سائل عن قوله تعالى «فَذاقُوا وَبالَ أَمْرِهِمْ» بأنّ «ذاقُوا» فعل ماض وقوله تعالى «وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ» شيء يأتى ولم يقع بعد، فلا يجوز عطف الشيء الآتى على الماضى، لأنّ ذوق الوبال شيء قد مضى، فلا يحسن العطف هيهنا.

قلنا: ليست هذه الواو واو العاطفة، بل واو الإستيناف بمعنى أنّه أخبرناهم بذوقهم وبال أمرهم، ثمّ استأنف وابتدأ بمعنى: ليس جزاءهم الوبال فقط، بل ولهم أيضاً عذاب أليم، أى معذّبون فى

الوجود، إلى طوفان يعمّ الأرض ويبتلعهم، وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون، وسيكون لهم عظيم النكال والوبال يوم تجزى كلّ نفس بما كسبت إنّ اللَّه سريع الحساب «١».

قال علىّ عليه السّلام: «وإنّ لكم فى القرون السالفة لعبرة، أين العمالقة وأبناء العمالقة؟ أين الفراعنة وأبناء الفراعنة؟ أين أصحاب مدائن الرّس الذين قتلوا النبيين، وأطفؤوا سنن المرسلين، وأحيوا سنن الجبّارين؟ أين الذين ساروا بالجيوش وهزموا بالألوف، وعسكروا العساكر، ومدنوا المدائن؟ «٢»

---

(١) تفسير المراغى ٢٨/ ١٢١.

(٢) نهج البلاغه، الخطبة ١٨٢.

الآخرة، وقد استفدنا أيضاً من كلمة «فَذاقُوا وَبالَ أَمْرِهِمْ» أنّ لها من البلاغة والإستعارة ما لا يخفى، فكأنّ الوبال من المطعومات فأسند إليه ما يناسبه، أعنى الذوق مثل قوله تعالى «ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ» «١».

الثالث: قوله تعالى «ذلِكَ بِأَنَّهُ كانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ » ... بيان علّة الوبال والعذاب، بمعنى أنّ هؤلاء كفروا بسبب قولهم «أَ بَشَرٌ يَهْدُونَنا» فقولهم: أبشر يهدوننا سبب كفرهم، فيريد هؤلاء أنّ الهادى لابدّ وأن يكون من غيرهم، أعنى من غير جنس البشر، وضمير الجمع فى (يهدون) راجع إلى البشر، فإنّه يطلق على الواحد والجمع، والمراد به هو الرّسل، وأفادت الآية أيضاً أنّ المواخذة تكون بعد البيّنة التى يقيمها الرّسل، حيث قال تعالى «كانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ» [١] وأفاد أيضاً منشأ كفرهم أنّهم لم يتبعوا نور العقل

[١] عن علىّ بن سويد السائى، قال: سألت العبد الصالح- موسى بن جعفر عليهما السّلام- عن قول اللَّه عز وجل «ذلِكَ بِأَنَّهُ كانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ» قال: «البينات هم الأئمّة عليهم السّلام» «٢».

---

(١) سورة الدخان، الآية: ٤٩.

(٢) تفسير البرهان ٤/ ٣٤١.

والعلم، الدّال بأنّ من يأتى بالبينات لابدّ وإن يكون حقّاً، وإلّا لم يكن يصدر خارق العادة من شخص عادى، وباطل فى دعواه، واقتفوا أثر الجهل والسفاهة، وسبب نزول العذاب إستغناء اللَّه عزّ وجل [١].

الرابع: إنّ قوله تعالى «وَاسْتَغْنَى اللَّهُ» أنّ الإستغناء لغة: بمعنى طلب الغنى، وطلب الغنى من الشخص الذى يحتاج إلى غيره، وهذا المعنى من ذات البارى تعالى محال، لعدم احتياجه إلى الناس.

فنقول: الإستغناء بمعنى ترتيب أثر تحصيل الغنى، بمعنى عدم الإعتناء وعدم النظر إليهم بدليل «وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ» فأمثال هذا كثير فى القرآن من نحو «وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا» «١»

بمعنى ترتيب أثر المجىء، لأنّ البارى تعالى ليس له جسم، إلى غير ذلك من الآيات.

[١] قال الشيخ الطوسى قدّس سرّه: إنّ اللَّه لم يدعهم إلى عبادته لحاجته إليهم، لأنّ اللَّه تعالى غنىّ عنهم وعن غيرهم، وإنّما دعاهم لما

يعود عليهم بالنفع حسب ما يقتضيه حكمه فى تدبيرهم واللَّه غنىّ عن جميع خلقه، حميد على جميع أفعاله لإنّها كلّها إحسان «٢».

---

(١) سورة الفجر الاية ٢٢

(٢) التبيان فى تفسير القرآن ٢/ ٦٨١.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١٩٢

واستفدنا من الإتيان بلفظ الجلالة والصفة المشبهة: إنّ الوصفين ثابتان له تعالى فى الأزل، فإنّ له الغنى المطلق أزلًا وأبداً من دون شائبة فقر واحتياج، وله الصفات المحمودة الأزلية والأبدية، كما أنّ ذلك كلّه يرشد إليه لفظ الجلالة، ومعناه هو الذّات المستجمع لجميع الصّفات الكماليّة والجماليّة [١] تبارك وتعالى شأنه، وقد تقدّم نظير ذلك [٢].

«زَعَمَ الَّذينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلى وَرَبّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِما عَمِلْتُمْ وَذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسيرٌ* فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذى أَنْزَلْنا وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبيرٌ».

هيهنا تحقيقات: [٣]

الأوّل: إنّ قوله «زَعَمَ» بمعنى الإعتقاد، ولفظ زَعَمَ مشترك بين الإعتقاد الذى هو مطابق للواقع، والإعتقاد الذى لا يكون مطابقاً

[١] صفات الجلال هى الصفات السلبية، مثل: لم يكن جسماً ولا ظالماً، وصفات الجمال هى الصفات الثبوتية «١».

[٢] فى سورة الجمعة، فراجع.

[٣] قال ابن كثير: هذه هى الآية الثالثة التى أمر اللَّه رسول صلّى اللَّه عليه وآله أن يقسم بربّه عزّ وجلّ على وقوع المعاد ووجوده، فالأولى

---

(١) لغتنامه دهخدا الجزء ١٠، القسم الأوّل «جلال».

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١٩٣

للواقع، وهنا عبّر به إشعاراً بأنّه ليس مطابقاً للواقع [١]. وقوله تعالى «الَّذينَ كَفَرُوا» ظاهره أنّه بيان كلّى، ويرتبط بما قبله لأنّه من صغرياته، ويستفاد منه إنّ عمدة منشأ التّولى والإعراض عن الرّسل، هو زعمهم عدم البعث واعتقادهم بعدم الجزاء بعد الممات، وإلّا فلو كانوا يحتملون ذلك لدعاهم دفع الضرر المحتمل إلى الخضوع للرسل والنظر، فيقول اللَّه عزّ وجلّ: «قُلْ بَلى وَرَبّى لَتُبْعَثُنَّ» جىء بلام القسم ونون التأكيد، لتأكيد الكلام فى هذا المقام

فى سورة يونس «وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَ حَقٌّ هُوَ قُلْ إىوَرَبّى إِنَّهُ لَحَقٌّ وَما أَنْتُمْ بِمُعْجِزينَ» «١»

، والثانية فى سورة سبأ «وَقالَ الَّذينَ كَفَرُوا لاتَأْتينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلى وَرَبّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ» «٢»

الآية، والثالثة هى هذه «زَعَمَ الَّذينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلى وَرَبّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِما عَمِلْتُمْ وَذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسيرٌ» «٣» «۴».

[١] قال الرّاغب: الزعم حكاية قول يكون مظنة للكذب، ولهذا جاء فى القرآن فى كلّ موضع ذمّ القائلون به نحو: زعم الذين كفروا- بل

---

(١) سورة يونس، الآية: ٥٣.

(٢) سورة سبأ، الآية: ٣.

(٣) سورة التغابن، الآية: ٧.

(۴) تفسير القرآن الكريم ۴/ ٣٧۴.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١٩۴

ردّاً لهم، بمعنى: لا بدّ وأن تبعثوا [١].

والثانى: قوله تعالى «ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ» إشارة إلى أنّه لا يكون لكم البعثة فقط، بل لتنبئونّ بما عملتم وتجزون به [٢].

والثالث: قوله تعالى «وَذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسيرٌ» أى سهل، بمعنى أنّ اللَّه خلق الأشياء التى لم تكن موجودة، فكيف لا يقدر على إعادتها؟ أى إعادة الشيء الذى كان موجوداً وبعد ذلك صار معدوماً، بمثل قوله «وَهُوَ الَّذى يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ» «١» . فاللَّه الذى خلق الأشياء من العدم أيسر له أن يخلق المعدوم الذى كان،

زعمتم- كنتم تزعمون- زعمتم من دونه «٢».

[١] إن سئلنا: كيف يفيد القسم فى إخباره عن البعث، وهم قد أنكروا رسالته صلّى اللَّه عليه وآله، قلنا: وإن أنكروا رسالته، لكنّهم كانوا يعتقدون بأنّه صادق أمين، وإن الرائد لا يكذب أهله.

[٢] قال العلّامة الطباطبائى: وثمّ فى «ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ» للتراخى بحسب رتبة الكلام، وفى الجملة إشارة إلى غاية البعث وهو الحساب «٣».

---

(١)

سورة الرّوم، الآية: ٢٧.

(٢) المفردات: ٢١٣.

(٣) الميزان فى تفسير القرآن ١٩/ ٢۴٧.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١٩۵

وهذه الكلمة برهان على ردّ ما زعموه.

ومنها يستفاد أيضاً منشأ زعمهم ذلك، حيث إنّهم يزعمون عدم إمكان البعث، لأنّه قد صارت العظام رميماً، فكيف تحيى وتعود؟ فيجاب عنهم بأنّ اللَّه المستجمع لجميع الصفات. ومنها القدرة الكاملة التامة، يسير لديه ذلك، فكان البعث ممكناً بالنظر إلى قدرة اللَّه تعالى، وهذا المقدار من الإمكان الوقوعى كافٍ فى الإرتداع من التولّى والكفر، وفى الإنقياد للرّسل والنظر فى البيّنات، فإنّ بالإلتفات إلى إمكانه، ينقدح احتمال الضرر ويوجب الخوف.

مضافاً إلى أنّ العاقل إن التفت إلى مفاد كلمة (اللَّه)، أعنى الإستجماع لجميع الصفات الكماليّة الّتى منها الحكمة، يرى أنّه لا بدّ من البعث حتّى يعطى لكلّ ذى حقّ حقّه من النعيم، والإحسان للمحسن، والإنتصار للمظلوم، ومن العذاب والمجازاة للمسيء والظالم بعد أن ينبأ بما عمل حتّى لا يبقى له حجّة، وغير ذلك [١].

[١] قال العلّامة الطباطبائى: إنّ التصريح باسم الجلالة فى الجملة أعنى قوله: «وَذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسيرٌ» للايماء إلى التعليل، والمفاد أنّ ذلك يسير عليه تعالى لأنّه اللَّه، والكلام حجّة برهانيّة لا دعوى مجردة «١».

---

(١) الميزان فى تفسير القرآن ١٩/ ٣۴٧.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١٩۶

والرابع: قوله تعالى «فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذى أَنْزَلْنا» فآمنوا، أمر للناس بالإيمان تفريعاً لما سبق [١]. فكأنّ المعنى: أنّه لما رأيتم حال الكفّار، ووبال أمرهم، وحصل لكم الإلتفات إلى البعث، فآمنوا باللَّه ورسوله والنور الذى أنزلنا [٢].

فإن قلت: ما معنى النور هنا؟

[١] قال المراغى: بعد أن أبان لهم أدلّة التّوحيد والنّبوة بما لا مجال معه للإنكار، طالبهم بالإيمان بهما، فقال: «فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ

وَالنُّورِ الَّذى أَنْزَلْنا» أى فصدقوا باللَّه ورسوله وكتابه الهادى لكم إلى سواء السبيل إذا تراكمت ظلمات الشبهات، والمنقذ لكم من الضلالة إذا أحاطت بكم الخطيئات «١».

[٢] إلتفات من الغيبة إلى التكلم مع الغير، ولعلّ النكتة فيه تتميم الحجّة بالسلوك من طريق الشهادة، وهى أقطع للعذر، فكم فرق بين قولنا: والنور الذى أنزل وهو إخبار، وقوله: (والنور الذى أنزلنا) ففيه شهادة منه تعالى على أنّ القرآن كتاب سماوى، نازل من عنده تعالى، والشهادة آكد من الأخبار المجردة «٢».

---

(١) تفسير المراغى ٢٨/ ١٢٤.

(٢) الميزان فى تفسير القرآن ١٩/ ٣٤٧.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١٩٧

قلنا: قد ذكر المفسّرون أن النّور بمعنى القرآن [١]. وقد ورد فى الرواية أنّ النّور هنا أريد به علىّ بن أبى طالب عليه السّلام والأئمة من ولده، ولا منافاة بينهما لأنّ القرآن إمام صامت، والأئمّة عليهم السّلام قرآن ناطق. «وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» [٢]

[١] روى السيوطى، إنّ اللَّه سمّى القرآن بخمسة وخمسين إسماً، سمّاه كتاباً ومبيناً فى قوله «حم* وَالْكِتابِ الْمُبِينِ» «١»

وقرآناً وكريماً فى قوله «إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ» «٢»

وكلاماً «حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ» «٣»

ونوراً «وَأَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا» «٤»

. وقال: وأمّا النور، فلأنّه يدرك به الغوامض من الحلال والحرام «٥».

[٢] تارة قال عز من قائل (واللَّه بما تعملون بصير) وتارة قال (واللَّه بما تعملون خبير)، والمعنى فى الأوّل إن اللَّه تبارك وتعالى بصير بمن هو قابل ومستعدّ للهداية والإيمان من الكفّار، وفى الثانى أنّه تعالى

---

(١) سورة الدخان، الآية: ١.

(٢) سورة الواقعة، الآية: ٧٧.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٦.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٧٤.

(٥) الإتقان ١/ ١٤١- ١٤٥.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١٩٨

خبير وعليم بالبواطن، هل آمنوا بألسنتهم فقط ليحقنوا به دماءهم أو قوله تعالى: «يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذلِكَ يَوْمُ التَّغابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدينَ فيها أَبَدًا ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظيمُ* وَالَّذينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآياتِنا أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ خالِدينَ فيها وَبِئْسَ الْمَصيرُ».

فهنا تحقيقاتٌ:

الأوّل: إنّ الظاهر تعلّق ظرف الزمان «يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ» بالجملة المتّصلة به وهى قوله «وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبيرٌ» كما يقال: إنّ الحاكم مطّلع على ما ارتكبوه من الجرائم يوم يدعوهم إلى المجازاة، أو إنّ المعلّم مطّلع على ما صنعه الأطفال فى الجمعة يوم يأتون إليه فى سبتهم، أو إنّ ربّ البيت بصيرٌ وخبير بحال الضيوف يوم يأتون للضيافة، إلى غير ذلك [١]، فيكون المعنى: واللَّه بما تعملون ذا خبرة وإطّلاع يوم يجمعكم ... وما ذكر أولى من تعلّقه بما سبق من قوله

آمنوا بألسنتهم وقلوبهم؟

[١] قال الطّبرسى قدّس سرّه: البعث والجزاء يكونان فى يوم يجمع فيه خلق الأوّلين والآخرين «١». وقال الحوفى: (يوم) ظرف لخبير، وهو عند غير واحد من الأجلّة بمعنى مجازيكم، فيتضمّن

---

(١) مجمع البيان ١٠/ ٣١.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ١٩٩

تعالى «وَلَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ»، فإنّه مع بعده بفواصل، لا يناسبه تمام المناسبة ما يتلوه من قوله «وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآياتِنا » ... فإنّه قد فهم من قوله «وَلَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ». وأمّا لو تعلّق بجملة «وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ» فيكون المعنى: أنّ اللَّه بما تعملون ذا خبرة وإطّلاع، فيكفّر سيئات من آمن وعمل صالحاً ويدخله الجنّات، ومن كفر وكذّب بالآيات فهو من أصحاب النّار.

وما ذكرناه وإن كان على خلاف ما نقل فى التفاسير، لكنّه أظهر وأبين.

الثانى: تغيير السياق بين الآيتين، فإنّ فى الأولى أوتى بالجملة الفعليّة فقال: «وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئاتِهِ»، وفى الوعد والعيد «١».

وقال العلّامة الطباطبائى: (يوم) ظرف لقوله السابق «لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ ...» والمراد بيوم الجمع يوم القيامة الذى يجمع فيه الناس لفصل القضاء بينهم، قال تعالى «وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْناهُمْ جَمْعًا» «٢»

، وقد تكرّر فى القرآن الكريم حديث الجمع ليوم القيامة «٣».

---

(١) روح المعانى/ تفسير الآلوسى ٢٨/ ١٢٣.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٩٩.

(٣) الميزان فى تفسير القرآن ١٩/ ٣٤٩.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٢٠٠

الثانية أوتى بالجملة الاسميّة فقال: «وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآياتِنا أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ».

ولعلّ النكتة فى ذلك، إنّ الخير مطلقاً ينسب إليه تعالى، والشرّ مطلقاً ينسب إلى المخلوق، كما هو مفاد قوله تعالى «ما أَصابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَما أَصابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ» «١»

، وكما فى الحديث القدسى «أنا أولى بحسناتك منك، وأنت أولى بسيئاتك منّى» «٢»، فكما أنّ هذا الإسناد بالنسبة إلى الأعمال الحسنة والسيّئة، كذلك يكون بالنسبة إلى الجزاء.

الثالث: إنّ قوله تعالى «يَوْمُ التَّغابُنِ» [١] أى اليوم الّذى يتغابن فيه النّاس، بمعنى يعطى الكفّار سهم أهل الجنة من النّار، ويعطى المؤمنون سهم أهل النّار من الجنّة، كأنّهم يتوارثون. بدليل الكتاب والسنّة، أمّا الكتاب، فقوله تعالى «الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيها خالِدُونَ» «٣».

---

(١)

سورة النساء، الآية: ٧٩.

(٢) التوحيد: ٣٣٨، وتفسير الصافى ١/ ٤٧٣.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ١١.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٢٠١

[١] قال محمّد عزّة: التّغابن من الغبن، وهو بيع شيء بأعلى من

قيمته بالتغيّر، والقصد من الكلمة هو أنّ يوم القيامة هو اليوم الذى يظهر فيه المغبون فى الدنيا، الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما ربحت تجارتهم «١».

وقال الراغب: يوم التّغابن، يوم القيامة، لظهور الغبن فى المبايعة، والمشار إليها بقوله «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرى نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ» «٢»

وبقوله «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» «٣»

الآية وبقوله «الَّذينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمانِهِمْ ثَمَنًا قَليلًا» «٤»

فعلموا أنّهم غبنوا فيما تركوا من المبايعة وفيما تعاطوه من ذلك جميعاً «٥».

وعن حفص بن غياث عن أبى عبداللَّه (الصّادق) عليه السّلام قال:

«يوم التّلاق» يوم تلتقى أهل السماء والأرض، و «يوم التناد، يوم ينادى أهل النار أهل الجنة «أَفيضُوا عَلَيْنا مِنَ الْماءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ»، ويوم

---

(١) التفسير الحديث ٩/ ١٥٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٠٧.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١١١.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٧٧.

(٥) المفردات فى غريب القرآن: ٢٥٧.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٢٠٢

وأمّا السنّة، فما رواه على بن إبراهيم القمى عن الصّادق عليه السّلام قال: «ما خلق اللَّه خلقاً إلّاجعل له فى الجنّة منزلًا وفى النّار منزلًا، فإذا دخل أهل الجنّة الجنّة، وأهل النّار النّار، نادى منادٍ: يا أهل الجنّة أشرفوا فيشرفون على أهل النار وترفع لهم منازلهم فيها، ثمّ يقال لهم: هذه منازلكم التى لو عصيتم اللَّه لدخلتموها، يعنى النّار، قال: فلو أنّ أحداً مات فرحاً لمات أهل الجنّة فى ذلك اليوم فرحاً لما صرف عنهم من العذاب، ثمّ ينادى منادٍ، يا أهل النّار: إرفعوا رأسكم فيرفعون رؤوسهم، فينظرون منازلهم فى الجنّة وما فيها من النعيم، فيقال لهم: هذه منازلكم التى لو أطعتم ربّكم لدخلتموها، قال: فلو أنّ أحداً مات حزناً لمات أهل النّار حزناً، فيورث هؤلاء منازل هؤلاء ويورث هؤلاء منازل هؤلاء، وذلك قول اللَّه عزّ وجلّ «أُولئِكَ هُمُ الْوارِثُونَ* الَّذينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فيها خالِدُونَ»» «١».

وفى (المجمع) عن النّبى صلّى اللَّه عليه وآله قال: «ما منكم من

التغابن، يوم يغبن أهل الجنّة أهل النّار، ويوم الحشر، يوم يؤتى بالموت فيذبح «٢».

---

(١) تفسير القمى ٢/ ٨٩.

(٢) تفسير البرهان ۴/ ٣۴٢.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٢٠٣

أحدٍ إلّاله منزلان، منزلٌ فى الجنّة ومنزل فى النّار، فإن مات ودخل النار ورث أهل الجنّة منزله» «١» [١] إنتهى.

هذا وجه تسمية يوم التغابن، ويفسّره ما بعده وهو قوله تعالى:

«وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ » ... والآية «وَالَّذينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا [...» ٢].

[١] عن النّبى صلّى اللَّه عليه وآله: «ما من عبدٍ يدخل الجنة إلّاأرى مقعده من النار لو أساء، ليزداد شكراً، وما من عبدٍ يدخل النار إلّاأرى مقعده من الجنة ليزداد حسرة» وهو معنى قوله «ذلِكَ يَوْمُ التَّغابُنِ» «٢».

[٢] قال الفخر الرازى: فى الآية مباحث:

الأوّل: قال «فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ» بطريق الإضافة، ولم يقل ونوره الذى أنزلنا بطريق الإضافة، مع أنّ النور ههنا هو القرآن، والقرآن فى كلامه مضاف إليه؟

نقول: الألف واللام فى النور بمعنى الإضافة، كأنّه قال ورسوله ونوره الذى أنزلناه.

الثانى: بِمَ انتصب الظرف؟

نقول: قال الزجّاج بقوله (لتبعثن)، وفى الكشاف بقوله: (لتنبئون)،

---

(١) مجمع البيان ٧/ ١٧٨.

(٢) مجمع البحرين كلمة «غَبَنَ» ٣/ ٢٩٢.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٢٠٤

قوله تعالى: «ما أَصابَ مِنْ مُصيبَةٍ إِلّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَليمٌ* وَأَطيعُوا اللَّهَ وَأَطيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّما عَلى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبينُ* اللَّهُ لاإِلهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ» [١].

أو بخبير لما فيه من معنى الوعيد، كأنّه قيل: واللَّه معاقبكم يوم يجمعكم، أو بإضمار أذكر.

الثالث: قال تعالى فى الإيمان (ومن يؤمن باللَّه) بلفظ المستقبل، وفى الكفر وقال (والذين كفروا) بلفظ الماضى، فنقول: تقدير الكلام: ومن يؤمن باللَّه من الذين كفروا وكذّبوا بآياتنا يدخله جنّات، ومن لم يؤمن منهم أولئك أصحاب النّار.

الرابع: قال تعالى (ومن يؤمن) بلفظ الواحد و (خالدين فيها) بلفظ الجمع.

نقول: ذلك بحسب اللفظ وهذا بحسب المعنى.

الخامس: ما الحكمة فى قوله (وبئس المصير) بعد قوله (خالدين فيها) وذلك بئس المصير، فنقول: ذلك وإن كان فى معناه فلا يدلّ عليه بطريق التصريح، فالتصريح ممّا يؤكده «١».

[١] قال العلّامة الطباطبائى: شروع فى ما هو الغرض من السورة

---

(١) التفسير الكبير ٣٠/ ٢٥.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٢٠٥

فهنا مباحث:

الأوّل: ربط هذه الآية بما قبلها. والظاهر أنه من حيث أنّه لما ذكر حال الكفّار وسوء حالهم فى الآيات السّابقة، فى قوله تعالى «فَذاقُوا وَبالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذابٌ أَليمٌ»، والآية «وَالَّذينَ كَفَرُوا»، ذكر هذه الآية «ما أَصابَ مِنْ مُصيبَةٍ» [١] أى: فذوقوا الوبال والعذاب الأليم والخلود فى النّار، كلّ ذلك فرد من أفراد المصيبة، وبعد ذلك ذكر سبحانه بأنّ الإيمان يهدى الإنسان ويحفظه، والإيمان حائل بين الإنسان وبين المصيبة.

بعد ما مرّ من التمهيد والتوطئة، وهو الندب إلى الإنفاق فى سبيل اللَّه والصّبر على ما يصيبهم من المصائب فى خلال المجاهدة فى اللَّه سبحانه، وقدم ذكر المصيبة والإشارة إلى الصّبر إليها، ليصفو المقام لما سيندب إليه من الإنفاق وينقطع العذر «١».

[١] قال المراغى: ما أصاب أحداً من خيرات الدنيا ولذّاتها، أو رزاياها وشرورها، فهو بقضاء اللّه وقدره بحسب ما وضع من السنن فى نظم الكون، فعلى المرء أن يعمل ويجد ويسعى لجلب الخير ودفع الضرّ عن نفسه أو عن غيره ما استطاع إلى ذلك سبيلا».

---

(١) الميزان فى تفسير القرآن ١٩/ ٣٥١.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٢٠۶

الثانى: قوله تعالى «إِلّا بِإِذْنِ اللَّهِ» بمعنى أنّ كلّ شىء يصيب الإنسان هو بإذن اللّه [١]، والإذن هنا بالمعنى التكوينى لا التشريعى، فإنّ الإذن على قسمين: تكوينى وتشريعى.

ثمّ هو لا يحزن ولا يغتم لما يصيبه بعد ذلك، لأنّه قد فعل ما هو فى طاقته وما هو داخل فى مقدوره، وما بعد ذلك فليس له من أمره شىء.

والخلاصة: إنّ على المؤمن واجبين: (١) السعى وبذل الجهد فى جلب الخير ودفع الضرّ ما استطاع إلى ذلك سبيلًا.

(٢) التّوكل على اللّه بعد ذلك، إعتقاداً منه إنّ كلّ شىءٍ يحدث، فإنّما هو بقضائه وقدره، فلا يغتم ولا يحزن لدى حلول الشر، ولا يتمادى فى السرور عند مجيىء الخير «١».

[١] قال محمّد عزّة: قد انطوى فى الإيذان معنى الإنذار، كما هو المتبادر أيضاً «٢».

وقال الشيخ الطّوسى قدّس سرّه: ويجوز أن يكون المراد بالإذن هاهنا العلم، فكأنّه قال: لا يصيبكم مصيبة إلّاواللّه عالم بها «٣».

---

(١) تفسير المراغى ٢٨/ ١٢۶.

(٢) التفسير الحديث ٩/ ١۶١.

(٣) التبيان فى تفسير القرآن ٢/ ۶٨٢.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٢٠٧

وقال العلّامة الطباطبائى: الإذن، الإعلام بالرّخصة وعدم المانع ويلازم علم الآذن بما أذن فيه، وليس هو العلم كما قيل، فظهر بما تقدّم:

أوّلًا: أنّ إذنه تعالى فى عمل سبب من الأسباب هو التخلية بينه وبين مسبّبه برفع الموانع التى تتخلّل بينه وبين مسبّبه، فلا تدعه يفعل فيه ما يقتضيه بسببيّته، كالنّار تقتضى إحراق القطن مثلًا لولا الفصل بينهما والرطوبة، فرفع الفصل بينهما والرطوبة من القطن مع العلم بذلك إذن فى عمل النار فى القطن بما تقتضيه ذاتها أعنى الإحراق.

وقد كان إستعمال الإذن فى العرف العامّ مختصّاً بما إذا كان المأذون له من العقلاء لمكان أخذ معنى الأعلام فى مفهومه فيقال: أذنت لفلان أن يفعل كذا ولا يقال: أذنت للنار أن تحرق، ولا أذنت للفرس أن يعدّ، ولكن القران الكريم يستعمله فيما يعمّ العقلاء وغيرهم بالتحليل كقوله: «وَما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلّا لِيُطاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ» «١»

وقوله:

«وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَباتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ» «٢»

، ولا يبعد أن يكون هذا

---

(١) سورة النساء، الآية: ۴۴.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ۵٨.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٢٠٨

التعميم مبتيّاً على ما يفيده القرآن من سريان العلم والإدراك فى
الموجودات كما قدّمناه فى تفسير قوله «قالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذى أَنْطَقَ كُلَّ شَىْءٍ» «١».

وكيف كان، فلا يتمّ عمل من عامل ولا تأثير من مؤثّر إلّاباذن من اللَّه سبحانه، فما كان من الأسباب غير تامّ له موانع لو تحققت منعت من تأثيره، فإذنه تعالى له فى أن يؤثّر رفعه الموانع، وما كان منها تامّاً لا مانع له يمنعه، فإذنه له عدم جعله له شيئاً من الموانع، فتأثيره يصاحب الإذن من غير انفكاك.

وثانياً: إنّ المصائب، وهى الحوادث التى تصيب الإنسان فتؤثر فيه آثاراً سيئة مكروهة، إنّما تقع بإذن من اللَّه سبحانه، كما أنّ الحسنات كذلك، لإستيعاب إذنه تعالى صدور كلّ أثر من كلّ مؤثّر.

وثالثاً: إنّ هذا الإذن، إذن تكوينى غير الإذن التشريعى الذى هو رفع الحظر عن الفعل، فإصابة المصيبة تصاحب إذناً من اللَّه فى وقوعها وإن كانت من الظلم الممنوع، فإنّ كون الظلم ممنوعاً غير مأذون فيه إنّما هو من جهة التشريع دون التكوين، ولذا كانت بعض المصائب غير

---

(١) سورة حم السجدة، الآية: ٢١.

فالإذن التشريعى: هو أن يأذن بشىء كأن تقول مثلًا: قد أذنت لك أن تفعل هذا الشىء.

والإذن التكوينى: هو إيجاد أسباب الفعل وعدم منعها عن مقتضياتها، مع العلم بها وبأحوالها، فمن أرسل دابته مثلًا مع علمه بأنّها تذهب إلى الزرع وتأكله ولم يمنعها ولم يقيدها، بل جعلها مرسلة، ولم يمسك بلجامها، مع تمكنه من ذلك كلّه وعلمه بما يفعل، فكأنّه أذن لها فى أكل الزرع إذناً عملياً.

والإذن فى المقام من قبيل الثانى، أىقضاء اللَّه وقدره [١].

جائزة الصبر عليها، ولا مأذوناً فى تحمّلها، ويجب على الإنسان أن يقاومها ما استطاع، كالمظالم المتعلقة بالأعراض والنفوس.

ومن هنا يظهر، أنّ المصائب التى ندب إلى الصبر عندها هى التى لم يؤمر المصاب عندها بالذب والإمتناع عن تحملها، كالمصائب العامة الكونية من موت ومرض ممّا لا شأن لإختيار الإنسان فيها. وأمّا ما للإختيار فيها دخل، كالمظالم المتعلقة نوع تعلق بالإختيار، من المظالم المتوجهة إلى الأعراض، فللإنسان أن يتوقاها ما استطاع «١».

[١] الإذن التكوينى، هو الإرادة التكوينية، والإذن التشريعى من

---

(١) الميزان فى تفسير القرآن ١٩/ ٣٥٢.

الثالث: قوله «وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ» يستفاد منه [١] أنّ بالإيمان يهتدى القلب بهدايته سبحانه وينجو من المصائب، ولا تتوجّه إليه تبعات الضلالة التى هى أعظم المصائب. وهذه الجملة بمنزلة الأمر كأنّه قال: وآمنوا باللَّه حتى يهديكم اللَّه.

سنخ الإرادة التشريعية التى إذا تعلقت بشىء كان محتماً أن يوجد، لا تتعلق بأفعالنا الإختيارية وإن كانت جميع أفعالنا خاضعة لإرادته التشريعية من حيث ترتّب المسئوليّة عليها، إذن. للَّه إرادتان: الإرادة التكوينية: وهى تلك المشيئة التى إذا تعلقت بواقعة كان من المستحيل تخلفها عنها. والإرادة التشريعية: وهذه تصلنا عن طريق الأنبياء عليهم السّلام الذين هم سفراء اللَّه إلينا، إنّهم يوصلون إرادة اللَّه التشريعية بصورة الأوامر والنواهى، والإرادة التشريعية لا توجد إجباراً فى متعلّقها مطلقاً «١».

[١] قال علىّ بن إبراهيم القمى: أىيصدق اللَّه فى قلبه، فإذا بين اللَّه له إختار الهدى ويزيده اللَّه، كما قال «وَالَّذينَ اهْتَدَوْا

(١) أنظر فى ذلك شرح أصول الكافى للعلّامة الطباطبائى باب المشيئة والإرادة، حديث ۴، وشرح أصول الكافى للشيخ صالح المازندرانى مع حواشى الشعرانى ۴/ ٣۶١.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٢١١

زادَهُمْ هُدًى» «١» «٢».

وقال الطّبرسى: من يؤمن باللَّه عند النعمة، فيعلم أنّها فضل من اللَّه يهد قلبه للشكر، ومن يؤمن باللَّه عند البلاء، فيعلم أنّه عدل من اللَّه يهد قلبه للصبر، ومن يؤمن باللَّه عند نزول القضاء يهد قلبه للإستسلام والرضا «٣».

وقال الطنطاوى: من الحكماء وأرباب البصائر من يعرفون سرّ هذا الإختلاف، وإنّ وجود الحنظل والبطيخ، والبقة والفيل، والحرّ والبرد، والمرّ والحلو، مشابهات تمام المشابهة لما فى العقول من كفر وإيمان، وخير وشرّ، وجهل وعلم، وإنّ النظام فى الحالين واحد، ولكنّهم لا يريدون أن يذكروا الحقائق التى عرفوها، لأنّ جمهور النوع الإنسانى غير كفوء لفهم هذه الحقائق، فلذلك يكتمونها «۴».

وقال المراغى: «يَهْدِ قَلْبَهُ» أى يشرح صدره، لازدياد الخير

(١) سورة محمّد، الآية: ١٧.

(٢) تفسير القمى ٢/ ٣٧٢.

(٣) مجمع البيان ١٠/ ٣٣.

(۴) تفسير الجواهر ٢۴/

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٢١٢

«وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» أى عالم بما فى القلوب، بمعنى يعلم أىّ شخص آمن باللَّه حقيقةً، أو لم يؤمن حقيقةً، وعالم بمقتضيات المصائب وبموانعها ودوافعها [١].

والمضى قدماً فى طاعة اللَّه، وأىّ نعمة أعظم من هذه النعمة؟ جدّ فى عمل الخير، واستراحة لدى الغم والحزن، وإطمئنان للنفس، ووثوق بفضل اللَّه «١».

وقال العلّامة الطباطبائى: فالإذعان بكونه تعالى هو اللَّه، يستعقب إهتداء النفس إلى هذه الحقائق وإطمئنان القلب وسكونه وعدم اضطرابه وقلقه من جهة تعلقه بالإسباب الظاهرية، وإسناده المصائب والنوائب المرة إليها دون اللَّه سبحانه، وهذا معنى قوله تعالى «وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ» «٢».

[١] قال ابن عباس «وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ» يصيبكم من المصيبة وغيرها «عَلِيمٌ» «٣».

وقال الطّبرى: واللَّه بكلّ شىء ذو علم بما كان ويكون وما هو كائن

(١) تفسير المراغى ٢٨/ ١٢٧.

(٢) الميزان فى تفسير القرآن ١٩/ ٣٠۴.

(٣) تنوير المقباس من تفسير ابن عبّاس، الفيروزآبادى: ۴٧۴.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٢١٣

الرابع: «وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ» هو بمثابة العطف على الأمر بالإيمان المستفاد من سابقه، فإنّه قال: آمنوا باللَّه وأطيعوا، وقد ذكرنا أنّ جملة «وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ» يستفاد منها: إنّها خبريّة

من قبل أن يكون «١».

وقال الفيض الكاشانى: «وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» حتّى القلوب وأحوالها «٢».

وقال المراغى: واللَّه عليم بالأشياء كلّها، فهو عليم بالقلوب وأحوالها ومطّلع على سرّها ونجواها، فاحذروه وراقبوه فى السرّ والعلن، كما جاء فى الأثر «اعبد اللَّه كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك» «٣».

وقال العلّامة الطباطبائى: تأكيد للإستثناء المتقدّم، ويمكن أن يكون إشارة إلى ما يفيده، قوله: «ما أَصابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا فى أَنْفُسِكُمْ إِلّا فى كِتابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها» «٤» «٥».

---

(١) جامع البيان ٢٨/ ١٥٧.

(٢) التفسير الصافى ٧/ ٢١٠.

(٣) تفسير المراغى ٢٨/ ١٢٧.

(٤) سورة الحديد، الآية: ٢٢.

(٥) الميزان فى تفسير القرآن ١٩/ ٣٠٥.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٢١٤

مستعملة فى مقام الإنشاء والحثّ والترغيب، كما يقال: من صلّى كذا فله كذا، ومن تصدّق فله كذا، إلى غير ذلك من الجمل الخبرية المتضمنة للخواص والآثار المستعملة فى مقام الترغيب والحثّ على العمل، فقوله: «وَأَطِيعُوا» بمثابة العطف على الآية السابقة، وحثّ على الإطاعة، كما إنّ تلك الآية حثّ على الإيمان.

ويستفاد منها: إنّ مجرد الإيمان لا يكفى، بل لا بدّ من الإطاعة للَّه وللرّسول، مضافاً إلى أنّ حقيقة الإيمان لا تثبت إلّابها [١].

[١] قال الآلوسى: كرّر الأمر «وَأَطِيعُوا» للتأكيد والإيذان بالفرق بين الإطاعتين فى الكيفية «١».

قال العلّامة الطباطبائى: ظاهر تكرار «وَأَطِيعُوا» دون أن يقال:

أطيعوا اللَّه والرّسول، إختلاف المراد بالإطاعة فالمراد بإطاعة اللَّه تعالى، الإنقياد له فيما شرعه لهم من شرائع الدين، والمراد بإطاعة الرّسول، الإنقياد له وإمتثال ما يأمر به بحسب ولايته للأمّة على ما جعلها اللَّه له «٢».

وقال الشيخ محمود شلتوت: أمرهم بطاعة اللَّه ورسوله فيما بلّغهم الرسول عن ربّه «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ»

---

(١) روح المعانى ٢٨/ ١٢٥.

(٢) الميزان فى تفسير القرآن ١٩/ ٣٠٥.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٢١٥

«فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ» أى أعرضتم عن الحقّ «فَإِنَّما عَلى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ» [١] بمعنى أنّ إعراضكم لا يضرّ النّبى صلّى اللَّه عليه وآله بل ضرره على أنفسكم، فالنّبى صلّى اللَّه عليه وآله مكلّف بالإبلاغ.

قوله: «الْمُبِينِ» بيان للبلاغ، لأنّ البلاغ على قسمين: مبين وغير مبين، ووظيفة النّبى البلاغ المبين أى الواضح.

الخامس: قوله تعالى «لا إِلهَ إِلّا هُوَ» يستفاد منه علّة إناطة جميع المصائب بإذن اللَّه تعالى، فكأنّه جواب عن سؤال مقدّر: لماذا كان كذلك؟

والطاعة هى العنصر المحقق لفائدة التشريع، وهى العنوان الصّادق على الإيمان الحقّ، والإيمان الذى يفقد عنوان العمل تعوزه الحجّة والبرهان، وهو بعد عرضة للضعف والزوال، ويقرب بصاحبه إلى الكفر والنفاق، ومن هنا جاء النهى عن الإعراض والتولّى مؤكّداً للأمر

بالطاعة «١».

[١] قال العلّامة الطباطبائى: ولما تقدّم من رجوع طاعة الرسول إلى طاعة اللَّه، إلتفت من الغيبة إلى الخطاب فى قوله: «رَسُولُنا» وفيه مع ذلك شىء من شائبة التهديد «٢».

---

(١) تفسير القرآن الكريم: ٥٧۶.

(٢) الميزان فى تفسير القرآن ١٩/ ٣٠٥- ٣٠۶.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٢١۶

والجواب: إنّ «اللَّهُ لاإِلهَ إِلّا هُوَ، ...» لأنّ الألوهية منحصرة فى اللَّه، وكلّ شىء مخلوق منه، وتحت إرادته تبارك وتعالى [١] ولمّا كان الأمر كذلك، فلا مجال لأن يعتمد الإنسان على قواه وتدابيره.

بل، «وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ» «١»

بمعنى يفوّضون أمورهم إليه [٢].

[١] قال الآلوسى: تعليل للجواب المحذوف أقيم مقامه، أى فلا بأس عليه إذ ما عليه إلّاالتبليغ المبين، وقد فعل ذلك بما لا مزيد عليه، وإظهار الرسول مضافاً إلى نون العظمة فى مقام إضماره لتشريفه عليه الصّلاة والسّلام والإشعار بمدار الحكم الذى هو كون وظيفته صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم محض البلاغ، ولزيادة تشنيع التولى عنه والحصر فى الكلام إضافى «٢».

[٢] قال الشيخ محمود شلتوت: التّوكل على اللَّه وحده، والتّوكل أعلى مقامات التوحيد وأنّ من مقتضيات الإيمان بأنّ اللَّه هو المدبر للأمور، التّوكل عليه فى كلّ ما يحتاج إليه المؤمن فيما وراء مقدوره،

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٢٢ و ١۶٠، وسورة المائدة، الآية ١١، وسورة التوبة، الآية ۵١.

(٢) روح المعانى ٢٨/ ١٢۵.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٢١٧

وليس من متناول التّوكل ترك الأسباب وتنكب سنن اللَّه فى الخلق،

فمن يترك الطعام والشراب باسم التّوكل على اللَّه فى حفظ حياته، فهو جاهل باللَّه، ومن يترك العمل للحصول على الرزق وما به قوت أولاده باسم التّوكل على اللَّه، فهو جاهل باللَّه، ومن يترك إعداد العدّة للدفاع عن الأوطان وإعلاء كلمة اللَّه باسم التّوكل على اللَّه وباسم أنّ اللَّه يدافع عن الذين آمنوا، فهو جاهل باللَّه «١».

وقال العلّامة الطباطبائى: تأكيداً لمعنى الجملة السابقة أعنى قوله: «اللَّهُ لاإِلهَ إِلّا هُوَ»، توضيحه: أنّ التوكيل إقامة الإنسان غيره مقام نفسه فى إرادة أموره، ولازم ذلك قيام إرادته مقام إرادة موكّله، وفعله مقام فعله فينطبق بوجه على الإطاعة، فإنّ المطيع يجعل إرادته وعمله تبعاً لإرادة المطاع، فتقوم إرادة المطاع مقام إرادته ويعود عمله متعلّقاً لإرادة المطاع، صادراً منها إعتباراً، فترجع الإطاعة توكيلًا بوجه، كما أنّ التوكيل إطاعة بوجه، فإطاعة العبد لربّه إتباع إرادته لإرادة ربّه والإتيان بالفعل على هذا النمط، وبعبارة أخرى إيثار إرادته وما يتعلّق بها من العمل على إرادة نفسه وما يتعلّق بها من العمل، فطاعته تعالى فيما شرّع لعباده وما يتعلّق بها نوع تعلّق من التوكّل عليه، وطاعته واجبة لمن عرفه وآمن به،

---

(١) تفسير القرآن الكريم: ٥٧٢.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٢١٨

قوله تعالى: «يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْواجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحيمٌ* إِنَّما أَمْوالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظيمٌ* فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ* إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَليمٌ* عالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ الْعَزيزُ الْحَكيمُ».

يستفاد من هذه الآيات أمور:

الأوّل: قوله تعالى «يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا» ... بيان بعض المصائب وبيان منشأ المصيبة، بمعنى أنّه تعالى يذكر الإنسان بأنّ بعض الأزواج والأولاد عدوّ للإنسان، فهذا من المصائب، ولفظ (من) هنا للتبعيض، بمعنى أنّهم يشغلونكم ويمنعونكم عن طاعة اللّه عزّ وجلّ، فاحذروا منهم [١].

فعلى اللّه فليتوكّل المؤمنون، وإيّاه فليطيعوا، وأمّا من لم يعرفه ولم يؤمن، فلا تتحقق منه طاعة، وقد بان بما تقدّم، أنّ الإيمان والعمل الصالح نوع من التّوكّل على اللّه تعالى «١».

[١] عن ابن عباس، قالوا لهم: صبرنا على إسلامكم فلا صبر لنا

---

(١) الميزان فى تفسير القرآن ١٩/ ٣٥٥.

على فراقكم فأطاعوهم وتركوا الهجرة فقال اللّه تعالى (فاحذروهم) أى أن تطيعوهم وتدعوا الهجرة. وعن عطاء بن يسار نزلت فى عوف بن مالك الأشجعى وكان ذا أهل وولد، فإذا أراد أن يغزو بكوا عليه ورقّقوه، وقالوا إلى من تدعنا، فيرق عليهم فيقيم «١».

وعن ابن عباس: كان الرجل يسلم فإذا أراد أن يهاجر منعه أهله وولده وقالوا: ننشدك اللّه أن تذهب فتدع أهلك وعشيرتك، وتصير إلى المدينة بلا أهل ولا مال، فمنهم من يرق لهم ويقيم ولا يهاجر، فأنزل اللّه هذه الآية.

وعنه: وهؤلاء الذين منعهم أهلهم عن الهجرة لما هاجروا ورأوا الناس فقد فقهوا فى الدين، همّوا أن يعاقبوا أهليهم الذين منعوهم، فأنزل اللّه تعالى «وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحيمٌ».

وعن إسماعيل بن أبى خالد قال: كان الرجل يسلم فيلومه أهله وبنوه، فنزلت هذه الآية «إِنَّ مِنْ أَزْواجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ» «٢».

---

(١) تفسير الخازن ۴/ ٢٧۶.

(٢) أسباب النزول للنيسابورى: ٢٨٨.

وذكر أنّ الآية لمّا نزلت على رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله كان الناس يهاجرون إليه من البلاد، وكان بعضهم يريد أن يهاجر، يمنعهم الأهل والأولاد، ويقولون له، إلى أين تذهب؟ أسكن فى بلدك وبيتك، ولا ترحل من عندنا، وهم لا يعتنون إلى منعهم، بل كانوا يهاجرون ويخلصون أنفسهم من أيديهم، لأنّهم كانوا يرون المهاجرين إلى النّبى صلّى اللّه عليه وآله صاروا فقهاء وعلماء، وهؤلاء لا يزالون فى غمرات الجهل وكان المهاجرون يغضبون على الأهل والأولاد ويمنعونهم المعيشة، ولكنّ اللّه تعالى يأمرهم بالعفو والصفح والغفران. «وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحيمٌ» أى إذا غفرتم وعفوتم فاللّه أيضاً يغفر لكم ويرحمكم.

إن قلت: لماذا جيىء هنا بثلاثة ألفاظ: العفو، والصفح، والغفران؟

قلنا: لأنّ مراتب العفو ثلاثة: فإمّا أن يكون بالظّاهر، أعنى اللسان والجوارح، فهذا يسمّى عفواً.

وإمّا العفو بالظاهر والقلب، ويسمّى صفحاً.

وإمّا العفو بمعنى محو الخطيئة عن نظر الإنسان مثل: التائب من الذنب كمن لا ذنب له «١»، وهذا يسمّى غفراناً.

---

(١) الكافى ٢/ ٤٣٥، باب التوبة، الرّقم ١٠.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٢٢١

وبعبارة أخرى: تارةً مجرّد عدم المجازاة فهو العفو، وأخرى الإغماض عنه وهو الصّفح، وثالثة محو ذنبه بالكلية وهو الغفران [١].

الثانى: قوله تعالى «إِنَّما أَمْوالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ»، ربط الآية بما قبلها: أنّه لما ذكر سبحانه الأزواج والأولاد وعداوتهم، ذكر بعد ذلك أنّ الأموال والأولاد فتنة، وقدّمت الأموال على الأولاد، لأنّها أعظم فتنة، ويمتحن الإنسان بهم [٢].

[١] قال الرّاغب: عفوت عنه، قصدت إزالة ذنبه صارفاً عنه، فالمفعول فى الحقيقة متروك، والصفح ترك التثريب وهو أبلغ من العفو ...

وصفحت عنه أوليته منى صفحة جميلة معرضاً عن ذنبه، أو لقيت صفحته متجافياً عنه، أو تجاوزت الصفحة التى أثبتت فيها ذنبه من الكتاب.

والغفران والمغفرة من اللَّه: هو أن يصون العبد من أن يمسه العذاب «١».

[٢] أخرج أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه والحاكم وصححه عن بريدة قال: كان النّبى صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم يخطب، فأقبل الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران، يمشيان ويعثران، فنزل رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم من المنبر

---

(١) المفردات: ٣٣٨ و ٢٨٣ و ٣٦٣.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٢٢٢

فحملهما واحداً من ذا الشق وواحداً من ذا الشق، ثمّ صعد المنبر فقال:

صدق اللَّه «أَنَّما أَمْوالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ»، إنّى لما نظرت إلى هذين الغلامين يمشيان ويعثران، لم أصبر أن قطعت كلامى ونزلت إليهما «١».

وفى رواية ابن مردويه عن عبداللَّه بن عمر، أنّ رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله بينما هو يخطب الناس على المنبر، خرج حسين بن على على رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله فوطىء فى ثوب كان عليه فسقط فبكى، فنزل رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم عن المنبر فلمّا رآه الناس سعوا إلى حسين يتعاطونه، ويعطيه بعضهم بعضاً حتى وقع فى يد رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم، فقال: «قاتل اللَّه الشيطان، إنّ الولد لفتنة، والذى نفسى بيده ما دريت أنى نزلت عن منبرى» «٢».

قال العلّامة الطباطبائى: «الرواية لا تخلو من شىء، وأنّى تنال الفتنة من النّبى صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم وهو سيّد الأنبياء المخلصين، معصوم مؤيد بروح القدس» «٣» والشيطان لا يمكنه إغراؤهم فكيف به؟

---

(١) مسند أحمد ٥/ ٣٥٤، وسنن الترمذى ٥/ ٣٢٤، وسنن النسائى ٣/ ١٩٢.

(٢) تفسير الآلوسى ٢٨/ ١٢٧.

(٣) الميزان فى تفسير القرآن ١٩/ ٣١٠.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٢٢٣

فإن قلت: لماذا كانت الآية السابقة، الأزواج والأولاد، وهنا الأموال والأولاد؟

قلنا: لعلّه لأجل أنّ غالب ابتلاء الإنسان ومصائبه من المال والولد، وأكثر علاقة الإنسان بهما، ومراقبته غالباً منهما أكثر، كقوله تعالى:

«يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لاتُلْهِكَمْ أَمْوالُكَمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ» «١».

ثم إنّه لما كانت علاقة الإنسان بالمال والولد توجب وقوعه فى المكاره، وكانت هى فتنة، وإمتحاناً، فمن التفت إلى ذلك وراقب اللّه سبحانه فى أموره نال أجراً عظيماً «وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظيمٌ».

ويستفاد من الآية: إنّ اللّه سبحانه أحقّ بأن يتعلّق القلب به ويحبّه، فإنّ الأجر والفائدة من حضرته سبحانه عظيم، بخلاف ما يكون من قبل المال والولد، فإنّهما حقيران فيذهبان جفاء [١].

وأنّه الخاتم لما سبق والفاتح لما استقبل من الأئمّة المعصومين عليهم السّلام.

[١] عن ابن مالك الأشعرى: «إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله قال: ليس عدوّك الذى إن قتلته كان فوزاً لك، وإن قتلك دخلت الجنة،

---

(١) سورة المنافقون، الآية: ٩.

الثالث: قوله تعالى «فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ »....

يحتمل أن يكون المعنى: أنّه بعد أن كان المال والولد فتنة، وانحصر الأجر العظيم فيما عنداللّه، فلا بدّ أن لا يتّقى الإنسان ولده، بل يتّقى ربّه، كما فى قوله تعالى «اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ » «... ١»

[١].

ويسمع منه ويطيعه، وأن لا يبخل بماله، بل ينفقه إنفاقاً، هو خير لنفسه، وعلى هذا يكون (خيراً) قيداً لكلمة (وأنفقوا) كما ذكر فى التفاسير، وارتباط الجملة بما تقدّم بنحو اللف والنشر المشوّش.

ويحتمل أن يكون المعنى: بعد أن كان الأجر العظيم عنداللّه،

ولكن الذى خرج من صلبك، ثمّ اعدى عدو لك مالك الذى ملكت يمينك» «٢».

[١] وقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله لابن مسعود: يابن مسعود، لا تحملنك الشفقة على أهلك وولدك على الدخول فى المعاصى والحرام، فإنّ اللّه تعالى يقول: «يَوْمَ لايَنْفَعُ مالٌ وَلا بَنُونَ* إِلّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَليمٍ» «٣» «٤».

---

(١)

سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم ۴/ ٣٧۶.

(٣) سورة الشعراء، الآية: ٨٨- ٨٩.

(۴) بحار الأنوار ٧۴/ ١٠٨.

فلا بدّ أن يتّقى الإنسان ربّه فيسمع ويطيع وينفق، وتكون هذه الأمور الثلاثة بياناً للتقوى، ويكون (خيراً لأنفسكم) قيداً للكلّ (ومن يوق شحّ نفسه) مرتبط بالإنفاق، والشّح ظاهره بمعنى البخل مع الحرص، أى‌بخل نفسه؛ وفى مجمع البيان: قال الصادق عليه السّلام «من أدى الزكاة فقد وقى شحّ نفسه» «فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» أى‌الفائزون فى الدّارين [١].

الرابع: قوله تعالى «إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضاعِفْهُ لَكُمْ

[١] قال الشيخ الطوسى: «وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ» أى‌من منع ووقى شحّ نفسه، والشّح منع الواجب فى الشّرع. وقيل: الشّح منع النفع على

مخالفة العقل لمشقة البذل، ومثله البخل، يقال: شح يشح فهو شحيح وشحاح.

وقال ابن مسعود: من الشح أن تعمد إلى مال غيرك فتأكله.

وقوله: «فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» قال: معناه إنّ من وقى شحّ نفسه، وفعل ما أوجبه اللَّه عليه، فهو من جملة المنجحين الفائزين بثواب اللَّه «١».

وقال علىّ بن إبراهيم القمى: يوق الشّح إذا اختار النفقة فى طاعة اللَّه، قال: وحدثنى أبى، عن الفضل بن أبى قره قال: رأيت أبا عبداللَّه عليه السّلام يطوف من أوّل الليل إلى الصّباح وهو يقول: اللّهمّ قنى شحّ نفسى، فقلت جعلت فداك ما سمعتك تدعو بغير هذا الدعاء، قال: وأىّ

---

(١) التبيان فى تفسير القرآن ٢/ ٦٨٣.

وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ» هنا نذكر جهات:

الأولى: التعبير عن الإنفاق بالإقراض للَّه، إستعارة لما بينهما من الشبه، فإنّ القرض، هو إعطاء المال بضمان عوضه [١] والإنفاق له عوض قد ضمنه اللَّه تعالى.

الثانية: قد وصف القرض بالحسن، فإنّ القرض أعنى الإنفاق السيء الذى يخالطه المنّ والأذى، أو تشوبه السّمعة والرياء، أو غير ذلك ليس له هذا الأثر.

الثالثة: المضاعفة هاهنا قد أشير إليها فى مكان آخر بقوله سبحانه «مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها» «١»

وورد فى الحديث مفصّلًا، وذكر القرض تلطف به فى الإستدعاء.

شيء أشدّ من شحّ النفس؟ إنّ اللَّه يقول: «وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» «٢».

[١] قال النّبى صلّى اللَّه عليه وآله: «من احتاج إليه أخوه المسلم فى قرض وهو يقدر عليه فلم يفعل، حرّم اللَّه عليه ريح الجنة» «٣».

---

(١)

سورة الأنعام، الآية ١٦٠.

(٢) تفسير القمى ٢/ ٣٧٢.

(٣) بحار الأنوار ٧٣/ ٣٣٥.

الرابعة: قد ذكر للقرض أعنى الإنفاق خاصيتان [١] إحداهما:

المضاعفة، والأخرى: المغفرة. يشهد عليهما أنّه تعالى (شكور حليم) فوصف (الشكور) للجزاء بالمضاعفة (والحليم) للمغفرة [٢].

الخامس: إنّه وصف سبحانه نفسه، بأنّه عالم الغيب والشهادة، ما غاب وما شوهد، فإنّ جميع موجودات عالم الكون، ينتهى أمرها إليه سبحانه، فلا يخفى عليه شيء، سواء كان ممّا مضى أو ممّا يأتى، وسواء كان مكشوفاً لغيره أو مستوراً عنه. ويرتبط هذا التوصيف بمقام الإنفاق، فإنّ الإنفاق تارةً يكون علناً وأخرى سرّاً، فهو على كلا قسميه يعلمه اللَّه ويجازى عليه.

السادس: إنّه وصف نفسه سبحانه، بأنّه (العزيز الحكيم) فإنّ له

[١] قال العلّامة الطباطبائى: «المراد بإقراض اللَّه، الإنفاق فى سبيله. سمّاه اللَّه إقراضاً للَّه وسمّى المال المنفق قرضاً حسناً حثاً وترغيباً لهم فيه» «١».

[٢] قال الطّبرسى: ««حَليمٌ» لا يعاجل العباد بالعقوبة وهذا غاية الكرم» «٢».

---

(١) الميزان فى تفسير القرآن ١٩/ ٣٠٩.

(٢) مجمع البيان ١٠/ ٣٥.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٢٢٨

العزّة المطلقة التامّة حيث أنّه لا كفو له، ولا ندّ له، ولا مثيل له، وجميع الخيرات والمنافع تصدّر منه، وهو القاضى لما تحتاج إليه الممكنات فى جميع حالاتها، وذلك كلّه مناط العزّة وله الحكمة البالغة الكاملة، يدبّر شؤون الكلّ ويديرها، ويضع كلّ شىء موضعه، ويعطى لكلّ ذى حقّ حقّه، ويهيىء الأسباب المناسبة لمسبباتها، كلّ ذلك بكمال الإتقان والنّظم الدّقيق. ويرتبط الوصفان أيضاً بمقام الإنفاق حيث إنّ ترتيب الآثار النّافعة، والخواصّ الخيرية على الإنفاق زائداً على الأمر به، تتميماً لدعوة الأمر، حيث إنّ غالب النّفوس البشرية إذا عرفت خاصيّة الشىء اشتاقت إليه وعملت به، بخلاف مالو كان هناك مجرّد الأمر به، فربما لم ينبعث، وربما توانى فى العمل به، ولقد ذكر الشيخ الرئيس: إنّ المثوبات الموعودة فى الأوامر الشرعية، هى بمقتضى الحكمة تتميماً لدعوتهما وتكميلًا لباعثيتها فى غالب النفوس البشرية [١]، هذا وآخر دعوانا، أن الحمد للّه ربّ العالمين.

[١] قال الشيخ الرئيس ابن سينا: المثوبات الموعودة فى الأوامر الشرعية تتميم لداعويتها وتكميل لباعثيتها «١».

قال المراغى: «خلاصة ما حوته السورة.

---

(١) الشفاء: ١٨٢.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٢٢٩

(١) صفات اللّه الحسنى.

(٢) إنذار المشركين بذكر ما حلّ بمن قبلهم من الأمم مع بيان السبب فيما نالهم من ذلك.

(٣) إنكار المشركين للبعث.

(۴) بيان أن ما يحدث فى الكون، فهو بأمر اللّه وتقديره.

(۵) تسلية الرّسول صلّى اللّه عليه وآله وسلّم، بأنّه لا يضرّه إصرارهم على الكفر.

(۶) إنّ من الأزواج والأولاد أعداء للمرء.

(٧) الأموال والأولاد فتنة وابتلاء.

(٨) الحثّ على التّقوى والإنفاق فى سبيل اللّه «١».

هذا آخر ما كتبناه فى التعليق على سورتى الجمعة والتغابن، فى يوم ولادة سيّد الوصيين أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه أفضل الصّلاة والسّلام سنة ١۴٠١ هجرية فى مكتبة سيدى الوالد رضوان اللّه عليه وقدّس سرّه، فى مشهد إمامنا الرّضا عليه آلاف التّحية والثّناء.

السيد محمّد علىّ الحسينىّ الميلانى

---

(١) تفسير المراغى ٢٨/ ١٣٢.

سلسلة النقد والتحقيق، ج٣، ص: ٢٣٠

الكتاب القادم ...: ص: ٢٣٠

الهداية

فى كون الشهادة بالولاية فى الأذان والإقامة

جزءٌ كسائر الأجزاء

من بحوث

آية اللّه العظمى الشيخ عبدالنبى العراقى

تقرير

العلّامة الشيخ محمّد حسين آل طاهر الخمينى

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلّامة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافىّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جهةٍ اُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثُلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائیّ و اليدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماکن الدينيّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکين فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّی (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المکتب الرّئيسیّ: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائی/"بناية "القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المرکز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حکوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّی بالقائميّة) و مع ذلک، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الکلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إيّانا فی هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفيق.

مركز القائمية اصفهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹